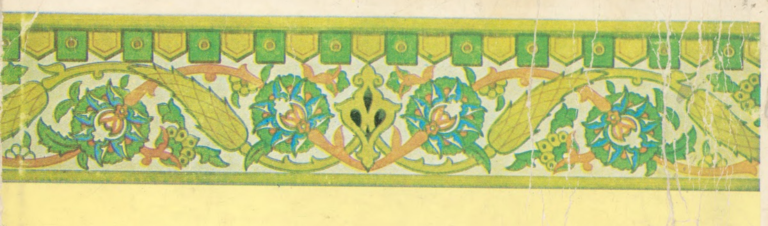


عيار الشعر

لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي

تحقيق وتعليق

الدكتور محمد زغلول سلام
أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها
وعميد كلية الآداب - جامعة بنها



الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزي وشركاه

عيار الشعر

لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوى

تحقيق وتعليق

الدكتور محمد زغلول سلام

أستاذ كرسى اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب . جامعة بنها

توزيع منشأة المعارف بالاسكندرية

جلال حزى وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

« رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى واحلل عقدة من لسانى »

صدق الله العظيـــم

مقدمة الطبعة
الثالثة

فى هذه الطبعة الثالثة لكتاب عيار الشعر محاولة لاعادة النظر فى هذا الكتاب الهام فى تاريخ النقد العربى . وقد كان لظهور الكتاب فى طبعته الأولى أهمية واضحة ، وأثر بالغ فى التعرف على حلقات النقد الأدبى فى تراثنا العربى . وقد تناوله الباحثون والدارسون على مستويات متعددة فى مؤلفات علميه وبحوث جامعية فى مصر والعالم العربى وتناولوا ما أثاره المؤلف من قضايا تتصل بالشعر من حيث حقيقته ونظريته وابداعه ، وأسلوبه ، وعناصر جماله فى اللفظ والمعنى ، وعناصر القبح وظهرت آراء ابن طباطبا المتقدمة على عصره ، والتى ناقش فيها بعض أحكام غيره من النقاد ، كما ناقش قضايا تتصل بالتطور الفنى للشعر العربى كشعر المحدثين وأصحاب البديع ، وموقف أصحاب البديع من عملية الابداع الفنى والاهتمام بالشكل اللفظى ، والحلى البديعية ودوافع ذلك إلى غير هذا من القضايا .

وقد أتاحت هذه الدراسات التى عرضت للكتاب من حيث مضمونه أو شكله الذى ظهر عليه فى الطبعة الأولى فرصة لمعاودة النظر فيه . وقد أدت معاودة النظر إلى اضافة أشياء كانت ناقصة أو قاصرة فى الطبعة الأولى نبه إليها بعض الباحثين .

وفى هذه الطبعة الثالثه رأيت أن أضيف إلى الكتاب مقدمة تحليلية تعرض لأهم القضايا والموضوعات النقدية التى بثّها ابن طباطبا فى اثناء الكتاب ، قد تخفى على بعض القارئين ، كما حاولت أن أعرض لآراء المؤلف فى ضوء المشهور من آراء المعروفين والبارزين من نقاد العرب حتى يكون هذا العرض كاشفاً لما غمض ، وباسطاً لما انطوى أو غُمَّ من القول فى عبارات المؤلف قد يمر عليها القارىء غير المتخصص مرورا عابرا .

ولعلى بعد هذا أن أكون وفقت إلى إضافة تميز هذه الطبعة على الطبعتين السابقتين ، فضلًا عما حرصت عليه من استكمال جمال الشكل وتمام الضبط .

والله ولى التوفيق وعليه قصد السبيل ،،،

محمد زغلول سلام

عصر المؤلف وحياته وأدبه

عاش ابن طباطبا فى نهاية القرن الثالث ومطلع القرن الرابع من الهجرة فى عصر بدأت فيه الدولة العباسية مرحلة من مراحل انحلالها على أيدى جماعات القواد الأتراك والخدم زمن المعتمد والمعتضد، والمكتفى والمقتدر والقاهر، وكانت الدولة الإسلامية نهباً للثائرين والخارجين والمتآمرين، من أمراء الأطراف، ورجال الجيش، وخدم القصر، والعلويين، والقرامطة وغيرهم ممن أغراهم ضعف الخلافة، ودفعتهم الأطماع إلى استحواز ما يمكن من البلاد، واكتساب ماتصل إليه أيديهم من الأسلاب.

وكانت أصبهان فى هذا العصر زاخرة بالنشاط، غنية بمواردها وتجارتها، ونواديها الأدبية والعلمية، وقد وصفها جماعة من العلماء فأسهبوا وألف فى تاريخها وذكر علمائها حمزة الأصبهانى، وأبو نعيم الأصبهانى، وقال فيها ياقوت: «وهى مدينة عظيمة مشهورة، من أعلام المدن وأعيانها، و يسرفون فى وصف عظمها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الإسراف(١)».

وهبتها الطبيعة بسخاء، فجرى إليها نهر أصبهان المعروف بزندروذ وهو «غاية فى الطيب والصحة والعذوبة». وقد وصف الشعراء فأفاضوا(٢) وقال فيها الحجاج من قبل: «حجرها الكحل، وذبابها النحل، وحشيشها الزعفران».

وقال الثعالبى «لم تزل أصبهان مخصوصة من بين البلدان بإخراج فضلاء الأدباء وفحولة الكتاب والشعراء(٣)».

(١) معجم البلدان ط ليبسك سنة ١٨٦٦ ــ ١/ ٢٩٢

(٢) نفس المصدر ص ٢٩٤

(٣) يتيمة الدهر ٣/ ٢٦٧ ط الصاوى سنة ١٩٣٤ م

ونزح إلى أصبهان ، ونشأ فيها جماعة من العلماء والأدباء المذكورين ، قال ياقوت : « وقد خرج من أصبهان من العلماء والأئمة فى كل فن مالم يخرج من مدينة من المدن »(١) ، واشتهرت بالحديث وعلومه ، وخرج منها جماعة من مشاهير الحفاظ . ونزح إليها من البصرة فى أوائل القرن الثالث صاحب الأصمعى أحمد بن حاتم الباهلى ، وكان قدومه إليها بعد سنة عشرين ومائتين ، « ونقل معه مصنفات الأصمعى ، وأشعار شعراء الجاهلية والإسلام مقروءة على الأصمعى »(٢). قال الصاحب بن عباد: « فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة: حائك وحلاج واسكاف ، فالحائك هو المرزوقى ، والحلاج أبو منصور بن ماشدة ، والإسكاف أبو عبد الله الخطيب بالرى صاحب التصانيف فى اللغة »(٣).

وعاش بها الصاحب زمناً ، وجمع مجلسه فيها جماعة من كبار أدبائها وعلمائها مثل أبى سعيد الرستمى وأبى العباس الضبى ، والقاضى الجرجانى ، وأبى الحسن الجوهرى ، والبديع الهمذانى(٤). كما عاصر ابن طباطبا فيها أبو عبد الله حمزة بن الحسن الأصبهانى صاحب كتاب أصبهان ، وأبو على الرستمى وعلى بن حمزة الأصبهانى العالم الشاعر ، وعلى بن مهدى بن على الكسروى ، ومحمد بن بحر الأصبهانى الكاتب المعتزلى المفسر.

(١) نفس المصدر ص ٢٩٥
(٢) معجم البلدان ١ / ٢٩٥ ، وراجع معجم الأدباء ٢ / ٢٨٥
(٣) معجم الأدباء ٣ / ٢٨ ط ٣
(٤) نفس المصدر ٦ / ٢٨٢

ابن طباطبا :

ولد أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن طباطبا بأصبهان ، و يرجع نسبه إلى الحسن بن على بن أبى طالب ، فهو من العلويين الأشراف ، نشأ بأصبهان وأخذ العلم والأدب على أئمتها ، وكان مشهوراً بالذكاء والفطنة ، وصفاء القريحة وصحة الذهن ، وجودة المقاصد »[1] .

وكان محباً للعلم ساعياً فى طلبه ، ذكر ذلك فى قصيدة له فقال :

حسودٌ مريض القلب يخفى أنينه ... و يضحى كئيب البال عندى حزينه

يلوم على أن رحتُ فى العلم راغباً ... أجَمِّعُ من عِنْد الرواةِ فنونَهُ

وأملك أبكار الكلام وعونَهُ ... واحفظ مما أستفيد عيونَهُ[2]

وقال فى معرض حديث له يشيد بمقدرته فى الإنشاء ، وتمكنه من اللغة : « والله أنا أقدر على أبى الكلام من واصل بن عطاء » فقد ألف قصيدة تحاشى فيها حرفين من حروف المعجم لرجل كان يلكن بهما ولايجريان على لسانه .

و يشير الثعالبى إلى تقدمه فى علم النجوم[3]

شعره :

وكان سريع الخاطر ينشد الشعر بديهة . روى ياقوت أنه « صادف عثمانيين أوسودين معتمين بعمامتين حمراوين ، فامتحنهما فوجدهما فى الأدب خاليين ، فكتب يقول بديهة :

(١) معجم الأدباء ١٧ / ١٤٣

(٢) ،، ،، ١٧ / ١٤٥

(٣) خاص الخاص ص ٧٩

رأيت بباب الدار أسودين ذوى عمامتين حمراوين
كجمرتين فوق فحمتين قد غادرا الرفض قريرى عين
جَدكُما عثمانُ ذو النورَيْنِ فما له أنْسَلَ ظُلمتيْنِ
ياقُبحَ شَيْنٍ صادرٍ عن زَيْنِ حدائد تَطبعُ من لُجيْنِ
ما أنتما إلا غُرابا بَيْنِ طِيراً فقد وقعتما للحَيْنِ

ودارت بينه وبين أدباء عصره مناظرات ، ومفاوضات ، من هؤلاء أبو على بن رستم الكاتب الشاعر الأديب الذى ولى خراج أصبهان زمن المقتدر ، واتصل بهابن طباطبا ، وكان يزوره ، ويجلس إليه فى مجالس اللهو والطعام ، ومدحه وهجاه(١) . و يذكر ياقوت أنه اتصل بعلى بن حمزة . و يقول : « ولعلى بن حمزة هذا مفاوضات طوال وجوابات لجماعة من شعراء أصبهان ، منهم أبو الحسن بن طباطبا العلوى وغيره »(٢) .

وقال أبو عبد الله حمزة بن الحسن الأصبهانى : سمعت جماعة من رواة الأشعار ببغداد يتحدثون عن عبد الله بن المعتز أنه كان لهجاً بذكر أبى الحسن (ابن طباطبا) مقدماً له على سائر أهله ، و يقول : ما أشبهه فى أوصافه إلا محمدُ بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك إلا أن أبا الحسن أكثر شعرا من المسلمى ، وليس فى ولد الحسن من يشبهه » .

قال ياقوت : « وكان أبو الحسن طوال أيامه مشتاقاً إلى عبد الله بن المعتز متمنياً أن يلقاه أو يروى شعره ، فأما لقاؤه فلم يتفق له ، لأنه لم يفارق أصبهان قط ، وأما ظفره بشعره فإنه اتفق له فى آخر أيامه ،

(١) راجع معجم الأدباء ١٧ / ١٥٦ ، ومحاضرات الراغب الأصبهانى ٢ / ١٠٦

(٢) معجم الأدباء ١٧ / ١٥٠

ولـه فى ذلك قصة عجيبة ، وذلك أنه دخل إلى دار معمر ، وقد حُملت إليه من بغداد نسخةٌ من شعر عبد الله بن المعتز فاستعارها ، فسوَّف بها ، فتمكن عندهم من النظر فيها . وقد حفظ منها مائة وسبعة وثمانين بيتاً تخيَّرها من شعره » .

وذكر ياقوت فى موضع آخر أن المعتز راسله[1] . وذكرت كتب الأدب بعضا من مراسلاتهما . قال ابن رشيق وابن ابى الاصبع : « وقد أحسن ابن المعتز فى قوله لابن طباطبا العلوى :

فأنتم بنو بنته دوننا ونحنُ بنو عمِّه المسلم

فأنه أعطى بنى عمه ما خصهم من الشرف واعترف لهم من فضل الأبوين بما اعترف (تحرير التجبير ص ٢٣٦) واتصل – فيما ذكر الراغب – بقاضى أصبهان ابن البرى وهجاه ، كما اتصل به ابن فارس اللغوى المعروف وروى عنه شعراً[2] .

وتوفى أبو الحسن سنة ٣٢٢ هـ بعد حياة حافلة بالعلم والأدب وقول الشعر ، وأعقب فى أصبهان كثيراً ، وكان من عقبه علماء ، وأدباء ، ونقباء ، ومشاهير .

تلك هى حياته ، أما منزلته فى الشعر ، وآراء النقاد فيه فيمكن أن نرى طرفاً من ذلك فى شهادة حمزة الأصبهانى له إذ عده من مشاهير شعراء أصبهان فى عصره ، كما نقل ذلك الثعالبى فى اليتيمة .

(١) المعجم ١٥/١٠
(٢) « « ١٥١/٥ ومابعدها

وقال ياقوت: « شاعر مفلق، وعالم محقق، شائع الشعر، نبيه الذكر» . وأورد له الراغب فى « محاضرات الأدباء » كثيراً من شعره، و يبدو أن ياقوت كان يعبر فى عبارته السابقة عن رأى عامة الناس، والأدباء خاصة فى شعر ابن طباطبا، وإن كان بعض المعاصرين له، وخاصة من كان بينه و بينهم شيء، لم يروا مار أى عامة الناس، وأنكروا عليه شاعريته، وكانوا يدفعون عنه صفة التجو يد والأحسان على ماذكر فى الخبر الذى يرو يه الراغب فى محاضراته إذ يقول: « دخل أبو الحسن ابن طباطبا على أحمد بن عثمان البرى، وكان هجاه أبو الحسن بأهاجى كثيرة، فقال له: بلغنى أنك تشعر وتُجيد، فقال: كذا يقول الناس، فقال له تعريضاً: أشعرت أن قريشاً لم تكن تجيد الشعر؟ » (١) .

ومع ذلك فهذا الخبر نفسه يشهد بما قدمنا من رأى عامة الناس فيه إذ يقول له: بلغنى أنك تقول الشعر وتجيده .

وقد عنى الراغب الأصبهانى عناية ظاهرة بإيراد طائفة غير قليلة من شعره فى موضوعات مختلفة، وذلك فى كتابه « محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء »، وبمراجعتها نرى أنه قال فى المدح والهجاء، والغزل، والوصف، ونستطيع بالنظر إليه وتفحصه، ومراجعة ماذكره غيره مثل ياقوت، وصاحب طرفة العجائب (٢) ، والقفطى (٣) وغيرهم، نستطيع أن نتمثل فى ابن طباطبا شخصية شعرية جديرة بأن نقف عندها، فهو وإن لم يكن يُعد من الفحول فى الشعر، وكان أقرب إلى أوساطهم، إلا أنَّ شعره يمتاز ببعض الخصائص التى يحسن الإشارة إليها، ومنها براعته فى وصف الطبيعة وتصو ير مظاهرها المختلفة، وقدرته على تجسيم المرئيات، وإبراز الصفات التى يقصد إليها ــ وخاصة فى الهجاء ــ إبرازاً يذكرنا بابن الرومى .

(١) محاضرات الراغب ١ / ١٧٠

(٢) منه صورة بدار الكتب المصرية بالقاهرة وهو لعماد الدين ابن الأثير الحلبى .

(٣) يذكر القفطى ترجمة لابن طباطبا فى كتاب « المحمدون من الشعراء » و يذكر أبياتاً من شعره، والكتاب مخطوط ومنه صورة بمكتبة ببلدية الأسكندرية . وقد طبع أخيرا

ولم يكن ابن طباطبا شاعراً يعتمد على الموهبة فحسب ، ولكنه كان شاعراً عالماً ، إنصرف إلى درس الشعر وتأمله ، وقراءة ماكتبه العلماء السابقون فيه ، وخلف فى ذلك طائفة غير قليلة من الآثار التى يدل ما بقى منها على علم واسع غزير ، و بصيرة قوية ، كما نرى ذلك فى هذا الكتاب الذى نقدمه إلى القراء « عيار الشعر » .

وله كتب أخرى أشار إليها ياقوت تدور كلها أو جلها حول الشعر ودراسته ، وقد أشار هو في هذا الكتاب إلى بعضها ، إذ أحال فيه أكثر من مرة إلى كتابه الذى سماه « تهذيب الطبع » وهو كتاب جمع فيه ما اختاره من أشعار الشعراء كما يقول فى ذكره ، وقد أراد بهذا الكتاب أن يقدم إلى الراغبين فى قول الشعر أداة تعينهم عليه وتسددهم فى سبيله إذ « يرتاض من تعاطى قول الشعر بالنظر فيه ، و يسلك المنهاج الذى سلكه الشعراء ، و يتناول المعانى اللطيفة كتناولهم إياها ، فيحتذى على تلك الأمثلة فى الفنون التى طرّقوا أقوالهم فيها » .

أما سائر كتبه فهى: كتاب فى العروض يذكر ياقوت أنه « لم يُسبق إلى مثله » ، وكتابٌ فى المدخل فى معرفة المعمى من الشعر، وكتابٌ فى تقريظ الدفاتر.

وأما كتاب « عيار الشعر» الذى ينشر اليوم للمرة الأولى فهو كتاب من أجلّ الكتب التى كتبت عن الشعر فى ذلك العصر. و يبدو أن هذه الفترة التى ظهر فيها كتاب « عيار الشعر» لابن طباطبا كانت من الفترات الخصبة فى تاريخ الدراسات الشعرية والنقد الأدبى بصفة عامة ، فقد ظهر فيها: كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وكتاب البديع لابن المعتز، وطبقات الشعراء له ، وقواعد الشعر لأحمد بن يحيى ثعلب ، وكتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر.

ولكن كتاب «عيار الشعر» يمتاز بطابعه الخاص، ومنهجه الذى يختلف عن غيره من الكتب المذكورة. ولاغرو فصاحبه شاعرٌ يقول الشعر و يعانيه، فيعرض تجربته الشعرية فى صدق ووضوح، بينما الآخرون ــ عدا ابن المعتز ــ علماء بالشعر، وأكثرهم علماء لغة لايعنيهم من الشعر غير صياغته، وألفاظه، ومعانيه.

وكتاب عيار الشعر يمتاز بين تلك الكتب جميعاً بطابعه الخاص؛ الذى تظهر فيه شخصية مؤلفه وذوقه فى اختيار النصوص للاستشهاد بها وفى الحكم والمفاضلة وتتبع مواطن الجمال والقبح وإبراز عناصر الحسن، والتنبيه لأسباب فساد الشعر.

ولم يحظ النقد والدراسات النقدية فى القرن الثالث ومطالع القرن الرابع بقسط كبير من تلك النظرات الفاحصة، والوقفات الطويلة أمام النصوص بله تتبع مراحل الخلق الشعرى منذ البداية من الكلام عن الموهبة الشعرية، وصقلها أو تهذيبها بالدراسة والحفظ لنماذج من الشعر الرفيع، ثم نظم الشعر فى صورة أولية تأتى فيها الأبيات متناثرة دون رباط، ثم يبدأ الشاعر فى الربط بينها ووضع كل بيت فى موضعه اللائق، ثم الكلام عن الصياغة وجوانبها المختلفة، اللفظ، والمعنى، والصور البيانية، ثم الكلام عن ظروف القصيدة، وموضوعها وصلته بالحال والمقام، ثم الكلام عن المعانى الشعرية وتناول الشعراء لها قدماء ومحدثين وتصرف المحدثين فيها شتى التصرف، فنهم من يقفو آثار سابقيه دون تصرف، ومنهم من يبدع عنهم ولا يقلدهم.

ونجد بعض ما جاء فى كتاب عيار الشعر مما يتصل بالطبع، وبالشعر وصياغته وألفاظه ومعانيه، وبناء القصيدة، واشتراك الشعراء فى المعانى. نجد هذا كله أو بعضه فى كتب المعاصرين لابن طباطبا والسابقين له واللاحقين، ولكنها تختلف كما بينا عما هى فى عيار الشعر.

فابن قتيبة — على سبيل المثال — تناول مسألة الطبع ، ومايصقله أو يدفعه إلى السماح بالشعر من الطمع والرغبة ، والطرب ومشاهدة الرياض وما إليها . وتكلم فى الألفاظ والمعانى ، وقسم الشعر بالنسبة إليهما إلى أربعة مراتب [1] ، وابن المعتز تعرض لفنون الشعر فى أبواب البديع ، وكان تعرضاً لايخرج عن مجرد التصنيف والسرد لما عرف عند المحدثين من الشعراء ومن سبقهم من التشبيه والاستعارة والتجنيس وما إليها . وكان قدامة متأثراً بالبيان اليونانى ، وكان اهتمامه كذلك منصباً على الصياغة ، والألفاظ والمعانى فزاد فى أبواب البديع وأقسامه عما جاء فى كتاب ابن المعتز .

أما كتاب ابن سلام « طبقات الشعراء » فهو تأريخ وترتيب لمن تناولهم من الشعراء فى طبقات حسب اعتبارات مختلفة زمانية ومكانية وفنية ، وكتاب ثعلب « قواعد الشعر »[3] لايخرج عن مجموعة من الأصول أو القواعد التى كان يأخذ بها اللغويون أمثاله أثناء تعرضهم للشعر وحكمهم عليه ، و يدور جلها حول اعتبارات لغوية .

أما دراسات النقد التى تبعت كتاب عيار الشعر فقد انتفع كثير منها به مثل كتاب « الصناعتين » لأبى هلال العسكرى ، وكتاب « الموشح » « للمرزبانى » كما انتفع به كذلك المرزوقى فى مقدمته لشرح ديوان الحماسة ونقل عنه .

(١) الشعر والشعراء ص ٢٥

(٢) نفس المصدر ص ١ / ٩ ، و يبدو أن ابن طباطبا قد قرأ كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة لتأثره ببعض ما جاء فيه وخاصة فى تقسيم الشعر حسب ألفاظه ومعانيه .

(٣) طبع الكتاب بمصر بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجى سنة ١٩٤٨ م .

وألف الآمدى صاحب الموازنة بين أبي تمام والبحترى كتاباً يناقض به كتاب عيار الشعر و يرد فيه على صاحبه[1] .

وهكذا يبدو أن الكتاب غنى بوقفاته ، و بآرائه ، وبما تناثر فى أثنائه من لمحات تنبىء عن ذوق وخبرة بالشعر وصانعيه ، ولاغرو فصاحبه رائد من رواده خبير بمسالكه .

والنسخة التى اعتمدنا عليها مصورة [2] ، عن الأصل المحفوظ بمكتبة الاسكوريال ومكتوبة بخط النسخ المشكول سنة ٧٧٧ هـ ، وعلى صفحتها الأولى عنوان الكتاب وهو « كتاب عيار الشعر لأبى الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوى رحمه الله إلى أبي القاسم سعد بن عبد الرحمن رحمه الله » . وعليها بعض التعليقات و بعض عبارات التمليك ، وتاريخ غرة ربيع سنة ٩١١ هـ

(١) راجع ترجمة الآمدى فى إنباه الرواة ١ / ٢٨٨ ط دار الكتب ١٩٥٠

(٢) قام بتصويرها معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية .

منهجه فى الكتاب وموقفه من بعض قضايا النقد

يبدأ الكتاب بتعريفة للشعر ، و يقدم مقدمة مركزة يضمنها كل أفكاره حول الشعر، صنعته ، وتجربته فيه ، وهويتحدث الى من لديه موهبة الشعر أو إلى الشاعر المبتدى ، يسدى إليه بالنصيحة ، و يعلمه أصول الصنعة الشعرية باعتباره شاعراً مجرِّباً .

ومن هنا كان ترتيبه للكتاب قائماً على أساس افهام معنى الشعر وأدواته وطريقة عمله ، مع نصائح لشحذ قريحة الشاعر ووضع النماذج الجيدة والقبيحة أمامه ليستدل بها على اسرار جماله وقبحه ، فيأخذ بأسباب الجمال ، والوسائل المؤدية إليه ، و يبتعد عن أسباب القبح والوسائل المؤدية إليه .

وتبدو آراء ابن طباطبا فى المقدمة مرتبة متناسقة أحيانا ، وأحيانا يفلت منه الزمام ، فتختلط الآراء والموضوعات ، وقد تتكرر مواضعها ، أو يختل ترتيبها وليس هذا عيب أبن طباطبا وحده ، بل هو عيب شائع فى مؤلفات عصره إلاماندر.

ولا يغلب المنطق الصارم على تأليف ، أو التقسيم الجامد ، الذى يتمسك بالحدود ، وةالأرقام ، فهو يجمع بين القسمة المنطقية والروح الأدبى ، والتذوق .

ويمكن تلخيص أهم موضوعات المقدمة فيا يلى: تعريف الشعر، صنعته أدواته ، موقف الشعراء المحدثين من القدامى ، الصنعة ضرورة فى شعر المحدثين لتلافى نقص الطبع ، وأصالة الشاعرية عند القدماء ، ضرورة دعم المحدثين لموهبتهم بادوات تزيد من مقدرتهم على عمل الشعر بعد الموهبة ، كاتقان اللغة ، ومعرفة الاعراب ، والأخبار وأنساب العرب وعاداتهم ، وطريقة عملهم للشعر مع رواية الشعر الجيد وحفظه ، والتدرب على الافادة منه فيما ينظمون من الشعر.

و يضرب ابن طباطبا أمثلة على منابع المعانى فى الشعر العربى القديم ، وارتباط معانية بحياتهم ، وطبيعة أرضهم و بيئتهم ، وطبائعهم ، وعاداتهم ، وسنتهم فى الحياة فمن هذا كله استقوا صورهم الشعرية وتشبيهاتهم .

واهتم فى هذا الموضوع بالتشبيه لأنه ينقل صوراً حَيةً للحياة العربية القديمة وهى صور قد تبدو غريبة على الشاعر المحدث ابن الحضر الذى يحيى فى بغداد أو فى غيرها من المدن الاسلامية العامرة .

و ينقله الحديث عن علاقة التشبيه بالحياة العربية ، إلى الحديث عن التشبيه كأداة هامة من أدوات الشاعر التعبيرية ، فيعرفه ،و يُبيّن قيمته من حيث التطابق بين المشبه والمشبه به ، فكلما كان التطابق تاماً بينهما كان التشبيه واقعاً موقعه . وربما أداه إلى هذه النظرة إحساسه بأن التشبيه إنما هو نقل للمعنى عن طريق الحسّ أو الصورة الحَية . ولهذا فهو يقسم التشبيه وفق المدارك الحسّية .

من حيث البصر ، والسمع ، وهى من أهم مدارك الحس . ولمدارك الحس أشكال متعددة ، فمنها شكل الهياة العامة ، أو الصورة المادية للمشبه والمشبه به ، ومنها اللون ، والحركة ، ودرجتها بطأ وسرعة .. إلخ .

وقد يجمع التشبيه بين أكثر من شكل من أشكال الحس كالجمع بين الحركة والصوت أو بين اللون والهيأة إلى غير ذلك .

و ينتقل من هذه المقدمة العامة فى الحديث عن الشعر والشاعر إلى تفصيل ماأوجزه أو أشار إليه إشارة من عناصر الفن الشعرى . فيقسم الشعر بصفة عامة إلى شعر « محكم » وهو الشعر الجيد من حيث المعنى واللفظ ، وتأتى بعد ذلك درجات من أقسام الشعر تتفاوت فى الجودة والقبح على اساس من تفاوت درجات المعانى والألفاظ .

وجدير بالذكر هنا أنه يجعل عناصر الشعر ثلاثة هى : المعنى ، واللفظ ، والوزن والقافية كما سنفصل الحديث بعد .

و يشترك مع ابن قتيبة فى بعض أقسامه للشعر ، لكنه يختلف عنه فى النظر فى مواضع كثيرة من تلك الأقسام .

كما يشاركه فى ذلك قدامة بن جعفر فى نظره إلى محاسن الشعر ومقابحه من حيث المعانى والألفاظ والأوزان والقوافى ، وتلاؤم كل عنصر من هذه العناصر مع الآخر أو تنافره معه ، وعليه يقوم الحسن أو القبح .

و ينقل عنه أبو هلال العسكرى والمرزبانى كثيراً من آرائه وأقسامه وأمثلته على ماسنبينه بعد تفصيلاً .

علم الشعر:

يعرفه بأنه « كلام منظوم ، بائن عن المنثور الذى يستعمله الناس فى مخاطباتهم بما خص به من النظم »

ولنا على هذا التعريف تعليق ، فهو أولاً يختلف عن تعريف قدامة بن جعفر معاصره فى مواضع ؛ فقدامة يعرف الشعر بقوله :

« الشعر هو الكلام المنظوم المقفى الدال على معنى » فقد جمع بين اللفظ والوزن والقافية والمعنى . وكأنه يفصل بالنظم أى الوزن والقافية الكلام فى الشعر عن سائر الكلام و يتفق فى ذلك مع ابن طباطبا ، وإن كان كلام ابن طباطبا أعم ، وحدّه ليس بالدقة التى يبين لها الشعر ، فيكون حداً جامعاً مانعاً كما يقول المناطقة .

إذ أن قوله بائن عن المنثور الذى يستعمله الناس فى مخاطباتهم بما خص به النظم يحتمل أنه يفرق بينه و بين الكلام الجارى ، ولايفرق بينه و بين النثر الفنى ، أى الكتابة والخطابة ..

وربما كان قول قدامه أوفى وأكثر تحديداً لانه حدده بالكلام المنظوم المقفى وقد تعارف الناس على أن النظم لايكون إلا فى الشعر، والقافية « حد زائد » عليه أو مؤكد لخصوصيته فكل كلام منظوم لاقافية له ، ناقص من خصوصية الشعر.

ومن هنا ترد واردة ، فقد يكون فى ذهن ابن طباطبا أنه يستبعد النثر الفنى لان له وزناً ، وقد تكون له قافية ، تظهر فى السجعات .

وقد خص النظم الشعرى بأنه «نظم مخصوص» محدود «معروف» إذا عدل به عن أصوله وقواعده ، وحدوده ، مجته الأسماع ، وفسد على الذوق .»

هذا تنبيه آخر على أن النظم على تلك الصورة المعروفة (فى العروض — وقد أشار إليه فى غير موضع إشارة عابرة) هو موسيقى داخلة فى عمل الشعر، وفى جماله ، وأن تلك الموسيقى أو النظم جزء من البناء التعبيرى والجمالى فيه .

و يشير إلى محاولة الخليل بن أحمد تقعيد أو وضع قواعد النظم فى علم العروض فيقول إن هذا علم يستفاد به فى ضبط النظم أو الوزن ، ولايستفاد فى تعليم الشعر فالنظم يتولد مع الشعر فى ذهن الشاعر إذا تهيأ لعمل القصيدة طبعاً وموهبةً ، فهذا النظم وأن حدته قواعد يمكن تعلمها ، أو اكتسابها ، ألا أن هذا التعلم المتكسب لايغنى عن الطبع شيئاً .

و يقول : «ونظمه معلوم محدود» ، فمن صح طبعه ، وذوقة لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التى هى ميزانه .

ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن عن تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به حتى تعتبر معرفته المستفادة ، كالطبع الذى لا تكلف معه .

أدوات الشعر:

ويرى أن الشاعر لاغنى له عن أدوات تدعمه، وتغذيه وحتى لايخرج بالنظم عن الحدود المعروفة لدى الشعراء، ولايقع فى عثرات تؤخذ عليه. هذه الأدوات هى: التوسع فى علم اللغة، والبراعة فى فهم الإعراب، والرواية لفنون الآداب، والمعرفة بايام الناس، وأنسابهم ومناقبهم، ومثالبهم، والوقوف على مذاهب العرب فى تأسيس الشعر، والتصرف فيه وفى مغانية، وفى كل فن قالته العرب فيه.

ويتضح من هذه الأدوات التى أشار إليها أنها تنقسم إلى أدوات لغوية تتصل بالمقدرة التعبيرية، فاللغة هى القالب الذى يصوغ الشاعر فيه معانية وأحاسيسه وعلى قدر معرفته باللغه، وإحساسه الدقيق بأسرارها، تكون مقدرته التعبيرية فكثيرا مانجد الشاعر بارعاً فى استخدامه اللغة، مما يضفى على معانيه رونقاً، ويكسبها قوة، لأنه يدرك بفطرته وتمكنه اللفظ الأليق بموضعه وبمعناه، ومن هنا أيضا يتضح الفارق بين المتمكن وغير المتمكن، إذ تبدو ألفاظ غير المتمكن قلقة غير موافقة.

وبعد الأداة اللغوية تأتى المعرفة أو ثقافة الشاعر العامة، فى مجاله القريب خاصة، وفيها تكون المعرفة بالرواية لفنون الآداب، والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم.

ويفيد الشاعر من هذه الثقافة فى موضوعاته ومعانيه، فروايته لفنون الآداب تخدمه فى تطويع أساليبه لمعانيه، وتطوير هذه المعانى، وتوليدها، أو تضمينها لأقواله بما يخدم أغراضه الشعرية المختلفة.

ولما كان الشعر العربى قائما على المديح والفخر والهجاء، كان لابد من التعرف على أيام الناس لانها مفاخر العرب ومثالبها، فأيام العرب فيها النصر، وفيها الهزيمة فالنصر مآثر ومفاخر للمديح والفخر، والهزيمة والانكسار منقصه ومثلبه تبرز فى الهجاء والثلب.

كذلك الحال فى الأنساب والمناقب والمثالب ، فالقبائل ، والناس لا تزال تفخر بالأنساب والجدود ، وهناك بينهم أنسابٌ مشهورة بيّنةٌ كالغرر و بيوت معروفة بكرم المحتد والنجابة ، يتكرر التمدح بها ، والانتساب إليها وأخرى مغمورة ، مطمورة ، ترمى بالهوان ، والضعة ، يتكرر الهجاء بها وبمن يتنسب إليها .

وكما أن بعض القبائل اشتهرت بمفاخر ، وعادات ، أضافت إلى مناقبهم ، مايعلون به ، و يرتفعون على غيرهم .

فهناك من القبائل من دفعتهم معرات ومثالب ظلت لاصقة بهم ، يهجون بها وعلى الشاعر أن يتعرف عليها ليستخدمها فى مديح من يمدح وهجاء من يهجو.

وأما القسم الثالث من أدوات الشاعر فمتعلق بصفته الفنية ، وسبل اتقانه لها . وضروب معالجته إياها . وذلك بالتدرب على مذاهب العرب فى تأسيس الشعر والتصرف فى معانية ، وفى كل فن قالته العرب فيه .

« ومن هنا كان إختياره لمجموعة من الشعر الجيد ، يمكن الشاعر المبتدىء أن يجعلها نبراساً يهتدى بها لعمل الشعر. وقد أسماه « تهذيب الطبع » . يقول عنه : على الشاعر أن يديم النظر فى الأشعار التى اخترناها لتلتصق معانيها بفهمه ، وترسخ أصولها فى قلبه وتصير مواد لطبعه ، و يذرب لسانه بألفاظها ، فإذا جاش فكره بالشعر أدى إليه نتائج مااستفاده مما نظر فيه من تلك الأشعار.

وسبقه إلى الاختيار للتأديب والتدريب على تذوق الشعر ، جماعة من العلماء والأدباء والشعراء نذكر منهم على سبيل المثال اختيار المفضل الضّبى « المفضليات » وأختيار أبى تمام « الحماسة » واختيار البحترى « الحماسة » واختيار ابن الشجرى وغيرهم من بعد .

ومعروف أن حفظ الشعر والتمرس بأساليبه كان من أهم أسباب نبوغ الشعراء قديما ، فقد كان كل من يجد فى نفسه موهبة الشعر يحفظ كثيرا منه ، و يلزم واحداً من الشعراء يكون تلميذا له وراو ية .

وفى حديث بشار أنه حفظ أشعار مئات من شعراء العرب وشواعرهم وكذلك الحال بالنسبة إلى أبى نواس فقد طلب إليه معلمه واستاذه خلف الأحمر أن يحفظ كثيرا من الشعر القديم وأن يحاول تقليده ، حتى نبغ فاصبحت له شخصيته المستقلة .

وأشار أصحاب كتب البلاغة والإنشاء إلى ضرورة حفظ ناشئة الكتاب والشعراء لروائع النصوص الأدبية شعراً ونثرا ، وممارسة الحلّ لهذه الروائع فيما يكتبون و ينظمون للتدرُّب على صنعة الأدب .

ولضياء الدين بن الأثير كتاب فى هذا الفن اسمه «نثر المنظوم ونظم المنثور» .

عناصر الشعر:

والشعر عنده معنى ولفظ ونظم وقافية .

و يقول : «والشعر هو ما إن عرَى معنى بديع ، لم يعر من حسن الديباجة وماخالف هذا فليس بشعر» .

فالشعر المستكمل للوزن والقافية من حيث الشكل لابد فيه من معنى بديع ، حسن ديباجة ، فاذا خلا من أحدهما لايخلو من كليهما . وإلالم يعد شعراً

وكأنه ير يد أن يقول إن ما يَسمى شعراً ينقسم ثلاثة أقسام :

قسم بديع المعنى ، حسن الديباجة ، وهو فى المرتبة الأولى ، يليه بديع المعنى وإن خلا من حسن الديباجة ، وثالثها حسن الديباجة ، وإن خلا من بديع المعنى .

و بديع المعنى غير محدد نصاً فى كلامه ، وإن كنا سنصل منه إلى تحديد عام له .

وعلى أية حال فالمعنى فى كتابه وفى كتب غيره من علماء النقد يتكيف بالسياق الذى يرد فيه . فهو المعنى العام ، وهو معنى العبارة أو بيت الشعر ، وهو الغرض أو الموضوع الشعرى ، وهو الدلالة المباشرة للفظ ، وقد يكون الدلالة المجازية ، أو الأدبية .

والمعنى العام للقصيدة أو الموضوع يأتى فى سياق حديثه عن الفكرة التى تثور فى ذهنه . فيقول إنه أذا أراد نظم الشعر «محض المعنى الذى يريد بناء الشعر عليه فى فكره» . ثم يتبع ذلك بقوله : «و يقف على مراتب القول والوصف فى فن بعد فن» .

و يصف الأشعار المحكمة بأنها مستوفاة المعانى ، و يقصد هنا أنها لا تكون قاصرة أو ناقصة بحيث يكون للسامع تشوف أو تشوق إلى مانقص ،

و يشترط فى المعانى العَدل ، وعدم المغالاة أو الاسراف والمبالغة والخروج عن الحدود المقبوله لدى الفهم . و يقبّح من المعانى الرذل الممجوج الخارج عن العرف ، والمنافى للمنطق ، و يبلغ حد التناقض والإحالة .

و يستحسن فى المعانى الوضوح والبيان والصدق فى التعبير عن المراد ، ومناسبة المقام . يقول : «ومن الأ بيات الحسنة الألفاظ المستعذبة ، الرائعة سماعاً ، الواهية تحصيلا ومعنىً . وإنما يستحسن منها اتفاق الحالات التى وضعت فيها ، تذكر اللذات بمعانيها ، والعبارة عما كان فى الضمير منها ، وحكايات ماجرى من حقائقها دون نسج الشعر وجودته ، وأحكام رصفه ، واتقان معناه قول جميل :

فيا حسنها إذْ يغسل الدمع كحلها   وإذ هى تذرى الدمع منها الأنامل
عشية قالت فى العتاب قتلتنى   وقتلى بما كانت هناك تحاول

وكقول جرير :

إن الـذيـن غـدَوْا بـلـبّكَ غـادروا   وشـلاً بـعـيـنـك مـايـزال مـعـيـنـا
غيَّضْنَ مـن عـبـراتهـن وقـلـن لـى   مـاذا لـقـيـت مـن الهـوى ولـقـينا »

وماذا فـى الـشـعـر غير مـا ذكـر مـن تعبير الشعر بألفاظه عما وضعت فيها وتـذكر اللذات بمعانيها ، والعبارة عما كان فى الضمير منها ، وحكاية ما جرى من حقائقها .

ماذا بقى فى المعانى الشعرية بعد ذلك ؟

ولـقـد وقـع أبـن طـبـاطـبـا هنا فى الاضطراب ، والتناقض بين مقاييسه السابقة فى المقدمة للشعر الجيد ، وبين مأثور القيم أو المعايير التقليدية للشعر .

وكـمـا وقـع أبـن قتيبة من قبله أسيراً للمأثور من مقاييس النقد ، وللقيم الـفنية للشعر الجاهلى والأموى . تلك القيم القائمة على أساس أن غاية الشعر تهذيبية وليست تعبيرية .

أى أنـه لابـد للـشعر من أن يتضمن من المعانى مايفيد ، أو يؤدب النفس و يهذبها ، أو يؤثر تأثيرا مايفيد قائل الشعر أو من وراءه من ممدوح أو قبيلة .

أمـا أن يـكـون الـشـعـر صـادقـاً فى التعبير عما يحسه الشاعر ، عدلاً ، فهو مـقـيـاس قـال به أبن طباطبا ولم يلتزم به على ما سنبينه . وجَارَى فى الحكم عـلـى هـذا الـشـعـر الجـيـد معنًى وعبارة سابقة ابن قتيبة الذى وقع أسير القيم التقليدية للشعر[1]

(١) راجع مقدمة الشعر والشعراء طبع دار المعارف بمصر بتحقيق أحمد محمد شاكر .

يعلق، على مثل هذه الأشعار «الذاتية» ، أو التى تعبر عن حالات خاصة بقائليها دون معانى الشعر العامة المفيدة لكل سامع . بقوله :

«فالمستحسن من هذه الأ بيات حقائق معانيها الواقعة لأصحابها الواصفين لها دون صنعة الشعر وإحكامه» .

فهذه الأشعار وإن كانت مستحسنة لديه ولدى بعض الناس فهى لتلك العلة التى اشار اليها وهى تعبيرها عن صدق ماوقع لاصحابها دون صنعة لشعر وإحكامة أو وأحكامة .

فكأنه يقدم القواعد التقليدية للشعر على الصدق

ولهذا جعل الشعر المحكم وهو الشعر الدال على المعانى العامة أو الحكمة والتجارب الانسانية الرفيعة دون تجارب الشعراء الذاتية التى تقل درجة عن التجارب الانسانية .

ومن هنا كان تقسيم بعضهم للمعانى إلى شريف ووضيع ، فالشريف من المعانى ما اتصل بالقيم السامية ، من دينية وأخلاقية ، وتجارب انسانية نافعة ، تهذب النفوس وتدعو إلى السمو بها عن مطالبها الذاتية القريبة .

ولعل عامل العقل والمعانى العقلية ، والقيم السائدة أو الثابتة فى المجتمعات الكلاسيكية التى تسود فيها القبيلة والطبقة النبيلة أو الاشراف هى التى أملت هذه المعايير على نقاد الشعر فى ذلك العصر.

وذلك أن الذوق الفردى مستمد لاشك من الذوق الجمعى السائد فى عصر من العصور.

وفى تلك العصور الكلاسيكية التى تسود فيها مثل تلك القيم الثابته والتى تؤول إلى العقل ، لا يُسمَحُ للعواطف والأهواء الذاتية بالتسلل أو السيطرة .

ولكن نمو طبقة متوسطة فى مجتمع العباسيين من التجار والحرفيين أصحاب الصنائع والكتاب والمثقفين أدى إلى ظهور لون جديد من القيم فى المجتمع العربى منذ القرن الثالث ظهرت آثاره فى شعر المحدثين والمولدين ، وأدى إلى رفض القيم الثابته والمتوارثه ، والدعوة إلى قيم فنية جديدة فى الشعر ضمنها حركة « البديع » .

و يؤكد ابن طباطبا اخلاصه للذوق التقليدى رغم أنه شاعر محدث أو هكذا يظهر من حديثه . فيرى ضرورة مراعاة المقام « الطبقى » فى الكلام ، فلكل مكانه فى المجتمع ، و يناسبه من المعنى واللفظ مايتفق وتلك المكانة ، فللشر يف المعنى واللفظ الجليلان وللوضيع ما يناسبه كذلك من المعنى واللفظ .

و يقول : فيخاطب ــ الشاعر ــ الملوك بما يستحقونه من جليل المخاطبات ،و يتوقى حطها عن مراتبها ، أو أن يخلطها بالعامة ، كما و يتوقى أن يرفع العامة إلى درجات الملوك . و يعد لكل معنى مايليق به ، ولكل طبقة ما يشاكلها ، حتى تكون الاستفادة من قوله بوضع الكلام فى مواضعه أكثر من الاستفادة من قوله فى تحسين نسجه ، وابداع نظمه .»

فالمقدم عنده المعانى على جميل النسج ، ومراعاة أن توضع فى مواضعها دون تفاوت أو تجاوز. أرايت أكثر حفاظا من هذا الرأى ، ولا أكثر تمسكا بالقيم الثابتة فى المجتمع التقليدى أو الكلاسيكى الذى لايسمح بتخطى الحواجز.

وملاحظه دقيقة أخرى يمكن أن تستشف من هذا الكلام تلك هى حرصه على تقديم الرتبة على اللذة . أو مراعاة المقام على المتعة الشعرية . وهى حقيقة نابعة من ذلك الموقف الفكرى العام الذى أشرنا إليه .

الألفـــاظ :

واللفظ عنده ينقسم كذلك إلى شريف ووضيع ، و ينبغى مراعاة التناسب بين المعانى والألفاظ ، والمعانى عنده مقدمة ، على مايفهم من مضمون قوله .

و يقول ناصحاً الشاعر : « وأعدّ للمعنى ما يلبسة إياه من الألفاظ التى تطابقه و ينبغى أن تكون الألفاظ عنده من نمط واحد غير مخلجة ، ولامختلطة ولا متفاوته .

يقول : « وكذلك الشاعر إذا أسس شعره على أن يأتى فيه بالكلام البدوى الفصيح لم يخلط به الحضريّ المولد . وإذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أُخواتها ، ولذلك إذا سهل الفاظه لم يخلط بها الألفاظ الوحشية النافرة ، الصعبة القياد . »

ويميل أبن طباطبا عامة إلى سلاسة اللفظ وسهولته و بيانه ، فقد جعل ذلك من شروط المحكم إذ قال : السلسة الألفاظ ، ،

وهو يميل إلى تثقيف الشعر وتوفير جمال اللفظ ومناسبته وسهله دون صعبه وغر يبه.يقول : « ثم يتأمل ما قد أداه إليه طبعه ، ونتجته فكرته ، فيستقصى انتقاده و يرم ماوهى منه ، و يبدل بكل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية » .

و يعتبر الألفاظ معارض للمعانى ، ولباساً لها ، فاللفظ الجميل يزيد المعنى جمالاً ، بل قد يبهر بجماله فيغشى على مافى المعنى من قبح ، واللفظ القبيح يقبح المعنى ولو كان جميلاً .

يقول : وللمعانى ألفاظ تشاكلها ، فتحسن فيها وتقبح فى غيرها ، فهى لها كالمعرض للجارية الحسناء ، التى تزداد حسناً فى بعض المعارض دون بعض .

وكم من معنًى حسن قد شين بمعرضه الذى أبرز فيه
وكم من معرضٍ حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه .

وكم من زُبَرٍ للمعانى فى حشو الأشعار لا يحسن أن يطلقها غير العلماء بها

وكم من حكمة غريبة قد ازدريت لرثاثة كسوتها . **ولو جلّيت فى غير** لباسها ذاك لكثر المشيدون بها .

وكم من سقيم من الشعر قد يئس طبيب **من برئه ، عُولج سَقَمُه ،** فعاودته سلامته .

وكم من صحيح جُنِيَ عليه فأرداه حينه !!.

الوزن والقافية :

أشار أبن طباطبا فى تعريفة للشعر إلى أن الوزن أساس فى التفرقة بينه و بين النثر ولكنه يؤكد على القافية ويجعلها قاعدة الوزن والتى يتم عليها بناء البيت .

و يقول فى الحديث عن عملية الإبداع الشعرى : **أعد القوافى التى توافقه** والوزن الذى يسلس له القول عليه .

و يقول « **وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لِصَوابِه ومايرِدُ عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه** »

ونلاحظ فى عبارة ابن طباطبا أنه يجمع بين الوزن والايقاع ، **ثم يضيف إليه حسن التركيب واعتدال الأجزاء .**

ولانعدو الحقيقة إذا ما فسرنا ما أضمره هنا من حسن التركيب باتساق اصوات الكلمات والحروف فيما بينها مع اعتدال أوزانها .

ويجعل صحة الوزن واتفاقه مع صحة المعنى وعذوبة اللفظ عناصر متضافرة لجودة الشعر و بلوغه من السامع مبلغ **الارتياح وصحة الفهم .**

« فاذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى وعذو بة اللفظ ، فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر تم قبوله واشتماله عليه . »

الصياغة أو النسج :

يعتبر ابن طباطبا النسج أو الصياغة عنصراً أساسياً من عناصر البناء الشعرى و يقصد بالنسج تركيب الألفاظ فى العبارة ، وقد استخدم ابن طباطبا مع النسج مصطلحاً متعلقا به هو الإسداء والتنيير ، والصياغة .

وهو منذ البداية يقابل بين النسج وصياغة الشعر ، وتثقيفه ، أو تعديل أجزائه ، وتلوينه بالأصباغ .

و يقول مشبهاً الشاعر بالنساج : «و يكون كالنساج الحاذق الذى يفوّق وشيه بأحسن التفويق ، و يسديه و ينيره ، ولا يُهَلْهِلُ شيئاً منه ، فيشينه . وكالنقاش الرقيق الذى يضع الأصباغ فى أحسن تقاسيم نقشه ، و يشبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه فى العيان . »

والنسج والنظم بمعنى واحد ،وهما ضم الكلمات بعضها إلى بعض متفقه مع معانى النحو أو النظم بمعناه البلاغى ، ومتفقة مع الوزن ، أى على البحر المبنى عليه الشعر .

و يستخدم كلمة « الرصف » معادلاً للنسج والصياغة . فى وصف الاشعار المحكمة «فمن الأشعار المحكمة المتقنة المستوفاة المعانى ، الحسنة الرصف ، سلسة الالفاظ التى خرجت خروج النثر سهولة وانتظاماً ....

قول زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا ، لا أبالك يسأم

فصفات الإتقان ، والإحكام ، وحسن الرصف ، وسلاسة الالفاظ وخرجها وخروج النثر سهولة وانتظاما من صفات حسن الصياغة والنسج .

واستخدم نقيض المحكم الاشعار ذات النسج المتكلف ، القلقة القوافى فكأنه أدخل قلق القافية فى عيوب النسج والصياغة ، كما أن تمكنها من خصائص النسج المحكم .

و بضرب أمثله لتفاوت النسج واضطرابه بقوله :

واسق العدو بكأسه واعلم له   بالغيب أن قد كان قبل سقاكها

واجز الكرامة من ترى أن لوله   يوماً بذلت كرامةً لجزاكها

بقوله : فقوله فى البيت الأول (وأعلم له بالغيب) كلام غث . وله رديئة الموقع بشعة المسمع .

وواضح هنا أن العيب عيب صياغة ونظم لأن الكلمات لا تقع فى مواقعها حسب ترتيب المعنى بل فيها تقديم وتأخير لغير هدف معنوى ، بل لتكمل الملاءمة بين نظم الكلام ووزن الشعر . ومن هنا يأتيها الضعف وتثقل على الفهم ، وتقبح فى السمع إذا وقع فيها مع هذا الاضطراب عدم تآلف ، أو تنافر بين أصوات الحروف .

وقد يقصد بالنسج بناء القصيدة كلها بحيث تتآلف أبياتها معاً ، معنى ولفظاً وأفكاراً ، و ينتقل فيها من معنى إلى معنى فى سهولة و يسر ، دون عنت . فنصح الشاعر بأن يبنى شعره بناء الرسائل .

يقول : « و يسلك منهاج أصحاب الرسائل فى بلاغاتهم وتصرفهم فى مكاتباتهم فإن للشعر فصولاً كفصول الرسائل ، فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه فى فنونه صلة لطينة ، فيختلف من الغزل إلى المديح ، ومن المديح إلى الشكوى ، ومن الشكوى إلى الاستماحة ... إلخ بألطف تخلص وأحسن حكاية ، بلا انفصال للمعنى الثانى عما قبله ، بل يكون متصلاً به ، وممتزجاً معه » .

وإذا فهو يقصد أن يسلم الكلام بعضه إلى و يصبح القول كالسبيكة المفرغة متجانسة الشكل والمعدن ، لا تبدو بها شوائب تشوبها .

واعتبر علماء النقد هذا التآلف بين الكلام عنصراً هاماً من عناصر البلاغة وحسن البيان .

وسخروا من الشعر المفرق ، غير المتلائم ، ولا المترابط ، فشبهوه ببعر الكبش .

وشعر كبعر الكبش فرّق بينه لسان دعيّ فى الكلام ذميمُ

بناء القصيدة :

وإذا كان ابن طباطبا رأى ضرورة الحفاظ على اتساق النسج وتآلف أجزاء القصيدة فى معانيها وألفاظها فإنه كذلك رأى ضرورة أن تبنى القصيدة بناء فنياً متكاملاً فى مطلعها وتمهيدها الغزلى ، وتخلصها ، وانتقالها من موضوع إلى آخر .

و يكاد يقترب فى هذا التصور لمعنى نسج الشعر و بناء القصيدة من تصور النقاد المحدثين للوحدة الفنية للعمل الفنى . فهو يطلب فى القصيدة الشعرية بناء كبناء الرسالة . يقول عن الشاعر .

« و يسلك فى القصيدة منهاج أصحاب الرسائل فى بلاغاتهم ، وتصرفهم فى مكاتباتهم فإن للشعر فصولاً كفصول الرسائل ، فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه فى فنونه صلة لطيفة ، فيتخلص من الغزل إلى المديح ، ومن المديح إلى الشكوى ، ومن الشكوى إلى الاستماحة ، من وصف الديار والآثار إلى وصف الفيافى والنوق .. بألطف تخلص ، وأحسن حكاية ، بلا انفصال للمعنى الثانى عما قبله ، بل يكون متصلاً به ، وممتزجا معه . » .

مراعاة المقام أو حالة المتلقى

وتحدث عن العلاقة بين القصيدة والمقام ، أو موافقه القول فيها للحال الجارية ، أو الموقف ، أو ظروف المستمع ، ولاشك أنه يوافق فيها بين عمل الشاعر الفنى ، ودوره متكسباً يبغى رضا من يقدم له القصيدة لنيل الجائزة لكسب رضاه ، واتقاء غضبه .

الشعر والحكاية بين الابداع والتصوير أو التسجيل .

يرى ابن طباطبا أن الشعر يقوم بثلاثة أدوار: تسجيلى ، ووصفى وتأديبى ، أو تعليمى .

فهو يسجل حياة العرب بكل مظاهرها الإنسانية والاجتماعية ، كما يسجل البيئة العربية فى الجزيرة بكل مظاهرها الجامدة والحية .

وهو وصفى يقف أمام المشاهد الطبيعية ، والمواقف الإنسانية ، فينقلها فى صور وصفية شعرية ، يحمّلها مشاعرَه ، و يلوّنها بأحاسيسه . وهو تأديبى يتضمن خلاصة تجاربهم فى الحياة ، ونظرتهم فى الكون والخلق ، والدين أو العقيدة ، وقواعد السلوك والأخلاق . والخير والشر . كل ذلك فى صور من الحكمة والمثل .

يقول فى حديثه عن التشبيه عند العرب :

«فتضمنت أشعارها من التشبيهات ماأدركه من ذلك عيانها وحسها ، إلى مافى طبائعها وأنفسها من محمود الأخلاق ومذمومها ، فى رخائها وشدتها ، ورضاها وغضبها ، وفرحها وغمها ، وأمنها وخوفها ، وصحتها وسقمها ، والحالات المتصرفة فى خَلْقها وخُلُقها» .

و يرى ابن طباطبا من هذا المفهوم الثلاثى الأهداف للشعر أن العرب اتفقت على بعض المعانى ، أو مستويات المعانى ، أو مُثُل المعانى ، أى النماذج التى يُحتذى عليها ولا يصح تجاوزها ، أو إذا تجاوزها الشاعر لا يكون مجيداً أو متمكنا من صنعة الشعر .

ومن هنا تخرج مقاييسه للمعنى الشعرى ، فالمعنى الجيد هو ما قارب المثال أو النموذج المتعارف عليه ، وغير الجيد هو الخارج عليه بالنقص أو الزيادة .

وعلى هذا كله يبنى موقفه من السرقات على أساس اللفظ والمعنى . وحديثه فى السرقات ، يتصل بأسباب عدة بالحديث عن عيار الشعر ، لأن الأخذ عنده مشروع فى حدود الابتكار والإجادة ، أى إضافة الجديد إلى القديم المأخوذ ، والاجادة فيه لفظا ومعنى ، وماعدا ذلك يعد قبيحاً .

ومن هنا يضع مع الآمدى وغيره أسس السرقات الشعرية من حيث هى فن يُنبىء عن مقدرة الشاعر ، وليست قبيحة كلها ، وليست عيبا دائما يؤخذ به الشاعر .

ولعل هذا التصور هو الذى أدى إلى جعل بعض أشكال السرقات أو المآخذ فنا بديعيا أسماه المتأخرون من علماء البديع أسماء مختلفة[1]

عيــار الشعر :

وعيار الشعر عند ابن طباطبا فى النهاية يقوم على كل ماقدمنا من نظرة إلى اللفظ والمعنى وأحوالهما ، و بناء القصيدة ودور الشعر وأنماطه .

ونلاحظ اهتمامه منذ البداية بنمطين من أنماط الشعر ، هما النمط التسجيلى ، و يدمج معه الوصفى ــ والثانى التعليمى أو التاديبى ، و يأتى هذا النمط الثانى عنده فى المرتبة الأولى .

أما الشعر التسجيلى والوصفى (التعبيرى) وهو يخلط بينهما إلى حد كبير و يعتبرهما ضرباً من المحاكاة سواء محاكاة لشكل أو حالة و يركز فى تلقى الشعر على « الفهم » أولا ، ثم « الذوق » أى أن يكون الشعر مقبولا لدى الفهم أى العقل ، واقعا فيه موقعه ، ثم أن يكون ممتعاً أو لذيذاً .

(١) راجع فى ذلك بعض ابواب المآخذ فى تحرير التحبير لابن أبى الاصبع وجوهر الكنز لابن الأثير.

واللذة مدخل إلى الفهم ، أو وسيلة إليه ، وليست فى ذاتها غاية .

يقول : « وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب ، فما قبله واصطفاه فهو وافٍ ، وماجه ونفاه فهو ناقص » .

ومما يجعل الشعر قريبا إلى الفهم ، معقولا لديه الصدق ، وهو القرب من الحقيقة . و يضع فى اعتباره أن لكل معنى شعرى أصلا يحكيه ، هو حقيقته سواء أكانت هذه الحقيقة شكلا ، أو صورة و أو معنى ، أو قيمة عرفية أو علمية أو عقلية .

ولايقبل الفهم البعد عن تلك الحقيقة ، فيكون الكذب ، فى صورة المبالغة ، والتكلف ممثلا فى الإسراف فى اللفظ ، والخروج به عن حدود المعنى .

يقول ناصحا الشاعر « و يتعمد الصدق والوفق فى تشبيهاته وحكاياته و يقول : « فإذا استعصى المعنى ، وأحاط بالمراد الذى إليه يسوق القول بأيسر وصف ، وأخف لفظ لم يحتج إلى تطويله وتكريره »

و يقول : « إن من كان قبلنا فى الجاهلية الجهلاء ، وفى صدر الإسلام من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم فى المعانى التى ركبوها على القصد للصدق فيها ، مديحا أو هجاء ، وافتخارا ووصفا ، وترغيبا وترهيبا ، إلا ما قد احتمل الكذب فيه فى حكم الشعر ، من الإغراق فى الوصف والإفراط فى التشبيه . وكان مجرى ما يوردونه منه مجرى القصص الحق ، والمخاطبات بالصدق »

وإلى جانب الصدق أو مقاربة الحقيقة يأخذ بمعيار « العدل » أو لاعتدال .

يقول : « والعلة فى قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذى يرد عليه ونفيه للقبيح منه ، واهتزازه ، لما يقبله ، وتكرهه لما ينفيه أن كل حاسة من حواس البدن إنما تتقبل مايتصل بها مما طبعت له إذا كان وروده عليها لطيفا باعتدال لا جور فيه ، وبموافقة لا مضادة معها .

و يقول مرة أخرى : « والفهم يأنس من الكلام بالعدل ، الصواب ، الحق والجائز المعروف المألوف ، و يتشوف إليه ، و يتجلى له . » .

« و يستوحش من الكلام الجائر ، والخطأ والباطل ، والمحال ، والمجهول المنكر ، و ينفر منه و يصدأ له .

النظـــــــام

ومن معايير الحسن فى الشعر لفظا ومعنى **النظام** وهو صورة من صور العدل ، لأن الفوضى والاضطراب صورة من صور الجور ، والنظام والعدل فى النهاية صورتان من صور الحسن أو الجمال ، وعكس ذلك الفوضى والجور صورتان من صور القبح .

ومشاهد النظام فى الكون عديدة ، فهى فى هذا التردد المنتظم فى حركة المظاهر الطبيعية والكونية فى الشمس والقمر والليل والنهار وحركة الموج فى البحر وتردد الأصوات الطبيعية ، والتناسق والنظام فى أشكال الحياة من حيوان أو نبات .

يقول : « وعلة كل حسن مقبول الاعتدال ، كما أن علة كل قبح منفى الاضطراب »

التوافق النفسى (الذوق)

يقول : « والنفس تسكن إلى كل ما وافق هواها ، وتقلق مما يخالفه » »
ونلاحظ استخدامه لكلمة تسكن ، وتقلق.ولعل هذا التعبير أصدق مايكون عن فعل « الجمال » أو « الحسن » فى النفس ، أو وقوعه فيها موقعه ، فيؤدى بها الى السكون ، وكأن الجمال أو الحسن يسلُّ من النفس **السخائم** التى تقلقها ولكل نفس مايوافقها (ذوقها) من الكلام ، والصُور

عِيَارُ الشِّعْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

[وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم][1] .

الحمدُ لله ربِّ العَالمين ، وصَلَواتُه على سيِّدنا محمدٍ وآلهِ الطَّاهرين .

قال أبُو الحسن . محمدُ بنُ أحمَد بن طبَاطِبَا العَلَوىُّ ــ رَحْمةُ الله عليهِ :

وفَّقكَ الله للصَّوابِ ، وأعَانكَ عليهِ ، وجنَّبكَ الخَطأ ، وباعَدَكَ منهُ ، وأدَامَ أنُسَ الآدابِ باصْطِفَائك لها ، وحياةَ الحِكْمَةِ باقْتِنائك إيَّاهَا .

فهمتُ ــ حاطَكَ اللهُ ــ ما سألتَ أنْ أصِفَه لكَ من علم الشِّعرِ ، والسَّبب الذى يُتوصَّلُ به إلى نَظمِهِ ، وتقريبَ ذلِكَ على فهْمِكَ ، والتأتىَّ لتيسيرِ ما عسُر منه عليك . وأنا مُبَيِّنٌ ما سألتَ عنه ، وفاتحٌ ما يستغلقُ عليك منه ، إن شاء الله تعالى .

الشعر وأدواته

الشعرُ ــ أسعدكَ الله ــ كلام منظوم ، بائن عن المنثور الذى يستعمله الناس فى مخاطباتهم ، بما خُصّ به من النظم الذى إن عُدِلَ عن جهته مَجتهُ الأسماعُ ، وفسَد على الذَّوقِ . ونظمُه معلومٌ محدودٌ ؛ فمن صحَّ طبعُه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانةِ على نظمِ الشعرِ بالعَرُوضِ التى هى ميزانُه ، ومن أضطرَبَ عليه الذوقُ لم يَستغْنِ[2] عن تصحيحه وتقويمه[3] بمعرفةِ العرُوضِ والحِذْقِ به ، حتى تعتَبرَ معرفتُه المستفادةُ كالطَّبعِ الذى لا تكلُّف مَعه .

وللشعرِ أدواتٌ يجبُ إعدادُها قبل مِراسِه ، وتكلُّفِ نظمه . فمن تعصَّتْ

(١) العبارة : (وصلى... وسلم) نرجح أنها إقحام من الناسخ .

(٢) يستغن : فى الأصل هكذا : (يستقر)

(٣) فى الاصل : « تقوية » .

عليه أداةٌ من أدواته ، لم يكمل له ما يتكلفه منه ، و بان الخلل فيما ينظمه ، ولحقته العيوبُ من كلّ جهة .

فمنها : التوّسع فى علم اللغة ، والبراعة فى فهم الإعراب ، والرواية لفنون الآداب ، والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم ، ومناقبهم ومثالبهم ، والوقوف على مذاهب العرب فى تأسيس(١) الشعر والتصرف فى معانيه ، وفى كل فن قالته العرب فيه ؛ وسلوك سُبُلها ومناهجها(٢) فى صفاتها ومخاطباتها وحكاياتها وأمثالها ، والسنن المستدلة منها ، وتعريضها وتصريحها ، وإطنابها وتقصيرها ، وإطالتها وإيجازها ، ولطفها وخلابتها ، وعذوبة(٣) ألفاظها ، وجزالة معانيها وحسن مباديها ، وحلاوة مقاطعها ، وإيفاء كل معنى حظه من العبارة ، وإلباسه ما يشاكله من الألفاظ حتى يبرز فى أحسن زى وأبهى صورة . واجتناب ما يشينه من سفساف الكلام وسخيف اللفظ ، والمعانى المستبردة ، والتشبيهات الكاذبة ، والإشارات المجهولة ، والأوصاف البعيدة ، والعبارات الغثة ، حتى لايكون متفاوتا مرقوعاً(٤) ، بل يكون كالسبيكة المفرغة ، والوشى المنمنم والعقد المنظم ، واللباس الرائق(٥) ، فتسابق معانيه ألفاظه ، فيلتذ الفهم بحسن معانيه كالتذاذ السمع بمونق لفظه ، وتكون قوافيه كالقوالب لمعانيه ، وتكون قواعد للبناء يتركب عليها و يعلو فوقها ، فيكون ماقبلها مسوقاً إليها ، ولا تكون مسوقة إليه ، فتقلق فى مواضعها ، ولا توافق ما يتصل بها ، وتكون الألفاظ منقادة لما تراد له ، غير

(١) فى الأصل محو وبقى « يس » .

(٢) مناهجها : كذا فى هامش الأصل تصحيحاً لما هو بإزائها منهاجا .

(٣) وعذوبة : كذا كما يمكن أن تدل عليه بقية الحروف المتآكلة .

(٤) مرتوعا ـ هكذا فى الاصل ، وقد تكون « مرفوا » .

(٥) الرائق ـ هكذا فى الأصل .

مستكرهة ، ولامتعبة ولاعسرة الفهم بل لطيفة الموالج ، سهلة المخارج .

وجمّاع هذه الأدوات كمال العقل الذى به تمييز الأضداد ، ولزُوم العدْلِ وإيثارُ الحسْنِ ، واجْتِنابُ القُبْح ، ووضْعُ الأشياء مواضِعَها .

صناعة الشعر

فإذا أرَادَ الشاعرُ بناء قصيدة مخضَ المعْنَى الذى يُريد بناء الشِّعرِ عليه فى فِكرهِ نثراً ، وأعدّ لهُ ما يُلبّسُهُ إيّاهُ من الألفاظِ التى تُطابقُه ، والقَوافِى التى توافِقُه ، والوزْنَ الّذِى يُسلِسُ له القَوْلَ عليهِ . فإذا اتّفقَ لهُ بيتٌ يُشاكِلُ المعْنَى الّذى يرُومُه أثبتَه ، وأعمل فِكْرَه فى شَغل القوافِى بما تقْتَضِيه من المعَانى على غيرِ تنْسِيقٍ للشعر أو ترتيب لفُنونِ القَوْلِ فيه ؛ بلْ يُعلّقُ كلّ بيتٍ يتّفقُ لهُ نظمُه ، على تفاوتِ مابينَه وبيْنَ ما قبْلَه . فإذا كمُلَتْ لهُ المعَانِى ، وكثُرتْ الأ بياتُ ، وفّقَ بينها بأبيات تكوُن نِظاماً لها ، وسلْكاً جامِعاً لما تَشتّت منها . ثم يتأمّلُ ما قد أدّاهُ إليهِ طبعُه ، ونتَجتْهُ فِكْرتُه ، فيسْتقْصِى انتقَاده ، و يَرُمّ ماوَهى منه ، و يبدّلُ بكلّ لفظةٍ مُستكْرهةٍ لفظةً سهلةً نقيةً ، وإن اتّفقَتْ لهُ قافِيةٌ قدْ شغَلها فى مَعْنًى من المعَانِى ، واتّفقَ له معنًى آخرُ مضادٌّ للمَعْنَى الأوّلِ ، وكانت تلكَ القَافيةُ أوقَع فى المعْنَى الثّانى مِنْها فى المعْنى الأوّل ، نقَلها إلى المعْنَى المخْتار الذّى هو أحسَنُ ، وأبطلَ ذلكَ البيْتَ أو نقَضَ بعضَه ، وطَلَب لمعناه قافيةً تشاكله .

و يكون كالنسّاجِ الحاذِقِ الّذِى يُفَوفُ وشْيَه بأحْسَن التّفويف و يُسدّيه(١) وَ ينَيرُه(٢) ، ولايُهلهِلُ شيئاً منه فيَشينُه ، وكالنّقاشِ الرّفيق الذى يضَعُ الأصْبَاغَ فى أحسَنِ تَقَاسِيم نقْشِه ، و يُشبع كلّ صِبغٍ منها ، حتّى يتضَاعفَ حُسنُه فى العَيانِ ، وكناظِم الجوْهَر الذّى يؤلّفُ بينَ النّفيس منها

(١) فى الأصل يسده وأصله من سدى الثوب ومامدمن خيوطه .

(٢) النير بالكسر القيد ، والخيوط إذا اجتمعت وعلم الثوب ونيره جعل له نيرا .

والثَّمِين الرَّائق ، ولايشِينُ عقُودَهُ ، بأن يُفاوتَ بين جوَاهِرها فى نَظْمِها وتَنْسِيقها .

وكذلك الشَّاعرُ إذا أَسَّس شِعرَهُ على أن يأتِي فيه بالكَلامِ البَدوىّ الفَصِيح ، لم يخلِطْ به الحضَرِىّ الموَلَّد . وإذَا أتى بلفظةٍ غريبةٍ أتبعَها أخوَاتِها ، وكذلك إذا سهَّل ألفَاظَهُ ، لَمَ يخْلِطْ بها الألفَاظَ الوحْشِيَّةَ ، النَّافِرةَ ، الصَّعْبةَ القِياد ، و يقفُ على مَراتِب القَوْلِ والوَصْفِ فى فنٍّ بعدَ فنّ ، و يتعمَّدُ الصِّدْقَ والوفْقَ فى تشبيهاتِه ، وحكاياتِه ، و يُحضر لبَّه عند كل مخاطبةٍ ووصف ، فيخَاطبُ الملوكَ بما يستَحقُّونَه من جَليلِ المخَاطَبات ، و يتوقّى حطَّها عن مَرَاتبها ، أو أن يخلِطَها بالعامَّة ، كما يَتوقَّى أن يرفَع العَامَّة إلى درَجاتِ المُلوكِ . و يُعِدُّ لكلِّ معنًى ما يليق به ، ولكلِّ طبقةٍ ما يشاكلها ، حتى تكون الاستفادةُ من قوله فى وضْعِه الكلامَ مواضِعَه أكثرَ من الاستفادةِ من قوله فى تحسينِ نَسجِهِ وإبدَاعِ نَظْمِه .

و يسلكُ مِنهاجَ أصْحَاب الرَّسائِل فى بلاغَاتهم ، وتصرُّفِهم فى مُكاتَباتِهم ، فإنَّ للشِّعْرِ فُصُولاً كفُصُولِ الرسائل ، فيحَتاجُ الشَّاعِرُ إلى أن يَصِل كلامَهُ على تصرُّفِه فى فنُونه صلةً لطِيفةً ، فيتخلَّصُ من الغزَلِ إلى المديح ، ومن المدِيح إلى الشَّكوَى ، ومن الشَّكوَى إلى الاستِماحَةِ ، ومن وصْف الدِّيارِ والآثارِ إلى وصف الفيَافِى والنُّوقِ ، ومن وصْف الرُّعودِ والبرُوقِ إلى وصْف الرِّياضِ والرُّوَادِ ، ومن وصف الظُّلمانِ ، والأعيار ، إلى وصف الخَيلِ والأَسْلِحةِ ، ومن وصْف المفَاوز ، والفيافِى ، إلى وصْف الطَّرَد والصَّيدِ ، ومن وصفِ اللَّيلِ والنُّجوم إلى وصف المواردِ ، والمياهِ ، والهواجِرِ ، والآلِ ، والحرَابىِّ والجنَادِب . ومن الافتخارِ إلى اقْتِصاصِ مآثِرِ الأسْلافِ ، ومن الاسْتِكانةِ والخُضُوعِ إلى الاستِعْتاب والاعْتذار ، ومن الإباء والاغتياصِ إلى الإجابةِ والتَّسمُّحِ ، بألطَف تخلصٍ وأحسنِ حكايةٍ ، بلا انْفصَالٍ للمعْنى الثانى عما قبله ، بل يَكُونُ متَّصلاً به وممتزجاً معه ، فإذا اسْتقْصَى المعنَى

وأحاطه بالمرَاد الذى إليه يَسُوقُ القَوْلَ بأيْسرِ وصْفٍ وأخَفِّ لفْظٍ لم يحتَجْ إلى تطْويله وتكريره .

والشِّعرُ على تحصيلِ جنسِه ومعرفةِ أسمه مُتشَابهُ الجملة ، متفاوتُ التَّفصيل ، مختلفٌ كاخْتلافِ النَّاسِ فى صُوَرِهم ، وأَصْواتِهم ، وعُقُولِهم ، وحظُوظِهِمْ وشمَائلِهم ، وأخْلاقِهم ، فهم مُتفَاضِلُونَ فى هذهِ المعَانِي ، وكذلكَ الأشعَارُ هِيَ متفَاضِلةٌ فى الحسْنِ ، على تَساوِيها فى الجِنْس ؛ ومواقِعُها من اخْتيار النَّاس إياها كمواقِعِ الصُّوَرِ الحسَنةِ عندَهم ، واختيارُهم لما يَستحسِنُونَه منها . ولكلٍّ اختيارٌ يؤْثِرُه ، وهوًى يتبعه ، وبُغيةٌ لا يستَبدِلُ بها ، ولا يُؤْثِرُ سواها .

وقد جَمعنا ما اختَرْناهُ من أشعارِ الشُّعراءِ فى كتاب سمَّيناهُ « تهذيبُ الطَّبعِ » يَرتاضُ من تعَاطِى قولَ الشِّعر بالنَّظرِ فيه ، ويسلكُ المِنهاجَ الذى سلكه الشعراءُ ، ويتناولُ المعانِيَ اللَّطِيفَةَ كتناوُلِهم إيَّاها ، فيحتَذِى على تِلك الأمْثِلة فى الفُنونِ التى طرَّقُوا أقوَالَهم فيها . واقتصرْنا على ما أخْترنَاه من غير نفى لما تركناهُ ، بل لاستحسانٍ له خصَصْنَاهُ به دُونَ ما سِوَاهُ ، وقد شَذَّ عنا الكثيرُ مما وجَب اختيارُه وإيثارُه ، وإذا استَنفدْناهُ ألحقْناهُ بما اخترْناهُ إنْ شاء الله تعالى .

فمن الأشعار أشعارٌ محكمةٌ متقنةٌ أنيقةُ الألفاظِ حكيمةُ المعانِى ، عجيبةُ التَّأليفِ إذا نُقِضَتْ وجُعِلت نثراً لم تبَطُل جودةُ معانيها ، ولم تفقد جزالةَ ألفاظِها . ومنها أشعارٌ مموَّهةٌ ، مُزخرفةٌ عذبةٌ ، تروقُ الأسماعَ والأفهامَ إذا مرَّت صفحاً ، فإذا حُصِّلت وانتُقِدتْ بُهرِجَتْ معانيها ، وُزيِّفتْ ألفاظُها ، ومجَّت حلاوتُها ، ولم يصلُح نقضُها لبناء يستأنفُ منه ، فبعضُها كالقصُورِ المشيَّدة ، والأبنيةِ الوثيقة ، الباقيةِ على مَرِّ الدُّهور ، وبعضُها كالخيام الموتَّدةِ ، التى تُزعْزِعُهَا الرياح ، وتوهيها الأمطار ، ويُسرع إليها البِلى ، ويُخشى عليها التقوُّض .

المعانى والألفاظ

وللمعانى ألفاظٌ تشا كِلُها ، فتَحْسُنُ فيها وتَقْبُح فى غَيرها ، فهى لها كالمعْرِضِ للجارية الحسْناء ، التى تزْدَادُ حُسناً فى بعضِ المَعارِضِ دونَ بعض . وكم مِن معنًى حسنٍ قد شِينَ بمعرضه الذى أبرز فيه ، وكم من معرِض حسنٍ قد ابتُذِل على معنى قبيح الُبِسَه ، وكم من صارمٍ عضْبٍ قد انتضاه من وددت لو أنه انتضاه فهزّه ثم لم يضرب به ، وكم من جوهرةٍ نفيسةٍ قد شِينَتْ بقرينةٍ لها بعيدة منها ، فأُفْرِدَتْ عن أخواتها المشاكلاتِ لها ، وكم من زائفٍ وبهرجٍ قد نفَقا على نقَّادهما ، ومن جيد نافِقٍ قد بُهرجَ عند البصير بنقْدِه فنفَاهُ سَهْواً ، وكم من زُبرٍ للمعانى فى حشوِ الأشعارِ لا يُحسنُ أنْ يُطلعَها غيرُ العلماء بها ، وكالصَّياقِلة للسيوف المطبوعة منها ، وكم من حكمةٍ غريبةٍ قد أزدُرِيتْ لرثَاثةِ كُسوتها ، ولوجُليتْ فى غيرِ لباسها ذاكَ لكثر المشيرُون إليها ، وكمْ من سقيمٍ من الشعر قد يئِسَ طَبيبُه من بُرئِه ، عولج سقَمُه فعاودتْه سلامتُه ، وكم من صحيحٍ جُنِيَ عليه فأرداه حينُه .

وليس يخلو ما أودعناه اختيارَنا المسمّى « تهذيب الطبع » من بناء إن لم يصْلُح لأن تَسكُنَ الأفهَامُ فى ظِلّه لم يبطلْ أن يُنتفعَ بنقْضِه ، فبعض البناء يحتاجُ إليه .

شعر المولدين

(١) وستعثر فى أشعارِ المولّدين بعجائبَ استفادُوها ممن تقدمهم ، ولطُفوا فى تناوُلِ أصُولها منهم ، ولبَّسوها على من بعدهم وتكثّروا بأبدَاعِها فسلِمتْ لهم عند إدعائها ، للطيفِ سحرِهم فيها ، وزخرَفتِهم لمعَانيها .

(٢) والمحنةُ على شعراء زمانِنا فى أشعارِهم أشدُّ منها على من كان قبلَهم لأنهم قد سُبِقُوا إلى كلّ معنًى بديع ولفظٍ فصيح ، وحيلةٍ لطيفةٍ ، وخلابةٍ

ساحِرة. فان أتوا بما يقصُر عن معانى أولئك، ولا يُربى عليها لم يُتلَقَّ بالقَبُول وكان كالمَطّرَحِ الممْلُول. ومع هذا فانَّ من كان قبلنا فى الجاهليةِ الجهلاء، وفى صدر الاسلام، من الشعراء كانوا يؤسِّسُون أشعارَهم فى المعانى التى ركبوها على القَصدِ للصِّدق فيها مديحاً وهجاءً، وافتخاراً، ووصفاً، وترغيباً، وترهيباً، إلا ماقد احتُمل الكذبُ فيه فى حُكم الشعر: من الاغراقِ فى الوصف، والإفراط فى التشبيه. وكان مُجرى مايوردونه مُجرى القَصص الحقّ، والمخاطباتِ بالصِّدق، فيحابُون بما يُثابون و يُثابون بما يُحابون.

والشعراء فى عصرنا إنما يُثابُون على مايُستحسنُ من لطيفِ مايُوردُونَه من أشعارهم، و بديع مايُغربُونَه من معانيهم، و بليغ ماينظمونه من ألفاظهم ومضحك مايروُونه من نوادِرهم، وأنيقِ ماينسُجونه من وشى قولهم، دون حقائق مايشتمِلُ عليه من المدح، والهِجَاءِ، وسَائر الفُنون التى يُصرِّفون القولَ فيها. فاذا كانَ المديحُ ناقِصاً عن الصِّفةِ التى ذكرناها، كان سبباً لحرمانِ قائله، والمتوسّل به. واذا كانَ الهجاءُ كذلك أيضاً كان سبباً لاستهانةِ المهجوّ به وأمنه من سيره، وروايةِ الناس له، وإذاعتهم إياه وتفكههم بنوادره لاسيما وأشعارُهم متكلفةٌ غيرُ صادرةٍ عن طبعٍ صَحيحٍ، كأشعارِ العرَب التى سبيلُهم فى منظومِها، سبيلُهم فى منثورِ كلامِهم الذى لا مشقَّةَ عليهم فيه.

فينبغى للشَّاعر فى عصْرنا أن لا يُظهر شعرَه إلا بعد ثِقتِه بجوْدتِه وحُسْنِهِ، وسلاَمتِهِ من العُيوب التى نُبِّه عليها، وأُمر بالتحرّز منها، ونُهى عن اسْتعمال نظائرها، ولايقعُ فى نفسِه أن الشِّعرَ موضِعُ اضْطِرارٍ، وأنه يَسلُكُ سبيلَ من كانَ قبله، ويحتجّ بالأبياتِ التى عيبَتْ على قائلها؛ فليسَ يُقتَدى بالمسىءِ، وإنما الاقتدَاءُ بالمحْسِن، وكُلٌّ واثِقٌ فيه مُجلٌ لهُ إلا القليلَ.

ولايُغِيرُ على معانِي الشِّعر فيودِعُها شعرَه، ويخرجُها فى أوزان مخالفةٍ لأوزانِ الأشعار التى يتناول منها مايتناولُ، و يتوهَّم أن تغييرَهُ للألْفاظِ

والأوزانِ مما يَستترُ سرقَته ، أو يُوجِبُ له فضِيلةً ، بل يديمُ النظرَ فى الأشعارِ التى قد اخْترنَاها لتلتَصِق معانيها بفهْمِه ، وترسُخ أصُولهاُ فى قلبه ، وتصيرَ موادَّ لطبعه ، و يذرَبُ لسَانُهَ بألفاظِها ؛فاذا جاشَ فكرُه بالشّعر أدّى إليه نتائجَ ما استفادَهُ مما نظرَ فيه من تِلكَ الأشْعار، فكانَتْ تلكَ النتيجةُ كسبيكةٍ مفرّغةٍ من جميعِ الأصْنافِ التى تُخرِجُها المعَادِنُ . وكما قد اغْترفَ من وادٍ قد مدَّتهُ سُيولٌ جَاريةٌ من شعاب مختلفة ، وكطيب تركّب من أخلاط من الطّيب كثيرةٍ ، فيُستغْرَبُ عيانهُ ، و يغمضُ مستبْطَنهُ ، و يُذهبُ فى ذلكَ إلى مايُحكى عن خالدِ بن عبد الله القسْرى ، فإنه قال : « حفظنى أبى ألف خُطبةٍ ثم قالَ لى تناسَها ؛ فتناسيْتُها ؛ فلم أردْ بعد ذلك شيئاً من الكلام إلا سَهُل علىّ » . فكان حِفْظُهُ لتلكَ الخُطبِ رياضةً لفهْمِه ، وتهذيباً لطبعِة ، وتلقِيحاً لذِهْنِه ، ومادَّةً لفصَاحَتِه ، وسبباً لبلاغَتِه ولسَنِه وخطَابتِه .

طريقة العرب فى التشبيه

وأعلم أن العربَ أودعتْ أشعارَها من الأوصافِ والتشبيهاتِ والحِكَم ما أحاطَتْ به معرفَتُها ، وأدرَكهُ عيانها ، ومَّرت به تجاربها وهم أهل وبر: صحونهم البوادى وسقوفهم السماء ؛ فليست تعدو أوصافهم مارأوه منها وفيها ، وفى كل واحدة منهما فى فصول الزمان على اختلافها : من شتاء ، وربيع ، وصيف ، وخريف ، من ماء ، وهواء ، ونار ، وجبل ، ونبات ، وحيوان ، وجماد ، وناطقٍ ، وصامت ومتحركٍ ، وساكن ، وكلّ متولّد من وقت نشوئه ، وفى حال نموه إلى حال انتهائه . فتضمَّنت أشعارُها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانها وحسُّها ، إلى ما فى طبائعها وأنفسِها من محمود الأخلاق ومذمُومهَا ، فى رخائها وشدَّتها ، ورضاها وغضبها ، وفرحها وغمّها ، وأمنها وخوفها ، وصحتها وسقَمها ، والحالات المتصرفة فى خلقها ، من حال الطفولة إلى حالِ الهرم ، وفى حال الحياة إلى حال الموت . فشبَّهتْ

الشي بمثله تشبيهاً صادقاً على ماذهبت إليه فى معانيها التى أرادتها (١)، فاذا تأمّلتَ أشعارها، وفتّشت جميعَ تشبيهاتها وجدتها على ضروب مختلفة تتدرج أنواعها. فبعضُها أحسنُ من بعض، وبعضُها ألطفُ من بعض. فأحسنُ التشبيهات ما إذا عُكِسَ لم ينتقِضْ، بل يكونُ كلُّ مشبَّهٍ بصاحبه مثلَ صاحبه، ويكونُ صاحبُه مثلَه مشتبهاً به صورةً ومعنى. وربما أشبَه الشيء الشيء صورةً وخالفهُ معنًى، وربما أشبهَهُ معنًى وخالفه صورةً، وربما قارب به وداناه أو شامَّه(٢). وأشبهَهُ مجازاً لا حقيقة.

فاذا اتفق لك فى أشعار العرب التى يحُتجُّ بها تشبيه لا تتلقّاهُ بالقبول، أو حكايةٌ تستغربُها فابحث عنه ونقِّر عن معناه، فانك لا تعْدمُ أن تجد تحتَه خبيئةً إذا أثرتها عرَفْت فَضْلَ القومِ بها، وعلِمْتَ أنهم أدقُّ طبعاً من أن يلفِظوُا بكلامٍ لا معنى تحته. وربما خِفيَ عليك مذهبُهم فى سُننٍ يستعملُونها بينهم فى حالات يصفونها فى أشعارهم، فلايمكنك استنباطُ ماتحت حكاياتهم، ولا تفهمُ مُثُلها إلاسماعاً، فاذا وقفتَ على ماأرادوه، لطف موقعُ ما تسمعُه من ذلِكَ عند فهمِك.

والكلامُ الذى لا معْنَى له كالجسَدِ الذى لا رُوحَ فيه. كما قال بعض الحكماء: «للكلام جسدٌ ورُوح، فجسدهُ النُّطقُ وروحُه معناه». فأمّا ماوصَفتْهُ العرَبُ، وشبَّهتْ بعضه ببعضٍ فما أدركه عيانها فكثيرٌ لايُحصرُ عددُه، وأنواعُه كثيرةٌ. وسنَذْكُر بعضَ ذلكِ، ونبيِّنُ حالاَتِه وطَبقاتِه إن شاء الله تعالى.

(١) أرادتها: فى الاصل: أرادته. (٢) أوشامه: هكذا فى الاصل.

المثل الأخلاقيةُ عند العرب وبناءُ المدح والهجاءِ عليها

وأما ماوَجدَتْهُ فى أخلاقِها ، ومدَحتْ به سوَاها ، وذمّت من كان على ضِدّ حاله فيه فخِلالٌ مشهورةٌ كثيرةٌ؛ منها فى الخَلْق الجمالُ والبَسْطةُ ، ومنها فى الخُلُق السَّخاء والشجاعةُ ، والحِلْمُ والحزمُ والعزْمُ ، والوفاءُ ، والعفافُ ، والبرُّ ، والعقلُ ، والأمانةُ والقناعةُ ، والغيرة ، والصّدقُ ، والصَّبرُ ، والورَعُ ، والشُّكرُ ، والمداراةُ ، والعفو ، والعدْلُ والاحسان ، وصلةُ الرَّحِم ، وكتْم السّر ، والمواتَاةُ ، وأصالةُ الرأى ،والأنَفَةُ ، والدّهاءُ وعلوُّ الهمّةِ ، والتواضعُ ، والبيانُ ، والبِشْر ، والجَلَد ، والتَّجاربُ ، والنّقضُ والابرامُ . ومايتفرع من هذه الخلال التى ذكرناها من قِرَى الأضيافِ ، وإعطاءِ العُفاةِ ، وحمْلِ المغَارم ، وقمعِ الأعداء ، وكظْم الغَيْظِ ، وفهمِ الأمورِ ، ورعايةِ العهْدِ ، والفكرةِ فى العواقب ، والجدّ ، والتشهير ، وقمع الشَّهوات ، والايثارِ على النفس وحفظ الودائع ، والمجازاة ، ووضع الأشياء مواضِعَها ، والذبّ عن الحريم ، واجتلابِ المحبة ، والتنزُّه عن الكذب ، واطّراح الحِرْص ، وإدّخارِ المحامد والأجْر ، والاحترازِ من العدوّ ، وسيادة العشيرة ، واجتناب الحسد ، والنكاية فى الأعداء ، وبلوغ الغايات ، والاستكثار من الصدق ، والقيام بالدِّيةِ ، وكبت الحُسَّاد ، والإسراف فى الخير ، واستدامة النعمة ، وإصلاح كل فاسد ، واعتقاد المنن ، واستعْبادِ الأحرار بها ، وإيناس النَّافر ، والإقدام على بصيرة ، وحفظ الجار . وأضدادُ هذه الخلال : البخلُ ، والجبنُ ، والطيشُ ، والجهل ، والغْدر ، والاغترارُ ، والفشلُ ، والفجورُ ، والعقوقُ ، والخيانة ، والحرص والمهانة ، والكذبُ ، والهلَعُ ،وسوء الخُلُقِ ، ولؤْمُ الظّفَرْ (١) والجَوْرُ ، والإساءةُ ، وقطيعةُ الرّحِم ، والنّميمةُ ، والخلاف ،

(١) ولؤم الظفر : هكذا فى الاصل ولعل معناها اللؤم فى حالة الظفر ، وربما كانت الظفر محرفه عن الطبع . فتكون « لؤم الطبع »

والدَّناءةُ، والغفلةُ، والحسدُ، والبغيُ، والكِبْرُ، والعُبوس، والإضاعةُ، والقُبحُ، والدَّمامةُ، والقماءةُ، والابتذالُ، والخرَفُ، والعجزُ؛ والعيُّ.

ولتلك الخصال المحمودة حالاتٌ تؤكِّدها، وتضاعِفُ حسنَها، وتزيد فى جلالة المتمسِّك بها، كما أن لأضدادها أيضاً حالاتٍ تزيدُ فى الحطِّ ممن وسم بشىءٍ منها، ونُسِبَ إلى استشعار مذمومها، والتمسك بفاضِحها، كالجود فى حالِ العُسرِ موقعُه فوق موقعِه فى حال الجِدَه، وفى حال الصَّحو أحمدُ منه فى حال السُّكْر، كما أن البُخْل من الوافِرِ القادرِ أشنعُ منه من المضطر العاجز، والعفو فى حال المقدرةِ أجلُّ موقعاً منه فى حال العجز، والشجاعةُ فى حال مبارزةِ الأقرانِ أحمدُ منها فى حالِ الإحراج ووقوع الضَّرُورَةِ، والعِفَّةُ فى حال اعتراض الشهوات والتمكُّن من الهوى أفضلُ منها فى حال فقدان اللذات، واليأس من نيلها، والقناعةُ فى حالِ تبرُّجِ الدُّنيا ومطامِعها أحسنُ منها فى حال اليأس وانقطاع الرجاء منها.

وعلى هذا التمثيل جميعُ الخصال التى ذكرناها، فاستعملت العرب هذه الخلالَ وأضدادَها، ووصفتْ بها فى حَالىْ المدح والهجاءِ، مع وصف مايُستعدُّ بهِ لها، ويُتَهَّأُ لاستعمالِهِ فيها، وشعَّبت منها فنوناً من القولِ، وضروباً من الأمثال، وصنوفاً من التشبيهات، ستجِدُها — على تفننها، واختلافِ وجُوهِها — فى الاختيارِ الذى جمعناه، فتسلُكَ فى ذلك مناهِجَهُم، وتحتذِىَ على مِثَالِهم إن شاء الله تعالى (١)

(١) الاختيار الذى يعنيه هو كتاب (تهذيب الطبع) الذى تقدم ذكره.

[علة حسن الشعر]

وعيارُ الشِّعر أن يُورَد على الفَهم الثَّاقب فما قَبلَهُ واصْطفَاهُ فُهو وافٍ ، ومامَجَّهُ ونفَاه فهو ناقِصٌ .

والعلةُ فى قَبولِ الفهْمِ الناقِد للشعرِ الحسن الذى يَردُ عليه ، ونفيُه للقبيح منه ، واهتزازُه لما يقبله ، وَتكرُّهُهُ لما ينفيه ، أنَّ كلَّ حاسةٍ من حواسِّ البدَنَ إنما تتقبَّلُ مايتَّصلُ بها مما طُبِعَتْ له إذا كانَ وُرُودُه عليها وروداً لطيفاً باعتدالٍ لاجورَ فيه ، وبموافقةٍ لامضادَّةَ معها ، فالعينُ تألفُ المرْأى الحسَنَ وتقْذَى بالمرْأى القبيح الكَريه ، والأنفُ يقبلُ المشمَّ الطيِّبَ و يتأذَّى بالمنتِن الخبيث ، والفمُ يلتذُّ بالمذَاقِ الحلو ، و يمُجُّ البشِعَ المرَّ ، والأذنُ تتشوَّفُ للصوتِ الخفيضِ السَّاكن ، وتتأذَّى بالجهِير الهَائل ، واليدُ تنعَمُ بالملْمَس اللّيِّنِ النَّاعم ، وتتأذَّى بالخشِن المؤْذى . والفهمُ يأْنَسُ من الكلامِ بالعدْلِ الصَّواب الحقِّ ، والجائز المعْرُوفِ المألوفِ ، و يتشوَّفُ إليه ،و يتجلَّى لهُ ، و يستوحِشُ من الكلامِ الجائر(١) ، والخطأ ، والباطلِ ، والمحالِ ، والمجهُولِ المنكرِ ، و ينفِرُ منه ، و يصدأُ له . فإذا كانَ الكلامُ الواردُ على الفهم منظوماً ، مصفًّى من كدر العيِّ ، مقوَّماً من أوَدِ الخطأ واللَّحنِ ، سالماً من جَوْرِ التأليف وموزوناً بميزانِ الصواب لفظاً ومعنًى وتركيباً اتَّسعَتْ طُرُقُه ، ولطُفتْ موالِجُه ، فقبِلَهُ الفَهْم وارتَاحَ لهُ ، وأنِسَ به . وإذا وَرَد عليهِ على ضِدِّ هذه الصِّفة ، وكان باطلا مُحالاً مجهولاً ، انسدَّتْ طُرُقه ، ونفاهُ واستوْحشَ عند حِسِّه به ، وصَدِئَ لهُ ، وتأذَّى به ، كتأذِّى سائرِ الحواسّ بما يخُالِفُها على ما شرَحْناهُ .

(١) الجائر : فى الاصل الجائز بدون واو.

وعلةُ كلِّ حسَنٍ مقبولٍ الاعتدالُ ، كما أنَّ علّة كلِّ قبيحٍ منفيّ الاضطرابُ . والنفسُ تسكُنُ إلى كلِّ ماوَافقَ هواها ، وتقلَقُ مما يُخالِفُه ، ولها أحوالٌ تتصرَّف بها ، فإذا ورَد عليها فى حالةٍ من حالاتِها مايُوافِقُها اهتزَّتْ له ، وحدَثتْ لها أرْيحَيةٌ وطربٌ ، فإذا ورَد عليها ما يخالفها قَلِقتْ ، وأستَوْحشَتْ .

وللشِّعر الموزُونِ إيقاعٌ يَطرَبُ الفَهْمُ لِصوَابه ، ومايَردُ عليه من حُسْنِ تَركيبِه واعتدالِ أجْزائه . فإذا اجتمع للفَهم مع صِحَّةِ وزْنِ الشِّعرِ صحةُ المعنى وعذوبةُ اللّفظِ ، فصفَا مسمُوعُه ومعقُوله من الكدَر تمَّ قُبولُه له ، واشتمالُه عليه ، وإن نقصَ جزءٌ من أجزائه التى يعمل بها وهى: اعتدال الوزن ، وصوابُ المعنى ، وحسنُ الألفاظ ، كان إنكارُ الفهمِ إياه على قدْر نُقصانِ أجزَائه . ومثالُ ذلك الغناء المُطْربُ الذى يتضَاعفُ له طرَبُ مُسْتمِعه ، المتفهِّم لمعناه ولفظِه مع طِيب ألحَانِه . فأمَّا المقتصر على طيبِ اللَّحنِ منه دونَ ماسواهُ فناقِصُ الطَّرب . وهذه حالُ الفَهْم فيما يرِدُ عليه من الشِّعر الموزُونِ مفْهُوماً أو مجهُولا .

وللاشعار الحسَنةِ على اختلافها مواقعُ لطيفةٌ عند الفَهْمِ لا تُحدُّ كيفيَّتُها ؛ كمواقِع الطُّعوم المركبة الخفيّةِ التَّركيب اللّذيذَةِ المذَاق ، وكالأرايِيح الفائحةِ المختلفةِ الطِّيب والنَّسيم ، وكالنُّقوشِ الملوَّنةِ التَّقاسِيم والأصْبَاغ ، وكالايقاع المُطْرِب المختلف التأليف ، وكالملامِسِ اللّذيذَةِ الشهيَّة الحِسّ ؛ فهى تلائمُه إذا ورَدت عليه — أعنى الأشعار الحسنةَ للفَهْمِ — ، فيتلتذُّها و يقْبَلُها ، و يرتشِفُها كارتشاف الصَّديانِ للباردِ الزُّلال ، لأن الحكمةَ غِذاءُ الرُّوح ، فأنجعُ الأغْذِيهِ ألْطَفُها . وقد قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : « إن من الشِّعر حكمةً »(١) وقال عليه السلام : « ما خَرجَ من القَلْبِ وَقع فى

(١) « إن من الشعر حكمه » بخارى ٧ / ١٠٠ ، شرح القسطلانى ٩ / ١٠٦ ، شرح القسطلانى ١٠ / ٤٤٦ .

القَلْب وما خرج من اللّسان لم يتعدّ الآذانَ » فإذا صدَق ورودُ القول نثراً ونظماً [على الفَهم] أثلج صدْرَه . وقال بعضُ الفلاسِفة : « إن للنَّفسِ كلماتٍ روحانيةً من جنسِ ذاتها » ، وجعل ذلك برهاناً على نفع الرُّقى ونَجْعِها فيما تُستعمل له .

فإذا ورد عليك الشِّعْر اللّطيفُ المعنى ، الحلوُ اللّفظِ ، التامُّ البَيان ، المعتدِلُ الوزن ، مازجَ الرُّوحَ ولاءمَ الفَهْمَ ، وكان أنفذَ من نفْثِ السِّحر ، واخفى دبيباً من الرُّقى وأشدَّ إطراباً من الغِناء ، فسلَّ السخَائمَ ، وحلَّلَ العُقَد ، وسخَّى الشَّحيحَ ، وشجَّع الجَبانَ ، وكان كالخمرِ في لُطْفِ دبيبه وإلهائه ، وهزِّهِ وإثارَته . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : (إن من البيَان لسِحْراً)(١)

[علة أخرى]

ولحسنِ الشِّعر وقبولِ الفَهْم إياهُ علةٌ أُخْرى وهي موافَقَتُه للحَالِ التى يعدُّ معناهُ لها : كالمدْح في حالِ المفاخَرة ، وحضُورِ من يُكبتُ بإنشَادِه من الاعداء ، ومن يُسرُّ به من الأوْلياء . وكالهجاء في حالِ مُبارَاةِ المهَاجىَ ، والحطّ منهُ حيث يُنكى فيه استماعُه له . وكالمَراثى فى حَالِ جزَعِ المُصَابِ ، وتذكُّر مناقِب المفْقُودِ عند تأبينهِ ، والتَّعزيةِ عنهُ ، وكالاعتذارِ والتنصُّل من الذَّنبِ عند سلِّ سخيمةِ المجنيِ عليه ، المعتَذرِ اليه . وكالتَّحريضِ على القتال عند التقاءِ الأقْرانِ ، وطلَب المغالبة . وكالغزَلِ والنَّسِيب عند شكوَى العَاشِق ، واهتياجِ شوْقِهِ وحنينِه الى من يَهْواهُ .

(١) إن عن البيان لسحراً بخارى ٢ / ٢٩، ٦ / ١٣١ .

[صدق العبارة]

فإذا وافقت هذه المعانى هذه الحالات ، تضاعف حُسنُ موقعها عند مُستَمِعها ، لا سيَّما إذا أيِّدت بما يجذِبُ القلوبَ من الصِّدق عن ذاتِ النَّفسِ بكشف المعانى المختَلِجةِ فيها ، والتَّصريح بما كان يُكتَمُ منها ، والاعترافُ بالحقّ فى جميعها .

والشعرُ هو ما إنِ عَرِى من مَعنًى بديعٍ لم يَعْرَ من حُسْنِ الدِّيباجة . وما خالف هذا فليسَ بشعر .

ومن أحسنِ المعانى والحكاياتِ فى الشعر وأشدِّها استفزازاً لمن يسمعُها(١) ، الابتداء يُذكر ما يعلَمُ السَّامِعُ له إلى أىِّ معنًى يُساق القولُ فيه قبلَ استِتْمامِه ، وقبلَ توسُّطِ العِبارَةِ عنه ، والتَّعريضُ الخَفِىُّ ، الذى يكونُ بخفائه أبلغَ فى معناهُ من التَّصريحِ الظاهِرِ ، الذى لا سِتْرَ دُونَه . فموقع هذين عند الفَهْمِ كموقِعِ البُشْرَى عند صاحِبها لِثِقةِ الفَهْم بحلاوةِ ما يَرِدُ عليه من معناهما(٢) .

(١) نقل المرزوقى فى مقدمة شرح الحماسة هذه العبارة بتصرف ١ص ٧ ط لجنة التأليف والترجمة .

(٢) يقصد بالاثنين هنا الابتداء يذكر ما يعلم السامع الى أى معنى يساق القول والثانى التعريض الخفى .

ضروب التشبيهات

والتشبيهاتُ على ضروبٍ مختلفةٍ ، فمنها : تشبيهُ الشَّيءِ بالشَّيءِ صورةً وهيئَةً ، ومنها تشبيُهه به معنًى ، ومنها تشبيهُه به حركةً ، و بطؤاً وسُرعةً ، ومنها تَشبيهُه به لوناً ، ومنها تشبيهُه[1] به صوتاً .

وربما امتزَجتْ هذهِ المعانى بعضُها ببعضٍ ، فإذا اتّفق فى الشيءِ المشبَّه بالشيءِ معنيانِ أو ثلاثةُ معانٍ من هذه الأوصاف قوِىَ التَّشبيهُ وتأكَّد الصِّدق فيهِ ، وحَسُنَ الشِّعرُ بِهِ للشواهِدِ الكَثيرةِ المؤيِّدةِ لهُ .

فأما تشبيهُ الشيء بالشيء صورةً وهيئة فكقولِ امرىءِ القيس :

كأنَّ قلوبَ الطَّيرِ رَطباً و يابِساً   لدَى وكرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البَالِى[2]

وكقوله :

كأنَّ عُيونَ الوحْشِ حوْلَ خِبائِنا   وأرْحُلِنا الجزْعُ الَّذِى لم يُثقَّبِ[3]

وكقول عَدِىّ بن الرِّقاع[4]

تُزْجِى أغنَّ كأنَّ إبرَةَ روْقِه   قلمٌ أصَاب من الدَّواةِ مِدَادَها[5]

(١) أورد أبو هلال فى الصناعتين(طالبجاوى وأبو الفضل ١٩٦٢) ص ٢٣٩ ضروب التشبيه كما أوردها ابن طباطبا هنا مع شيء من الخلاف والخلط .

(٢) البيت فى شرح ديوانه للوزير أبى بكر بن عاصم ص ١٠ ، وانظر التشبيهات لابن أبى عون ص ٢ . وهورقم ٥٦ من قصيدته التى مطلعها : (ألاعم صباحا أيها الطلل البالى)

والعناب ثمر أحمر طرى يترك آثاره إذا أمسك به والحشف البالى :يابس التمر

(٣) شرح الديوان ص ٨٨ من قصيدته التى مطلعها : (خليلى مرابى على أم جندب)

والجزع : الخرز ــ يشبه عيون الوحش اللامعة المستديرة وسط الظلام بالخرز المنثر وهو غير مثقب لكمال استدارته

(٤) عدى بن الرقاع العاملى شاعر إسلامى من عاملة بن عدى بن الحارث . كان مقدما عند بنى أمية ، مداحا لهم ، حاصا بالوليد بن عبد الملك . قال أبو الفرج : وجعله ابن سلام فى الطبقة الثالثة(الأغانى ٨ / ١٧٣) ، وذكره ابن سلام فى الطبقة الخامسة من الاسلاميين (طبقات فحول الشعراء طبع المعارف ص ٥٥٨) . هجاهُ جرير ولم يتصل الهجاء بينهما . .

(٥) ذكر المبرد أن جريراً قال : دخلت على الوليد بن عبد الملك بن مروان وابن الرقاع ينشده داليته ، فلما بلغ إلى قوله : (يزجى اغنّ كأنْ إبرة روقه) قلت فى نفسى : وقع والله الشيخ ، من أين له كأن ، فلما قال (قلم أصاب من الدواة مدادها) حسدته ولم أنشد شيئا . الأغانى ٨ /١٧٥ ــ ١٧٦ ، والعمدة ١ / ٢٠٣ ، وراجع طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٥٥٨ ، أسرار البلاغة لعبد القاهر ١٣٢ .

وأما تشبيهُ الشيء بالشّيء لوناً وصورةً فكقولِ امرىء القيس يصف الدّرعَ :

ومســرُودَةَ السَّكِّ مـوْضُـونـةً ... تـضَـاءلُ في الـطَّـيِّ كـالـمِبْرَدِ
تَـفِـيــضُ على المـرْءِ أرْدَانُـهَـا ... كـفَـيْضِ الأتِيِّ على الجُـدْجُدِ(١)

وكقول النابغة :

يجلُو بقادِمَتَيْ حمَامةِ أيْكَةٍ ... بـرَدًا أُسِفَّ لَـثَـاتُـه بـالا ثـمِـدِ
كـالأُقْحُوانِ غـدَاةَ غِبِّ سـمَـائِه ... جفَّت أعالِيه وأسْفَلُه نَـدِي(٢)

وكقول حُميد بن ثور (٣)

على أن سَـحْـقـا من رَمَادٍ كـأنَّـهُ ... حصَى إثْمِدٍ بين الصَّلاء سَحِيقِ

وأما تشبيهُ الشَّيْء بالشيء صورةً ولوناً وحركةً وهيئةً فكقولِ ذي الرُّمة :

مـا بالُ عيـنِكَ منها الدمعُ يَنسكِبُ ... كـأنَّـهُ من كُـلَى مفـريَّـةٍ سَربُ
وفـراءَ غـرفـيـةٍ أثْـأَى خـوَارِزهـا ... مشَلْشِلٌ ضيَّعتْهُ بينهَا الكتبُ(٤)

---

(١) راجع التشبيهات ١٤٧ ، و ينسبها لابن أبي دؤاد مع خلاف في رواية صدر البيت الأول ، الصناعتين ٢٤٦ وراجع شرح الديوان ص ٧٨ . والمسرودة السك ، المنظومة المتداخل بعضها في بعض . وتضاءل في الطيء تتضاءل حلقاتها وتضيق فتصير كالمبرد ، وأردانها : ذيولها والأتي : السيل . والجدجد : الأرض الصلبة

(٢) الديوان ٦٨ والعقد الثمين ١٠٠ شبه الثغر بالاقحوان لونا وصورة لان صورة ورق الاقحوان كالثغر .

(٣) حميد بن ثور الهلالي شاعر مخضرم عده أبن سلام من الطبقة الرابعة الاسلاميين .عمر طويلا . وتوفى في عهد عثمان أو معاوية . راجع في ترجمته طبقات الشعراء لابن سلام طبع محمود شاكر . ومعجم الأدباء لياقوت ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٣٩٠ تحقيق أحمد شاكر وطبع دار المعارف بمصر . والبيت في ديوانه ص ٤١ طبع دار الكتب ٩٥١

(٤) الديوان ص ٤٣ طبع بيروت بالمكتب الاسلامي ١٩٦٤ والجمهرة ٢٦٠ ، وسمط اللآلىء ٨٦٩. والبيت ليس في الديوان طبع دار المعارف سنة ١٩٥١ ، الكلى جمع كلية وهي رقعة في المزادة التي تحمل الماء . والمفرية المقطوعة للاصلاح ، أو مثقوبة بالمخراز لخياطتها وأثأى ثقب الخرز والخوارز مكان الخرز أي الثقوب ، مشلشل : متصل القطر نعت لسرب ، والكتب جمع كتبه وهي الخرزة .

ووفراء : صفة لكلى ـ ومعناها ضخمة و ولعله يريد المزادة ، وغرفية منسوبة إلى غرف ـ مكان بالبحرين تدبغ به الجلود

وكقولِ الشَّماخ (١):

لِليْلَى بالعُنيْزةِ ضوْءُ نارٍ تلُوحُ كأنَّها الشِّعْرَى العَبُورُ (٢)

إذا ماقلتُ أخمَدها زهَاها سوادُ اللَّيْلِ والرِّيحُ الدَّبُورُ (٣)

وكقول ابن الشّماخ ؛ وهو جُنَّادة بن جُزَىّ (٤):

والشَّمسُ كالمرآةِ فى كفّ الأشلّ (٥)

وكقولِ امرىء القَيْس :

جمعتُ رُدَيْنيًّا كأنَّ سِنَانَهُ سنَا لَهبٍ لم يتَّصِلْ بدُخَانِ (٦)

وكقولِ ليلى الأخيليَّة :

قَوْمُ رِباطُ الخيْلِ وسْطَ بيُوتهم وأسِنَّةٌ زُرقٌ يُخَلْنَ نُجُومَا (٧)

* * *

(١) الشماخ بن ضرار : شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام (الأغانى ٨/٩٧) وطبقات فحول الشعراء لابن سلام طبع محمود شاكر الثانية ١/١٣٢ .

(٢) الديوان/ ٣٤ (لليلى بالغميم) وضوء مفعول رأيت فى البيت السابق (رأيت وقد رأى نجران دونى ...) .

(٣) وصدر البيت الثانى فى الديوان (إذا ماقلت خابية زهاها) . والريح الدبور : تقابل الصبا وهى خبيثة عند العرب .

(٤) فى أسرار البلاغة لعبد القاهر ١٣٦ غير منسوب .

(٥) من الشواهد المتداولة فى كتب البلاغة ــ وصدر البيت : (صب عليه قانص لما غفل) مشارق الأقاو يز الخيارين جزء أخى الشماخ . ص ٣٤ ط A Geyer

(٦) البيت ليس فى شرح الديوان ، وهو فى الأغانى ١/٢٤٧ ، وابن أبى عون فى التشبيهات ١٤٦ لابن جعيل التغلبى وروايته .

هززتُ رُدَيْنيا كأنَّ سِنانه سنا لهب لم يتصل بدخان

وفى الخزانة ١/٤٥٩ لعميرة بن جعيل التغلبى ، وروايته كرواية ابن طباطبا

(٧) التشبيهات ١٤٦ . وفى مجموع شعر ليلى الأخيلية ــ بغداد ١٩٧٧ص ١١٠

وأما تشبيه الشيء بالشيء حركة وهيأة فكقول عنترة :

وترَى الذُّبابَ بها يُغَنّى وحْدَه   هزَجاً كفِعل الشَّارِب المترنِّم
غَرِدًا يحكُّ ذِرَاعهُ بذِرَاعِه   قَدْحَ المُكبِّ على الزِّنادِ الأجْذَمِ (١)

وكقول الأعشى :

غَرّاءُ فرعَاءُ مصقُولٌ عوَارِضُها   تمشى الهُوَيْنَى كما يمشى الوَجِي الوَجِلُ
كأنَّ مِشيَتها من بيتِ جَارَتِها   مَرُّ السَّحابة ، لاريثٌ ، ولاعَجَلُ (٢)

وكقول حُميد بن ثور :

أرِقتُ لبرقٍ آخِرَ اللَّيلِ يلمَعُ   سرَى دائباً فيه يهُبُّ ويهْجَعَ
دنا اللَّيلُ واستَنَّ اسْتِناناً زَفِيفُهُ   كما استَنَّ فى الغَابِ الحرِيقُ المشَيَّعُ (٣)

(١) ديوانه ص ٦٨ طبع المكتب الاسلامى بدمشق من المعلقة وراجع التشبيهات ٣٨٩ ، وروايته .

(وخلا الذباب بها فليس ببارح   غرداً كفعل الشارب المترنم)

(هزجاً يحك ....)

والعمدة ١ / ٢٠٢ وجعله من التشبيهات العقم .

(٢) الديوان القصيدة رقم ٦ ص ٥٥ وروايته (غراء بيضاء) وفرعاء: كثيرة الشعر طويلته ، والعوارض مايبدو من الأسنان عند الضحك ، والوجى من حفى قدمه .

(٣) الديوان ١٠٧ والتشبيهات / ٦٠ ورواية العجز (سرى دائباً منها) ، والبيت الثانى فى الديوان :

دجا الليل واستن استنانا زفيفه   كما استن فى الغاب الحريق المشعشع

والبيان ٢ / ٣٢٨ (ط هارون) بغيرنسبة قال . وقال الآخر :

(أرقت لبرق آخر الليل يلمع   سرى دائبا منها يهب ويهجع
سرى كاحتساء الطير والليل ضارب   بأدواقه والصبح قد كاد يطلع)

وجعله من تشبيه المشى ، واستن : انتشر وذهب كل مذهب ،زفيفه : بريقه ، المشعشع المتفرق

وكقوله :

خفَا كاقْتِذَاءِ الطَّيرْ واللَّيلُ مُدْبِرٌ ... بجُثْمانِه والصُّبحُ قد كانَ يسْطَعُ (١)

وكقول ابن هَرْمة :

تَرَى ظِلَّها عندَ الرَّواحِ كأنَّهُ ... إلى دَفِّها رألٌ يخُبُّ جنيبُ (٢)

وكقول الآخر:

يُضْحِي بها الحِرْباُ وهو كأنّه ... خَصْمٌ مُعِدٌّ للخُصُومَةِ مُوفِقُ (٣)

وكقول الآخر :

كأنَّ أُنوفَ الطَّيرِ فى عَرَصَاتِها ... خراطِيمُ أقْلامٍ تَخُطُّ وتُعْجِمُ

* * *

وأما تشبيهُ الشَّيءِ بالشَّيءِ معنًى لاصورةً فكتشبيه الجوَادِ الكَثِيرِ العَطاءِ بالبَحرِ والحيَا ، وتشبيه الشُّجاع بالأسد ، وتشبيهِ الجميلِ البَاهرِ، الحسَنِ الرُّوَاءِ بالشَّمس ، وتشبيهِ المهيبِ الماضِي فى الأمُورِ بالسَّيف ، وتشبيهِ العالي الهمَّة بالنَّجم ، وتشبيهِ الحَليم الرَّكِينِ بالجَبل ، وتشبيهِ الحَييِّ بالبِكر ، وتشبِيه العَزيزِ الصَّعب المرَامِ بالمتَوقِّلِ فى الجِبَال والسَّامِي فى العُلُوِّ، وتشبيه الفائِتِ بالحُلمْ ، وبأمسِ الذاهب . وتشبيهِ أضداد هذه المعانى بأشكالِها على هذا القياس :

(١) الديوان ١٠٧ وروايته (قد كاد يسطعُ) والتشبيهات / ٦٠ وروايته كرواية البيت الثانى عند الجاحظ كما سبق ، وخفا البرق . لمع ، واقتذاء الطير، فتحها أعينها وتغميضها .

(٢) البيت فى اللسان ١١ / ٣ وفيه . ورواية ابن العلاء (يحك جنيب) . يريد أن ظلها من سرعتها يضطرب اضطراب الرآل ــ وهو ولد النعامة ــ وذلك عند الرواح . يقول إنها وقت كلال الابل نشيطة منبسطة . وفى ديوانه طبع بغداد ١٩٦٩ ص ٦٠

(٣) موفق من أوفق السهم إذا جعل فوقه فى الوتر.

كـاللّـئـيـم بـالـكـلـب ، والجَبان بالصِّفرد (١) ، والطائِش بالفَراشِ ، والذَّليل بالنَّقدِ و بالوَتد ، والقَاسِي بالحديدِ والصَّخْر .

وقـد فاز قوم بخلالٍ شُهِرُوا بهَا من الخيرِ والشَّرِّ وصارُوا اعْلاما فيها ، فربما شُبِّه بهمَ ، فـيكونُون فى المَعَانِى التَّى احتَوَوْا عليها ، وذُكِرُوا بشُهْرَتِها نَجوماً يـقـتـدى بهم ، وأعلاماً يُشارُ إليهم ، كالسَّموألِ (٢) فى الوفاء ، وحاتم (٣) فى السَّخـاء ، والأحْـنـفِ (٤) فى الحِـلْـم ، وسـحْـبـاَن (٥) فى البلاغَة ، وقسّ (٦) فى الخطـابـة ، ولُـقْـمان (٧) فى الحِكْمة ، فهم فى التشبيه يجُرون مُجرَى ماقدَّمنا ذكـرَه مـن الـبَـحْـرِ والـحَيا والشَّمس والقَمر والسَّيف ، و يكونُ التشبيه بهم مـدْحـاً كـالتشبيه بها ، وكذَلك أضدادُها . وقومٌ يُذَمُّون فيما شهروا به ، يشبه بـهـم فى حـال الـذم ، كـما يُشَبَّه بهؤلاء فِى حالِ المدْح : كبَاقِل (٨) فى العيِّ ، وهَـبـنَّـقـة (٩) فى الـحُمْق ، والكُسَعِيِّ فى الندامةِ ، والمنزوفِ ضَرْطاً فى الجُبْنِ .

(١) الصـفـرد ــ فى هـامـش الـنـسخـة ــ طائر لاينام طول الليل وزعموا أنه يتعلق ببعض أغصان الشجرة لئلا ينام وهذا من فرط جبنه . وهو أعظم من العصفور.

(٢) الـسـموأل بن عادياء سيد عربى يهودى وشاعر من رجال القرن السادس الميلادى . وصاحب حصن الأبلق بتيماء شمال نجد بالجزيرة العربية و يضرب به المثل فى الوفاء لأنه فضل قتل أبنه على التفريط فى الأمانة التى أودعها لديه امرؤ القيس لشاعرــ وذكر الأعشى القصة فى ص ٧٤ من الكتاب

(٣) حاتم الطائى توفى سنة ٦٠٥ م شاعر جاهلى اشتهر بشجاعته وكرمه ، وقد ضرب به المثل فى السخاء . قال أبوتمام :

إقـدام عـمـرو، فى سـمـاحـة حـاتـم   فى حـلـم أحـنـف فى ذكـاء إيـاس

له ديوان شعر طبع لندن سنه ١٨٧٢ م

(٤) الأحـنـف بن قيس من سادة العرب المشهورين . ناصر على بن أبى طالب فى وقعة صفين ضد معاوية . واشتهر بالحلم ، وضرب به المثل . قال أبوتمام : فى حلم أحنف ، فى ذكاء إياس .

(٥) سحبان وائل : خطيب فصيح اشتهر وضرب به المثل فى البلاغة . عاش فى عصر معاوية وتحدث أمامه ساعات ، فقال له معاوية : أنت أخطب العرب ، فقال سحبان: والعجم والجن والانس . توفى سنة ٦٧٤ م .

(٦) قسّ بن ساعدة : خطيب جاهلى يضرب به المثل فى اللسن والخطابة . وقيل إنه كان موحداً يدعو إلى دين الاله الواحد قبل الأسلام . وله أقوال مشهورة ، مذكورة .

(٧) لقمان الحكيم : ممن تروى حكمهم وأمثالهم فى الجاهلية . عمر طويلاً ، وربما كانت شخصيته أسطورية .

(٨) باقِل الرَّبَعى ، هو باقِل بن عمرو بن ربيعة الإيادى ، ضرب به المثل فى العى والبلاهة .

(٩) هبنقة القيسى من مشاهير الحمقى و يضرب به المثل فى الأخبار. واسمه يزيدُ بن ثروان عيون الأخبار ٢ / ٤٥ .

(١٠) الكُسَعِىّ: ضرب به المثل فى الندامة قال الفرزدق :

ندمت ندامة الكسعىّ لما غدت منى مطلقة نوارُ.

فالشاعرُ الحاذِقُ يمزجُ بين هذهِ المعانى فى التَّشبيهاتِ ، لتكثُرُ شواهِدُها ، ويتأكَّدَ حسنُها ، ويَتَوقَّى الاقتِصارَعلى ذكرِ المَعاني التى يُغِيرُ عليها ، دونَ الإبْداعِ فيها ، والتَّلطيفِ لها لئلايكُونَ كالشَّىءِ المَعادِ المَمْلُول .

[أدوات التشبيه]

فما كان من التشبيه صادقاً قلت فى وصفه كأنَّه أو قلت ككذا ، وماقارب الصِّدْقَ قلتَ فيه تراهُ أو تخاله أو يكاد . فمن التشبيه الصادق قول أمرىء القيس:

نظرتُ إليها والنُّجومُ كأنَّها مصابيحُ رُهْبان تُشبُّ لُقفَّالِ

فشبه النُّجومَ بمصَابيحِ رُهبَانٍ لفرطِ ضِيَائها ، وتعهُّد الرُّهبان لمصابيحهم وقيامُهم عليها لِتُزْهِر إلى الصُّبْحِ ، فكذلكَ النُّجومُ زاهرةٌ طولَ اللَّيلِ وتتضَاءلُ للصَّباحِ كتضَاؤل المصَابيح لهُ . وقال: (تُشَبُّ لقُفَّال) لأن أحياءَ العَربِ بالبَادِيةِ إذا قفَلت إلى مواضِعها التى تأوى إليها من مَصِيفٍ إلى مشْتى ومن مَشْتَى إلى مَرْبع أوقدَتْ نيراناً على قدر كثرةِ منَازِلها وقلَّتها ليُهتَدَى بها ، فشبَّه النُّجومَ ومواقِعَها من السَّماء ، بتفرِّق تلك النيرانِ ، واجتماعِها فى مكانٍ بعدَ مكان ، على حَسب منازِل القُفَّالِ من أحياءِ العرب ، ويُهتَدى بالنُّجوم ، كمايهتدى القُفَّالُ بالنيران الموقدة لهم .

(١) شرح الديوان ص ٥٧

وأما تشبيهُ الشَّىء بالشىء معنًى لاصورةً فكقول النابغة :

ألـم تَـر أنَّ الله أعـطـاكَ سُـورةً	تَرى كُلَّ مُلكٍ دُونَـها يتـذَبْذَبُ
فأنك شَمسٌ والملوكُ كَوَاكبٌ	إذا طَلعتْ لم يبْدُمِنهُنَّ كوْكبُ(١)

وكقوله أيضا :

فإنك كالليلِ الذى هو مُدْركى	وإنْ خِلْتُ أنَّ المنتأى عَنك واسِعُ
خطَاطيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ متينةٍ	تمـدُّ بـهـا أيـدٍ إلـيـكَ نَوازعُ(٢)

وكقوله :

وإنك غيثٌ يُنْعِشُ النَّاسَ سُيْبُهُ	وسيفٌ أُعِيرتْه المنَّيةُ قَاطِعُ(٣)

وكقولِ الأعشَى :

كالهُنْدوانِىِّ لايُخْزِيكَ مشْهَدُهُ	وسْطَ السُّيُوفِ إذَا ماتضْربُ البُهُمُ(٤)

[وكقول زهير] :(٥)

لـوكـنـتَ مِـنْ شىءٍ سِـوَى بَشرٍ	كـنـتَ المـنيرَ لِليْلةِ البدْرِ(٦)
ولأنتَ أجْوَدُ بالعَطاءِ مِن الـ	ـريَّـانِ لـمَّـا جَـادَ بـالـقَـطْـرِ
ولأنـتَ أشـجَـعُ مـن أسَامةَ إذْ	رَأبَ الصَّرِيخَ ولَـجَّ فى الذُّعْرِ
ولأنـتَ أحْـيَـا مـن مـخُـدَّرة	عَـذْراءَ تـقـطـنُ جَانِبَ الخِدْرِ
ولأنـتَ أبـينُ حِـينَ تَنْطِقُ مِنْ	لُـقْـمـانَ لـمَّـا عـىَّ بـالمَكْرِ

(١) ديوان النابغة ٥٦ ، وسورة : منزله رفيعة .

(٢) الديوان ٤٢ . وحجنٌ ملتوية كمخالب الجارح .

(٣) الديوان ص ٤٢ وروايته : « وأنت ربيع ينعش الناس سيبه » .

(٤) البيت ليس فى ديوانه المطبوع .

(٥) ليست بالأصل .

(٦) الأبيات من قصيدته التى أولها : « لمن الديار بقنة الحجر » شرح ثعلب ص ٨٦ ، وترد بخلاف فى الترتيب ، وفى شرح الأعلم عجز البيت الأول : « كنت المنور ليلة البدر » ، والعقد الثمين ٨٢ .

وكقول النابغة الجعدى : (١)

فقد بَليتُ وأفنَانى الزَّمانُ كما ... يُفْنى تقلُّبُ أقطارِ الرَّحى القُطُبا

وقال الراعى ، (٢)

وكالسَّيفِ إن لايَنتَه لانَ متْنُهُ ... وحدَّاه إن خاشَنْتَه خَشنَانِ(٣)

وكقول الراعى :

فما أُم عبد الله إلا عطيةٌ ... من الله أعطاها امرءاً هو شاكر

هى الشَّمسُ وافَاها الهلالُ بنُوها ... نجومٌ بآفاقِ السَّماءِ نظائر

تذكِّرها المعروفَ وهى حَيِيَّةٌ ... وذو اللُّبِّ أحيانا معَ الحِلم ذاكُر

كما استقْبلَتْ غيثاً جنوبٌ ضعيفةٌ ... فأسبَل ريَّان الغَمامةِ ماطرُ

* * *

وأما تشبيهُ الشيء بالشَّيء حركةً و بطءاً وسُرعة فكقوْلِ الرَّاعى :

كأنَّ يديْها بعدَ ماانضَمَّ بدنُها ... وصوَّبَ حادٍ بالرِّكابِ يسُوقُ

يدَا ماتِحٍ عَجْلاَن رخوٍ مِلاطُهُ ... لهُ بكرةٌ تحت الرِّشاء فلُوقُ

(١) النابغة الجعدى : عبد الله بن قيس من بنى جعدة من عامر بن صعصعة جاهلى أدرك الإسلام ولقيه النبى صلى الله عليه وسلم وأنشده . كان معمر . يقال إنه أسن من النابغة الذبيانى لأنه أدرك المنذر والد النعمان ونادمه وعاش حتى لقى عبد الله بن الزبير ، ونازع الأخطل الشعر . مات بأصبهان وعمره مائتان وعشرون سنة . والبيت غير وارد فى شعره المجموع .

(٢) الراعى : راعى الإبل عبيد بن حصين . كان من رجال العرب ووجوه قومه . وكان يقال فى شعره : كان يعتسف الفلاة بغير دليل . هاجى جريراً فغلبه جرير.

راجع ترجمته فى طبقات ابن سلام طبع محمود شاكر ١ / ٥٠٢ والأغانى ٢ / ١٧١ .

(٣) يذكر الجاحظ هذا البيت مع آخر (البيان ٢ / ١٧١) يقول :

وكقول الآخر :

كريم يغض الطرف عند حيائه ... ويدنو وأطراف الرماح دوانْ

وكالسيف ... ...

وكقول امرىء القيس : (١)

كأنَّ الحصَى من خَلْفِها وأمامَها ... إذَا نَجلتْهُ رِجْلُها حذْفُ أعْسَرا

وكقول الآخر :

كأنَّما الرِّجْلانِ واليَدانِ ... طالبتا وترٍ وهَاربانِ

وكقول الأخطل :

وهنَّ عند اغْتِرارِ القَوْمِ ثورتها ... يُرهقن مجتمع الأعناق والركب (٢)
فهن ثُمَّتَ يُزفى قُذف أرجُلها ... إهْذاب أيدٍ بهاويَضْرِينَ كالعَذب (٣)
كلمع أيدى مثاكيل مُثَلَّبةٍ ... ينعين فنيان ضَرْسِ الدهر والخُطُبِ

وكقول حميد بن ثور :

من كُلِّ يَعمَلةٍ يَظلُّ زِمامُها ... يسْعى كما هرَبَ الشُّجاعُ المنْفَرُ

وكقول الشمَّاخ :

وكلُّهنَّ يُبَاري ثِنىَ مُطَّردٍ ... كحيَّةِ الطُّوْدولُى غيْرَ مطْرُودِ (٤)

وكقول أمرىء القيس : (٥)

مِكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مُدبرٍ معاً ... كجُلْمُودِ صَخْرٍ حطَّه السَّيلُ من علِ
أصاحِ تَرى برقاً أُرِيك وميضَه ... كلمْح اليدَيْنِ فى حَبِىٍّ مُكَلَّلِ

* * *

(١) شرح الديوان للبكرى ص ٩٨ . النجل : الرمى بالشىء ، والحذف : الرمى بالحصى والنوى ، : الأعسر الذى يعمل بيديه جيعاً ولايذهب رمية مستقيما . و يريد أنه يذهب إلى غير قصد وذكره المبرد فى باب التشبيهات الكامل ٢ / ٨٧

(٢) شعر الأخطل ١٨٨ « يرهقن مجتمع الأذقان للركب » .

(٣) يزفى : الزفى : الدفع ، والأهذاب : السرعة والخفة ، والضرى تداؤب العمل ، والعذب : السوط .

(٤) الديوان ص ٢٢ ، الثنى : الزمام . يشبه زمام الناقة بحية الجبل .

(٥) البيتان من معلقته راجع ديوانه ص ٣٤ طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

وأما تشبيه الشيء بالشيء لوناً فكقول الأعشى :

وسبيئةٍ مما تُعتَّق بابلٌ كدَمِ الذَّبيح سلَبتُها جِرْيالَها[1]

وكقول حميد بن ثور :

واللَّيلُ قدْ ظهَرتْ نحيزتُه والشَّمسُ فى صَفْراء كالوَرْسِ[2]

وكقولِ الشَّماخ :

إذا ما اللَّيلُ كانَ الصبحُ فيه أشقَّ كمفْرِق الرَّأسِ الدَّهِينِ[3]

وكقول عَبيد بن الأ برص : [4]

يامن لبرقٍ أبيتُ اللَّيلَ أرْقُبه فى عَارِض كمضيءِ الصُّبحِ لمَّاحِ[5]

وكقولِ زُهير :

زَجرْتُ عليهِ حُرَّةً أرْحبيَّةً وقد صَارَلوْنُ اللَّيل مثل الأ رنْدَجِ[6]

وكقولِ امرىء القيس :[7]

وليلٍ كَموْجِ البحْرِ أرْخَى سُدولَهُ علىَّ بأنْواعِ الهُمُوم ليبْتَلي

وكقولِ كعب بن زُهير : [8]

وليلةِ مُشْتاق كأنَّ نُجومَها تفرَّقْنَ منها فى طَيالِسَةٍ خُضْرِ

---

(١) الديوان القصيدة رقم ٣ البيت رقم ٩ وانظر الصناعتين ٢٤٧ .

(٢) الديوان ص ٩٩ ، والنحيزة طرة تنسج شبيه بالحزام ثم تخاط على شقة الخباء . والورس نبت أصفر اللون كالسمسم . راجع الصناعتين ص ٢٤٦ .

(٣) الديوان ص ٩٦ وصدره « إذا ما الصبح شق الليل عنه » . وانظر التشبيهات ص ٧١ .

(٤) عبيد بن الأ برص : قديم عظيم الذكر عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب « ذاهب » راجع طبقات فحول الشعراء ١ / ١٣٨ — ١٣٩ والأغانى ١٩ / ٨٤ .

(٥) الديوان ط Lyall ص ٧٥ « عارض كبياض الصبح لماح »

(٦) شرح ديوان زهير ٣٢٣ والارندج الدارس أو الاسود ، وفى الديوان « اليرندج) .

(٧) ديوانه ص ١٥١ .

(٨) ديوانه ص ٢٥٩ طبع دار الكتب ١٩٥٠ .

وكقول ذى الرمة : (١)

وليلٍ كَيِسْرِ بَالِ الغُرابِ ادَّرعْتُه إليكِ كما احتَثَّ اليَمامَةَ أجْدَلُ

وكقولِ ابن هرمة :

وقد لاحَ للسَّارِى الذى كَحَّل السّرى على أُخرَياتِ اللَّيلِ فتقٌ مُشَهَّر

كلونِ الحصَان الأنْبطِ البَطْنِ قائماً تمَايَل عنه الجُلُّ واللَّونُ أشقَرُ (٢)

وكقوله :

إلى أنْ يشُقَّ اللَّيلَ وَرْدٌ كأنَّه وراءَ الدُّجى حَادٍ أغَرُّ جوادُ

* * *

وأما تشبيهُ الشَّيء بالشَّيء صوتاً فكقولِ الشَّماخ :

أجُدٌ كأنَّ صَرِيفَها بِسَديسِها فى البِيد صَارِخةٌ صَرِيرُ الأخْطَبِ (٣)

وكقول الراعى :

كأنَّ دَوِيَّ الحلْيِ تحت ثِيابِها حصَادُ السَّفَا لاقَى الرِّياحَ الزَّعازِعا

وكقولِ الشماخ

كأنَّ نهيفَهُنَّ بكلِّ فجٍّ إذَا ارتحلوا تأوُّهَ نَائحاتِ (٤)

وكقوله :

إذا أنبضَ الرَّامونَ عنها ترنَّمت ترنُّم ثكْلى أوْجَعَتْها الجنَائِزُ (٥)

(١) ديوانه ص ٥٤٦ .

(٢) قال فى اللسان : «قال أبو عبيدة : إذا كان الفرس أبيض البطن والصدر فهو أنبط » (مادة نبط) . والبيتان فى ديوانه ص ٢٦٦ طبع بغداد ١٩٦٩ .

(٣) الصريف صوت البكرة ، والأخطب : الصقر . والبيت فى ديوانه ص ٤٢٩ طبع دار المعارف .

(٤) الديوان ص ٣ « كأن أنينهن بكل سهب » إذا ارتحلت تجاوب نائحات » .

(٥) الديوان ٤٩ والتشبيهات ١٣٩ .

وكقول الأعشى :

تسمع للحلى وسواساً إذا انصَرفَت كما استعان بريح عِشرِقٌ زجِلُ[1]

* * *

(١) الديوان : قصيدة « ودع هريرة » البيت رقم ٤ . عشرق : شجرة مقدار دراع ، فيها حب صغير إذا جفت ومرت بها الريح سمع لها خشخشة ، والزجل : الصوت الرفيع العالى . والبيت فى ديوانه ص ١٠٥ طبع بتحقيق محمد حسين ١٩٧٤ بيروت

وأما الابتداء بما يحسُّ السامع بما ينقاد إليه القولُ فيه قبلَ استتمامِة فكقول النابغة :

إذا ما غَزَوْا بالجَيشِ حلَّق فوقَهُم　　عصَائبُ طيرٍ تهتدى بعَصَائِبِ [1]

فقدَّم فى هذا البيت معنىً ما تُحلِّقُ الطَّيرُ من أَجلِه ، ثم أوضحه بقوله :

يصاحِبْنَهم حتى يُغِرْنَ مُغَارَهمْ　　من الضَّارِياتِ بالدِّماءِ الذَّوارِبِ
تراهُنَّ خلْفَ القَوْمِ زوُراً كأنَّها　　جلُوسُ شُيوخٍ فى مُسُوكِ الأرَانب [2]
جوانحَ قد أيقنَّ أنَّ قبيلَه　　إذا ما التَقى الجْمعَانِ أوَّلُ غَالِبِ
لهنَّ عَليهِم عادةٌ قد عَرَفْنها　　إذا عرَّضُوا الخطِّىَّ فوقَ الكواثبِ

وقول الآخر :

لعَمْرِكَ ما النَّاسُ أثْنَوا عليكَ　　ولا مَدَحُوكَ ولا عَظَّمُوا
ولو أنَّهُم وجَدُوا مسلَكا　　إلى أن يَعِيبُوكَ ما أحْجمُوا

فقدم معنى ما ساق إليه الابتداء ، فقال فى تمامه :

ولكنْ صَبرتَ لما ألزمُوكَ　　وجُدْت بما لم يَكُنْ يلزَمُ
وأنتَ بفَضْلِكَ ألجأتَهُم　　إلى أنْ يقُولُوا وأن يُعْظِمُوا

* * *

أما التعريض الذى ينُوبُ عن التَّصريح ، والاختصارُ الذى ينوب عن الإطالة . فكقول عمرو بن معدى كرب :

فلو أن قومى أنطقتِنى رماحُهم　　نطَقتُ ، ولكنَّ الرِّماحَ أجَرَّتِ [3]

(١) الديوان ٤٣ . من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الأعرج مطلعها :

كليني لهم يا أميمة ناصِبِ　　وليل أقاسيه بطىء الكواكب .

(٢) الديوان : « تراهن خلف القوم خزراً عيونها ٭ جلوس الشيوخ فى مسوك المرانب »

(٣) البيت فى الخزانة للبغدادى ، ٢ / ١٩٣ ، والنقائض ١ / ٥٢ . وديوانه ص ٥٦ طبع مجمع اللغة بدمشق ١٩٧٤ .

أى لو أن قومى اعتنوا فى القتال ، وصدقوا المصافّ ، وطعنوا أعداءهم برماحهم فأنطقتنى بمدحِهم ، وذِكْرِ حُسْن بلائِهم نطقتُ ، ولكنَّ الرِّماحَ أجرَّت أى شقَّت لسَانى كما يجرُّ لسَان الفصيل (١) ، يُريدُ أسكتتْنِى

وكقول الآخر فى معناه (٢) :

بنِي عَمِّنا لا تذْكُرُوا الشِّعرَ بعدَما ... دفنتُم بصحْراء ِالغَمِير القَوافِيا (٣)

وكقول قيس بن خُوَيْلدْ فى ضِدّه :

وكُنَّا أُناساً أنطَقَتْنا سُيوفُنا ... لنَا فى لِقاءِ القوْم جَدٌّوكَوْكَبُ

وكقول الآخر :

لعَمْرِى لِنعْم الحىُّ حىُّ بنى كَعْب ... إذا نَزَل الخَلْخالُ مَنْزِلة القُلْبِ

يقول : إذا ريعتْ صاحبة الخلخال فأبدت ساقها وشمرت للهرب . والقُلب السِّوار تُبديه المرأةُ وتخفى الخَلخَالَ إذا لبستهن . وقد قيل فى معنى هذا البيت أيضاً إن المرأة إذا ريعت لبست الخلخال فى يدها دهشاً .

وكقول حُميد بن ثور :

أرَى بصَرِى قد رَابَنى بعد صحة (٤) ... وحسْبُك داءأنْ تَصِحَّ وتَسْلَما

وكقول لبيد :

تمنى ابنتاىَ أن يعيشَ أبُوهما ... وهلْ أنَا إلاَّ من ربيعَةَ أو مُضَر (٥)

(١) فى النقائض (١ / ٥٢) أنه قالها فى بعض حروبه مع بلحارث بن كعب ، فى يوم « نهدوجرم » وهوعليه . وهو فى ديوانه ص ٥٦ طبع دمشق ١٩٧٤ ، ص ٤٥ طبع بغداد ١٩٧٠ .

(٢) فى شرح الحماسة للمرزوقى أنه للشمنذّر الحارثى (١ / ١٨٦) « والبيتان ٢ / ١٨٦ ١ / ١٢٤ لسويد المراصد الحارثى أو غيره » .

(٣) البيت فى الحماسة شرح المرزوقى (١ / ١٢٤) ، والبيان ٢ / ١٨٦ وروايته « بصحراء الغميم » .

(٤) الديوان ص ٧ « أرى بصرى قد رابنى بعد حدة » ، والشعر والشعراء ١/ ١٠ ، ١/ ٣٤٩ ، والحماسة الصغرى لأبى تمام ص ٢٨٨ .

(٥) الديوان ط ليدن سنة ١٨٩١ م ص ١ .

ومن الأختصار قولُ لبيد :

وبنو الرَّيان أعداءٌ لـلا … وعلى ألسُنِهم ذلَّت نَعمْ[1]
زَيَّنتْ أحسَابُهم أنسابَهُم … وكذاك الحِلْمُ زينٌ للكَرَمْ

ومن المدح البليغ الموجَزِ قولُ امرىء القَيْس :

وتَعْرِفُ فيه من أبيهِ شمائلاً … ومن خالِه ومن يَزيد ومِنْ حَجَرْ
سماحةَ ذا وبرَّ ذا ووفاءَ ذا … وتأملَ ذا إذا صحَا وإذا سَكِرْ[2]

وكقول محمد بن بشير الخارجي* :

يا أيها المتمنِّى أن يَكُونَ فتًى … مثلَ ابن زيدٍ لقد خلىَّ لك السبُلا
أعْدُدْ نظائرَ أخلاقٍ عُدِدْنَ لهُ … هل سُبَّ من أحدٍ أوسبَّ أو بَخِلاَ

وكقول الآخر :

عَلَّم الغيْثَ النَّدَى حتَّى إذا … ماحَكاهُ علَّم البَأسَ الأسدْ
فلَهُ الغيثُ مُقِرٌّ بالنَّدى … ولهُ اللَّيثُ مُقِرٌّ بالجَلَدْ

وكقول الآخر :

يامنْ نُؤَمِّلُ أنْ تكُونَ خِصالهُ … كخِصَالِ عبدِ الله أنْصِتْ واستَمِعْ
فلأ نصَحنَّك فى المشُورَةِ والَّذى … حَجَّ الحجيجُ إليهِ فاقْبَلْ أوْدَعِ
أصدُقْ وعفَّ وَ برَّ واصْبِرْ واحْتمِلْ … واحلُم وكفَّ ودَارِ واشْمَعْ واشْجَع

(١) الديوان ص ٥٨ .

«وبنو الريان لابأتون لا … وعلى ألسنهم خفت نعم»

(٢) شرح الديوان ص ١٣٩ .

* محمد بن بشير الخارجي . شاعر حجازى مطبوع من شعراء الدولة الأموية كان يقيم فى بوادى المدينة ، ولايكاد يحضر مع الناس .

وكقول الآخر :

شبهُ الغَيْثِ فيهِ واللَّيثِ والبَدْ　　رِ فسمحٌ ومُخْرِبٌ وجميلُ

فهذهِ أمثلةٌ لأنواعِ التَّشْبيهاتِ التى وعدْنا شرْحَها ، وفى كتاب « تهذيب الطبع » ما يَسدُّ الخَللَ الذى فيها ، و يأتى على ما أغفَلْنا وصفَه والاستشهادَ به من هذا الفنّ إن شاء الله تعالى .

الاشعار المحكمة واضدادها

ونذكر الآن أمثلة للأشعار المحكمة الرصف ، المستوفاه المعانى ، السلسة الألفاظ ، الحسنة الديباجة ، وأمثلة لأضدادها . وننبه على الخلل الواقع فيها ، ونذكر التى قد زادت قريحة قائليها فيها على عقولهم ، والأ بيات التى أغرق قائلوها فيما ضمنوها من المعانى ، والأ بيات التى قصروا فيها عن الغايات التى جروا إليها فى الفنون التى وصفوها ، والقوافى القلقة فى مواضعها ، والقوافى المتمكنة فى مواقعها ، والألفاظ المستكرهة ، النافرة ، الشائنة للمعانى التى اشتملت عليها ، والمعانى المسترذلة الشائنة للألفاظ المشغولة بها ، والأ بيات الرائقة سماعا ، الواهية تحصيلا ، والابيات القبيحة نسجاً وعبارة ، العجيبة معنى وحكمة وإصابة .

[سنن العرب وتقاليدها] :

وأمثلة لسنن العرب المستعملة بينها ، التى لا تفهم معانيها إلا سماعاً ، كإمساك العرب عن بكاء قتلاها حتى تطلب بثأرها ، فإذا أدركته بكت حينئذ قتلاها . وفى هذا المعنى :

مَن كانَ مَسْرُوراً بِمقتَلِ مالِكٍ فليأتِ نِسْوَتَنا بوجْهِ نهارِ[1]

يجِدْ النِّساءَ حواسِراً ينْدُبْنَهُ يلْطِمْنَ أوْجُهَهُنَّ بالأسْحَارِ

قد كُنَّ يكْنُنَّ الوجوهَ تستُّراً فالآن حينَ برزْنَ للنُّظَّارِ

يقول : من كان مسروراً بمقتل مالك فليستدل ببكاء نسائنا وندبهن إياه على أنا قد أخذنا بثأرنا وقتلنا قاتله .

(١) الأبيات للربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن قارب العبسى ضمن أبيات أخرى أوردها أبوعبيدة فى النقائض أولها .

نـــام الخلى ومـــا أغـــمّـــض حـــار من سوء الـــنبـــأ الجلـــيـــل الســـارى

مـــثـــلـــه تمشى الـــنّـســـاء حـــواســـراً وتـــقـــوم مـــعـــولـــة مـــع الأســـحـــار

و يورد الأ بيات المذكورة (النقائض) ١ / ٨٩ ط اوربا ١ / ٨٩

وككيهم ـ إذا أصاب إبلهم العرُّ والجرب ـ السليم منها ليذهب العرعن السقيم . وفى ذلك يقول النابغة متمثلاً :

يكلِّفنى ذنْبَ امرئٍ وتركتُه كذِى العرِّ يُكوَى غيرهُ وهو راتِعُ[1]

وكحكمهم إذا أحبَّ الرَّجُلُ منهم امرأةً وأحَبّته ، فلم يَشُقَّ برقُعها و(لم) (لم) تشقَّ هى رِدَاءه فإن حبَّهُما يفْسَد ، وإذا فعَلاه دام أمرُهما . وفى ذلك يقول عبد بنى الحسحاس سحيم :

فكم قد شققْنَا من رِداءٍ مُحبَّرٍ ومن بُرقع عن طَفْلةٍ غيرِ عَانِس
إذا شق بردٌ شُقَّ بالبرد مثلُه دوَاليْك حتى كُلُّنا غيرُ لابِسٍ[2]

وكتعليقهم الحلى والجلاجِلَ على السَّلِيم لِيُفِيقَ . وفى ذلك يقول النابغة :

يُسهَّدُ من ليلِ التَّمامِ سليمُها لحلى النِّساءِ فى يدَيْه قعَاقِعُ[3]

و يقول رجلٌ من عُذرَة :

كأنِّى سليمٌ ناله كلْمُ حَيَّةٍ ترى حَوْلَهَ حُلىَ النسَّاءِ مُوضَّعها

وكفقئهم عينَ الفحلِ إذا بَلغت إبلُ أحدِهم ألفاً ، فإن زادتْ عن الألف فقأوا العينَ الأخْرى ، يقولون إن ذلك يدفع عنها الغارةَ والعينَ . وفى ذلك يقولُ قائلهم يشكر ربّه على ماوهب له :

(١) الديوان ص ٤١ .
(٢) الديوان ط دار الكتب ص ١٦ «عن رداء منير»
(٣) الديوان ص ٣٩ .

وهبتَها وأنت ذُو امتِنانِ يُفقأ فيها أعينُ البُعران

وقال بعض العرب ممن أدرك الاسلام يذكر أفعالهم :

وكانَ شكرُ القَوْم عند المِنَنِ كيَّ الصَّحيحاتِ وفقأ الأعْيُنِ

وكَسقْيِهِمْ العاشِقَ الماءَ على خرَزَةٍ تسمى السُّلوان فيسلو، ففى ذلك يقول القائل :

ياليت أنَّ لِقَلْبِى من يُعلِّلهُ أو ساقِيًا فسقَاهُ اليَومَ سُلْوَانا

وقال آخر :

شرِبْتُ على سُلوانةٍ ماءَ مُزْنةٍ فلا وَجدِيدِ العَيْش يامَىُّ ما أسْلُوُ

وكإيقادهم خلف المسافر الذى لايحبُّونَ رجُوعَه ناراً ، و يقولون .

أبعدَه اللهُ وأسحَقه وأوقدَ ناراً إثره . وفى ذلك يقول شاعرُهم :

وذمةِ أقوامٍ حملتَ ولم تكُنْ لتُوقِدَ ناراً إثرَهم للتندُّمِ

وكضربهم الثَّور إذا امتنعت البقرُ من الماء ، و يقولون إن الجنَّ تركب الثِّيران فتصدُّ البقرَ عن الشراب . قال الأعشى :

فإنِي وما كلَّفتُمونى وربِّكم لِيُعلمَ من أمْسَى أحقَّ وأحْوَبا(١)

لكالثَّورِ والجِنِّىُّ يركبُ ظهْرهُ وما ذنبُه أن عافَتْ الماءَ مَشْرَبا(٢)

وما ذنبُه أن عافتْ الماءَ باقرٌ وما إنْ تَعافُ الماءَ إلاَّ ليُضرَبا

وقال نهشلُ بنُ حرّى :

أتتركُ عامرٌ و بنُو عدِىٍّ وتَغْرمُ دارِمٌ وهمُ بِراء

كذاكَ الثَّورُ يُضرَبُ بالهرَاوَى إذا ما عَافَتْ البقَرُ الظِّماء

وكزَعْمِهم أن المِقْلات ـــ وهى التى لا يبقى لها ولدٌ ـــ إذا وَطِئتْ قتيلا شريفاً بقى ولدها . وفى ذلك يقول القائل :(٣)

(١) ديوان الأعشى القصيدة رقم ١٥ وروايته « أحق وأحربا » .

(٢) ديوان الأعشى (الجنى يضرب ظهره) .

(٣) نهاية الأرب ٣ / ١٣٤ لبشر بن أبى خازم .

تظلُّ مقَاليتُ النسَّاء يطأنَهُ   يقلْنَ ألا يُلقَى على المرْءِ مِئْزرُ

وقال الكُميْتُ :

وتظلُّ المؤْزَراتُ المقالـ   ـيتُ يُطلْنَ القُعودَ بعدَ القِيامِ(١)

وإنما يفعلُ النّساءُ ذلك بالشَّريف إذا كان مقتولاً غدراً أو قوة .

وكزعمهم أن الرجل إذا خَدِرَت رجلُه فذكر (أحب الناس إليه) ذهب عنه الخدر(٢) .

وقال كثيِّر :

إذا خَدِرَتْ رجلى ذكرتُكِ أشْتفِي   بذكركِ من خَدَرٍ بها فيهُونُ(٣)

وقالت امرأةٌ من بنَى بكْر بن كِلاب :

إذا خَدِرَتْ رجْلِى ذكرتُ ابن مصعب   فإنْ قلتُ: عبَد الله أجْلَى فُتُورَها

وقال آخر :

صَبٌّ مُحِبٌّ إذِا مارِجْلُه خَدِرَتْ   نادَى كُنَيْسةَ حتى يَذْهبَ الخدرُ

وكحذف الصبى منهم سنَّه إذا سقطت فى عين الشمس ، وقوله .

أبدلينى بها أحسن منها ، وليجر فى ظلمها إيأتك .(٤)

وزعم العرب أن الصبى إذا فعل ذلك لم تنبت أسنانه عوجا ولاُ ثعلا .

وقال طرفة بن العبد فى ذلك :

بدلته الشمس من منبته   برداً أبيض مصقول الأشر(٥)

(١) البيت فى المعانى الكبير لابن قتيبة : (ط الهند ص ٩٠٨) .
(وتطيل المنزرات المقاليت   إليه القعود بعد القيام)
وذكر ابن قتيبة فى المعانى الكبير ص ٩٠٨ أنه للكميت « وقد ذكر الحسين صلوات الله عليه حين قتل »

(٢) مابين القوسين ممحو بالأصل وصححته من نهاية الأرب ٣ / ١٢٥ .

(٣) فى الأصل بالهامش . وهو فى ديوان كثير ص ١٧٦ و يشك فى تشبه اليه — راجع ديوانه طبع بيروت ١٩٧١ تحقيق د . إحسان عباس .

(٤) البيت فى نهاية الأرب ٣ / ١٢٢ ، والعقد الثمين ص ٦٠ والأشر: الأسنان الرقيقة المحددة . وراجع ديوانه ص ٧٢ طبع القاهرة ، ص ٥٧ طبع دمشق ١٩٧٥ .

سقته إياة الشمس إلا لثاته   أسف ولم يكدم عليه بإثمد

•قال أبو دؤاد :

ألقى عليه إياة الشمس أدرانا

وكزعمهم أن المهقوع ــ وهو الفرس الذى به هقعة ــ وهى دائرة تكون بالفرس فيقال فرس مهقوع[1] إذا ركِبَهُ رجلٌ فعرقَ الفرسُ اغتلَمتْ امرأتُه وطمَحتْ إلى غَيْرِ بْعلها .وقال بعضُ العرب لصاحب فرس مهقُوع :

إذا عَرِق المهقُوع بالمرء أنعَظتْ ... حَليلَتُه وازْدادَ حَرًّا عِجَانُها

فأجابه :

وقد يركب المهقوعَ من لست مثله ... وقد يركب المهقوع زوجُ حَصَان[2]

فأجابه آخر :

وقد يركبُ المهقُوعَ من لسْتَ مِثلَهُ ... وقد يركبُ المهقُوعَ زوجُ حَصَانِ

وكعقدهم السَّلع والعُشَرَ فى أذناب الشيران ، وإضرامهم النيران فيها ،وإصعادهم إياها على تلك الحالةَ فى جبل يستسقون بذلك و يدعون اللّه . وهذا إذا حبَست السماء قَطرهَا . وفى ذلك يقول أمية بن أبى الصَّلتْ الثَّقفَى :

سنةٌ أزمةٌ تَخيَّلُ بالنا ... سِ تَرى للعضَاهِ فيها صَرِيرًا[3]

لاعَلى كَوْكَبٍ نَوْءٍ ولا ... ريحِ جَنُوب ولا تَرى طخْرُورا[4]

و يسوقون باقر السَّهْل للطوْ ... رِ مهازِيلَ خِشيةً أن تَبُورَا[5]

سلْعُ ماومثلُه عُشَرٌ ما ... عائلُ وعالتْ البَيقُورا

(١) فى اللسان :(المقعة الدائرة فى وسط زور الفرس أو عرض زوره وهى دائرة الحزام تستحب ، وقيل هى دائرة تكون بجنب بعض الدواب يتشاءم بها وتكره ، و يقال إن المهقوع لايسبق أبدا) .

(٢) البيتان فى اللسان مادة هقع .

(٣) الأبيات فى الحيوان للجاحظ (٤ / ٤٦٦ ط هارون) بخلاف فى الرواية والترتيب ، العضاه : كل شجر له شوك . يريد يبست أوراقه واعضانه فتحدث الصصرير من احتكاكها الريح

(٤) طخروراً : قطعة سحاب وتروى بالخاء . يريد أن السماء خلت من السحاب المحمل بالمطر والنوء والمطر

(٥) البيقورا : البقر

أى أُثقِلتْ البقَر بما حملت من السَّلْع والعُشَر(١) . وفى هذا المعنىَ للورل الطّائي :

لا درَّ درُّ رجالٍ خَابَ سَعْيُهم يَسْتَمِطرُونَ لدَى الأَزْماتِ بالعُشَر
أجاعِلٌ أنتَ بَيقُورًا مُسَلَّعةً ذرِيعَةً لكَ بين اللهِ والمطَرِ(٢)

وكزعمهم أن من ولد فى القمر رجعت قلفته إلى وراء . فكان كالمختون . دخل امرؤ القيس على قيصر الحمام فرآه أقْلف فقال فيه :

إنى حلَفْتُ يميناً غيرَ كاذِبةٍ أنّك أقْلَفُ إلا ماجَنَى القمرُ
إذا طَعنْتَ به مالَتْ عِمامَتُه كما تجمَّع تحت الفَلْكةِ الوَبرُ(٣)

وكعقْدِهم خيطاً يُسمُّونَه « الرَّتَم »(٤) فى غُصن شجرةٍ أو سَاقِها ، إذا سَافَر أحدهم ، وتفَقُّد ذلكَ الخيْط عند رجُوع المسَافِر منهمْ ، فإنْ وجَدَه على حالِهِ قضَى بأنَّ أهلَه لم تخنْه ، وإن رآه قد حُلَّ حَكَم بأنّها قد خَانَتْهُ . وأُنْشد فى هذا المعنى :

هل ينْفَعنْك اليومَ أنْ هَمَّت بِهمْ كثرةُ [ما] توصِى وتَعقَادُ الرَّتَمْ (٥)

وفى معناهُ أيضاً :

خَانتْهُ لمَّا رَأتْ شيباً بمَفْرِقهِ وغَرَّهُ حَلْفُها والعقدُ للرَّتَمِ

وقال الراجز :

بــه مــن الجــوى لمــمْ وغــرَّهْ عــقــدُ الــرتــم (٦)

(١) السلع والعشر : ضربان من الشجر من نبات البادية

(٢) البيتان فى الحيوان ٤ / ٤٦٨ مسلعة : وضع بين أذنابها وعراقيبها السلع .

(٣) البيتان فى العقد الثمين ١٣٣ ورواية عجز البيت الأول (إنك أغلف) وفى ديوانه بتحقيق السندوبى ص ١١١ طبع القاهرة ١٩٥٣

(٤) راجع المعانى الكبير لابن قتيبة ١ / ٢٦٨ ، يقول ابن قتيبة فى المعانى الكبيرة (والرتم الشجر وكان الرجل إذا خرج فى سفر عمد إلى هذه الشجرة فعقد بعض أغصانه ببعض ــ فاذا رجع من سفر وأصابه على تلك الحال قال : لم تخنى امرأتى ، وإن أصابه قد انحل قال : خانتنى) .

(٥) البيت فى معانى الشعر لابن قتيبة ص ٢٦٨ ط الهند ١٩٥٠

(٦) راجع نهاية الأرب ٣ / ١٢٥ .

وكزَعْمِهم أنَّ الرَّجُلَ إذا أرَادَ دخُولَ قرْيةٍ فخَافَ وباءهَا فوقَف على بابها قبل أن يدْخل فعشَّر كما ينهق الحِمار، ثم دخَلها لم يصِبْهُ وباؤُها.

وقال عروة بن الورد فى ذلك ــ وكان خرجَ مع أصحاب له إلى خيبر يمتارون فخافوا وباءها، فعشَّروا، وأبَى عُروة أن يفْعَل، فلمَّا دخلوها وامتاروا وانصَرفُوا نحو بلادهم لم يبلغوا مكانَهم إلا وعامَّتُهم ميّت أو مَرِيض إلا عُرْوة، فقال:

لعمرى لئن عشَّرْتُ من خِشْيةِ الرَّدى ... نُهاقَ الحَمير إنَّنى لجذُوعُ (١)

فلاَ وألَت تْلك النفوسُ ولا أتَتْ ... على روْضَةِ الأجْدادِ وهى جميعُ

وكزعمهم أن من علق على نفسه كعب أرنب لم تقربه الجن.

وفى ذلك يقول الشاعر:

ولا ينفعُ التَّعشيرُ إنْ حُمَّ واقِع ... ولا دعدَعُ يُغْنِى ولا كعْبُ أرْنَب (٢)

[قال ابن الاعرابى: قلت لزيد بن كُثْوة: من علق على نفسه كعب أرنب لم تقربه جنات الحىّ وعمار الدار؟ فقال إى والله وشيطان الحماط، وجان العشيرة، وغول القفر، وكل الخوافى، إى والله وتطفأ عنه نيران السعالى وتبوخ.]

وكزعمهم إذا أرادت جنّيَّةٌ صبى قوم فلم تقدر عليه، من سن ثعلب أو سن هرة، وأشباه ذلك. فلما رجعت إلى صواحباتها ضرطا من ذلك قالت:

كانت عليه نُقَرهْ
ثعالبٌ وهِررَهْ
والحيض حيضُ السمُرَهْ

(١) المعانى الكبير ٢٦٧، الحيوان ٦ / ٣٥٩، ديوان عروة ٩٩، ومحاضرات الراغب ١ / ٨٤، وأمثال الميدانى فى قولهم: (عشر والموت شجا الوريد). والمخصص لابن سيده ٨ / ٤٩

(٢) المعانى الكبير ٧٦٨، ورواية صدره: (ولاينفع التعشير فى باب قريه) والحيوان هارون ٦ / ٣٨٥ وروايته (ولا ينفع التعشير فى جنب جرمة) والجرمة القطة من النمل أو البثان منه وقوله دعدع ــ كلمه كانوا يقولونها عند العثار

وحيض السَّمُرة شيء يَسيل من السمرة في حمرة دم الغزال ، فإذا يبس كان أسود فإذا ديف بالماء عاد أحمر كما كان فإنَّ ذلك يزايل صبيانهم . حين تلد المرأةُ تَخُطُّ به وجه الصَبى ورَأسه ، و ينقط وجْهُ أمّه ، وتسمّيه [العرب] نُقْطَه الماءَ ، واسم هذا الخط « الدودم »(١) . فهذه الأشياء لا تُفهم معانيها إلا سَماعاً ، وربَّما كانَتْ لها نَظائرُ فى أشعارِ المْحدثين منِ وصف أشياَء تعرضُ فى حالاتٍ غامضةٍ ، إذا لم تكن المعرفة بها متقدمة عسُر استنباطُ معانيها واستُبْرِدَ المسمُوعُ منها .

وكقولِ أبى تمام : (٢)

تسعُون ألفاً كآسادِ الشَّرى نَضِجتْ ... أعمارُهم قبلَ نُضْج التّين والعِنَبِ

وكان القومُ الذين وصفهم يتواعدون الجيش الذى كان بإزائهم بالقتال ، وأن ميعادَ فنائهم وقتُ نُضْج التّين والعِنَب(٣) وكانت مُدة ذلك قريبةً فى ذلكِ الوقت ، فلما ظُفِرَ بهم ، حكىَ الطِائىُّ قَوْلَهم على جهَةِ التَّقريع والشَّماتة ، ولولا ماذَهب إليه فى هذا المعْنى لكانَ ما أوردَهُ من أبردِ الكلاَمِ وأَغثّه ، على أن قوله : « نضجت أعمارهم » ، ليس بمستحسن ولا مقبول .

(١) الكلام من قوله (وكزعمهم .. إلى ... الدودم) فى الأصل بالهامش .

(٢) البيت من قصيدته فى فتح عمورية ديوانه ١ / ٦٩ طبع دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٤ م

(٣) بالهامش : (المشهور أن المنجمين حكموا بأن عمورية لا تفتح إلابعد نضج التين والعنب . ومطلع القصيدة يدل على ماقلت)

الأبيات المتفاوتة النسج

فأما هذه الأبياتُ المستكرَهةُ الألفاظِ المتفاوِتَةُ النَّسجِ، القبيحَةُ العِبارة، التي يجبُ الاحتَرازُ من مِثلها فيقُول الأعشَى:

أفي الطَّوفِ خفتَ عليَّ الردى   وكمٍ من رد أهلَه لم يرُم[1]

يريد لم يرُم أهله.

وكقول الرّاعي:

فلما أتاها حبْترٌ بسِلاَحِه   مضى غير مبهور ومنصله انتضى[2]

يريد: وانتضى منصله[3]

وكقولِ عروة بن أذينة:

واسقِ العدُوَّ بكأسِه واعْلم لهُ   بالغيب أنْ قدْ كانَ قبلُ سقاكها

واجزِ الكرامةَ من ترى أنْ لوْ لَهُ   يوماً بذَلْتَ كَرامةً لجَزاكها[4]

فقوله في البيت الأول: «واعلم لُه بالغيب»[5] كلامٌ غثٌّ و«له» رديئةَ الموقع بشعةُ المسمَع. والبيتُ الثاني كان مَخرجَهُ أن يقُول: واجْزِ الكرامةَ مِن ترىَ أن لو بَذَلْتَ له يوماً كرامةً لجزاكَها.

وكقوله أيضاً:

وأعَمَلْتُ المطِيَّةَ في التَّصابِي   رَهِيصَ الخفّ دامِيةَ الأظَلِّ[6]

أقولُ لهَا لهَان عليَّ فيما   أُحِبُّ فما اشْتِكاؤُكِ أنْ تَكلِّي

يريدُ: أقولُ لهانَ على فيماأحبُّ أنْ تكَلِّى فما اشتكاؤُك؟

وكقولِ النَّابغة:

يصاحِبْنَهم حتى يغزْنَ مغارهُم   من الضَّارياتِ بالدِّماء الدَّوارِب[7]

(١) ديوان الاعشى القصيده رقم ٤ البيت رقم ٥٥

(٢) الموشح ١٥٨

(٣) في الموشح نقل المرزباني نص العبارة وزاد «قدم وأخر»

(٤) الموشح ٢١٢ ... ويذكر ابن الأثير في المثل السائر ١ / ١٧٤، ١ / ٢٧١ بعض أبيات من القصيدة.

(٥) الموشح ٢١٢ وينقل نص العبارة.

(٦) الموشح ٢١٢ «الأظل ولعلها الأطل وهو منقطع الأضلاع وقيل الخاصرة.

(٧) ديوان النابغة ص ٩٠، والموشح ٤٢، وينقل المرزباني نص عبارة ابن طباطبا في أول المقال: «ومن الأبيات المستكرهة الألفاظ ...» ثم يورد بيتي النابغة وتعليق ابن طباطبا على كل منها.

يـريـد مـن الضَّاريات الذَّوارب بالدّماء ، وإنما يصِحُّ مثل هنا إذا التبَس بما قبلـه ، لأن الـدّماء جمعٌ والذَّوارب جمعٌ ، ولو كان : من الضَّاريات بالدَّم الـذَّوارِب لـم يـلتبس ، وإن كانت هذه الكلمة حاجزةً بين الكلمتين ، أعنى بين الضَاريَاتِ والذَّوارب اللتَّين يجبُ أن تُقْرنَا معاً .

وكقول النابغة أيضا :

يَـثِـرْنَ الـثَّرى حتـى يُـباشِرْنَ برْدَه   إذا الشَّمسُ مجَّتْ رِيقَها بالكَلاكِلِ[1]

يـريـد : يـثـرْنَ الثَّرى حتى يباشِرْنَ بَرْدَه بالكلاكِلِ ، إذا الشمس مجَّتْ ريقها .

وكقولِ الشَّماخ :

تخـامَـصُ عن برِدِ الوشاحِ إذا مَشَتْ   تخَامُصَ حَافيِ الخَيْل فى الأمْعزِ الوَجى[2]

يريدَ : تخامُصَ حافِي الخَيْل الوَجِى فى الأمْعزِ .[فقدم وأخر][3]

وكقول النابغة الجعدى :

وشـــمُــولٍ قــهــوةٍ بــاكــرتُــهــا   فى الـتَّـبـاشِيرِ مـن الُـصبُح الاوُّلِ[4]

يُريدُ :فى التَّباشِير الأوُّل من الصُّبح .

وكقولِ ذى الرُّمة :[5]

كـأنَّ أصْـواتَ مـن إيغَـالـهِـنَّ بـنَـا   أواخـرَ المـيـسِ أصْـواتُ الـفـرَاريـجِ

يريد : كأن أصوات أواخرَ الميس أصواتُ الفرَاريج من إيغَالِهنَّ بنا .

وكقوله أيضا :[6]

نَـضَـا الـبُـرْدَ عـنه وهو من ذُو جُنونُهِ   أجَـارِيُّ تَـسـهْـاكِ وصَوْتُ صَلاصلِ

(١) الموشح ٤٣ . وديوانه ١٤٢ طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٧

(٢) ديوان الشماخ ٧ ، والموشح ٧١ ، الأمعز : المكان الذى به غلظ وصلابة وفيه حجارة ، الوَجى وهو الحفى . يريد بحافى الخيل الذى أصابه الحفى وهو مايصيب حوافر الخيل من مرض يؤلها عند المشى

(٣) الزيادة من الموشح ص ٧١

(٤) الموشح ٦٧ ، وشعر النابغة

(٥) ديوانه ٢/٩٩٦ ط دمشق ١٩٧٢

يريد : وهو من جنونه ذو أجاري(١).

وكقول عمرو بن قميئة(٢) :

لمَّا رأتْ سَاتِيدَ مَا اسْتَعْبرتْ   للهِ درُّ اليومَ من لامَها(٣)

يريد : لله درُّ من لامَها اليومَ .

وكقَوْل أبي حيَّة النُّميْرِي (٤) :

كما خُطَّ الكِتابُ بكفِّ يومًا   يَهُودِيٍّ يُقارِبُ أو يُزِيلُ

يريد : كماخُطَّ الكِتابُ يومًا بكفِّ يهُودِيّ يقارِبُ أو يُزِيل(٥).

وكقولِ امرأةٍ من قَيْس :

لها أخوًا فى الحرْبِ من لا أخا له   إذَا خافَ يوماً نَبْوةً ودعَاهُما

وكقولِ الفرزْدَق :(٦)

ومامِثْلُه فى النَّاس إلا مُملَّكاً   أبو امِّه حىٌّ أبوهُ يُقارِبُه

فهذا هو الكلام الغثُّ المستكرهُ الغلق ، وكذلك ماتقدّمه ، فلا تجعلن هذا حجة ولتجتنب ما أشبهه (٧).

والذى يحتمل فيه بعض هذا إذا ورد فى الشعر هومايضطر إليه الشاعر عند اقتصاص خبر أو حكاية كلام ، إنْ أُزيل عن جهته لم يجزْ، ولم يكن صِدْقا ولايكون للشاعر معه اختيار، لأن الكلام يملكه حينئذ ، فيحتاجُ إلى اتباعه والانقياد له ،

(١) الموشح ١٥٧ والتسهاك : عدو شديد ، وربيعٌ سهُوك . والصلاصل: صوت شديد يريد وهو من جنونه ذو أجارى (المرزباني الموشح ١٨٥) .

(٢) عمرو بن قيئة شاعر جاهلى من بنى ثعلبة بن بكر بن وائل ، عاصر امرأ القيس وصاحبه فى رحلته إلى القسطنطينية حوالى سنة ٥٢٠ ــ ٥٣٠ م وحياته غامضه ، وتاريخه مجهول .

(٣) الديوان ص ٦٢ ط أوروبا ، والموشح ٧٩ .

(٤) أبوحية النميرى واسمه الهيثم بن الربيع من قيس عيلان شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . مقصد راجز من سكان البصرة توفى حوالى سنة ١٦٠ هـ [راجع أخباره فى الأغانى ١٥ / ٦١ والشعر والشعراء ٤٢٩ ، ٧٥٠ والخزانة ٤/ ٢٨٣]

(٥) الموشح ٢٢٧ ــ ٢٢٨

(٦) ديوان الفرزدق ١ / ١٠٨ ط القاهرة ١٩٣٦ بتحقيق الصاوى

(٧) الموشح ١٠٢

فأما ما يمكن الشاعر فيه من تصريف القول وتهذيب الألفاظ واختصارها وتسهيل مخارجها ، فلا عذر له عند الاتيان بمثل ماوصفناه من هذه الأبيات المتقدمة .

[الشعر القصصى]

وعلى الشاعر إذا اضطُرَّ إلى اقتصاص خبرٍ فى شعر دبّرهُ تدْبيرا يسلُس له معهُ القولُ ، و يطّردُ فيه المعنى ، فبنَى شِعرَهُ على وزنٍ يَحتِملُ أنْ يُحشى بما يحتاجُ إلى اقتصاصِه ، بزيادة من الكلام يُخلط به ، أو نقصٍ يُحذف منه . وتكون الزيادةُ والنقصان يَسِيريْن ، غيرَ مخدَّجيْن ، لما يستعان فيه بهما ، وتكونُ الألفاظُ المزيدةُ غيرَ خارجةٍ من جنسِ ما يقْتَضِيه ، بل تكونُ مُؤيِّدةً له ، وزائدةً فى رَوْنَقِة وحُسْنِه . كقول الأعشى فيما اقتصَّه من خبرِ السَّموال:[1]

كُن كالسَّموألِ إذْ طافَ الهُمامُ به ... فى جَحْفلٍ كزُهاء الليّلِ جرَّار[2]

بالأ بلقِ الفَرْدِ منْ تيْماء مَنْزِلُه ... حِصْنٌ حَصِينٌ وجَارٌ غيرُ غَدَّارِ

إذْسَامهُ خطَّتى خسفٍ ،فقالَ لهُ : ... أعْرضْ على كذا أسمَعْهُما حَارِ[3]

فقالَ : غدْرٌ وثُكْلٌ أنتَ بيْنهما ... فاخترْ وما فِيهما حَظٌّ لمخْتَارِ[4]

فشكَّ غيرَ قليلٍ ثمَّ قالَ لهُ : ... اقتُلْ أسيركَ إنِّى مانِع جارِى[5]

إنَّ له خلَفاً ، إن كُنْتَ قاتِلَهُ ... وإنْ قَتلْتَ كريمًا غيرَ عوَّار

مالاً كثيرًا وعِرْضاً غيرَ ذِى دَنسٍ ... وأخوةً مِثْلَهُ ليْسُوا بأشْرارِ

جَرَوْا على أدَبٍ منِّى فلا نَزقٌ ... ولا إذَا شمَّرَتْ حَرْبٌ بأغْمارِ[6]

(١) القصيدة فى ديوانه ص ٢١٥ تحقيق الدكتور محمد حسين ــ طبع بيروت

(٢) فى الديوان « إذ سار» فى صدره « فى جحفل كسواد الليل » فى عجزه . والأبيات من قصيدة للاعشى يمدح بها شريح بن حصن بن عمران بن السموأل بن عادياء .

(٣) فى الديوان (قل ما تشاء فانِّى سامعٌ حارِى) . وحار: ترخيم حارث وهو اسم الملك الذى حاصر قلعة السموأل .

(٤) فى الديوان (فقال ثكلٌ وغدرٌ أنتَ بينهما) .

(٥) فى الديوان (اذبح-هديَك إنى مانعٌ جارى)

(٦) فى الديوان (...بلا نزق)

وسَوْفَ يُخْلِفُه إنْ كنتَ قاتِلَه رَبٌّ كريمٌ و بِيضٌ ذاتُ أطهارِ[1]
لاسِرُّهنَّ لدَيْنَا ضَائعٌ مَذِقٌ وكاتِماتٌ إذا استُودِعْنَ أسرَارِى
فقالَ تقدمةً إذ قامَ يَقْتُلهُ: أشْرِفْ سموأَلُ فُانظُر للدَّمِ الجَارِى
أ أقتلُ ابنَكَ صبرًا ، أوتَجِىء بها طَوعًا ؟ فأنكَر هذَا أىَّ إنكارِ
فشكَّ أودَاجَهُ ، والصَّدرُ فى مضَضٍ علَيهِ منطوياً كاللَّذعِ بالنَّارِ
واختارَ أدَراعه أنْ لا يُسَبَّ بها ولم يَكُن عهدُه فِيهَا بختَّارِ
وقال : لا أشْتَرِى عاراً بمكرُمةٍ فاختارَ مكُرمَةِ الدُّنيا على العَارِ
والصبرُ منه قديمًا ، شيمةٌ خُلقٌ وزنْدُه فى الوَفاءِ الثَّاقِبُ الوَارِى

فانظرْ إلى استواء هذا الكلام ، وسهولةِ مخرَجِهِ ، وتمامِ معانيه ، وصِدْقِ الحكايةِ فيه ، ووقُوعِ كلِّ كلِمةٍ موقعَها الذى أُرِيدَتْ له ، من غيرِ حَشْوٍ مجتلب ولاخلَلٍ شاذّ . وتأمل لُطْفَ الأعْشَى فيما حَكَاهُ واختصرهُ فى قوله : « أأقْتُلُ ابنَك صبراً أو تجىء بها » فأضمَر ضميرَ الهاء فى قوله : « وأختارَ أدرَاعَهُ أن لايُسبَّ بها » ، فتلافَى ذلكَ الخلل بهذا الشَّرح ، فاستغْنَى سامعُ هِذه الأبيات عن استماعِ القِصّة فيها ، لاشتمالها على الخبَر كله بأوجز كلامٍ ، وأبْلَغِ حِكاية وأحسنِ تأليف ، وألْطَفِ إيماءةَ .

[1] الديوان : (يعقبنيه إن ظفرت به) .

(الأبيات التى اغرق قائلوها فى معانيها)

فأمَّا الأ بياتُ التى أغرَقَ قائلُوها فى مَعانيها فكقولِ النَّابغة الجعدى[١] .

بَــلــغْــنــا الــسماءَ مَجدةً وتكــرُّمَا	وإنــا لــنَــرْجُو فوقَ ذَلِك مظهـرَا

وكقول الطِّرمَّاح[٢] :

لو كـانَ يخْفى على الرَّحمَنِ خافيةٌ	منْ خَلْقِه خَفِيَتْ عنهُ بنُو أَسَدِ
قــومٌ أقـامَ بـدارِ الـذُّلِّ أَوّلُــهُــم	كمـا أقـامَتْ عليهِ جِذْمةُ الوَتِدِ[٣]

وقوله :

ولـوْ أنْ حـرُقُـوصـاً يُزَقِّـقُ مكـة	إذًا نـهلَتْ مـنـهُ تميـمٌ وعلَّتِ[٤]
ولـوْ أنَّ بُـرغـوثـاً على ظهْرِ نملَةٍ	يَكـرُّ على صَفَّىْ تَميـمِ لولَّتِ[٥]
ولوْجمعَتْ عُليـا تَمِيـمِ جمُوعَها	على ذرَّةٍ مغْقُولةٍ لا ستقلَّتِ[٦]
ولوْ أنَّ أمَّ الـعْـنـكـبُوتِ بَنـتْ لهمْ	مِظلَّتـهَـا يـومَ النَّدَى لاستَظَلَّتِ[٧]

وكقول زهير :

أوْ كانَ يقْعُد فوقَ الشَّمسِ من كرَمٍ	قـومٌ بـأوَّلِهِـمْ أومجـدِهـمْ قـعَـدُوا[٨]

(١) الشعر والشعراء ١ / ٢٤٧ اللسان ٦ / ٢٠٢ ، والقصيدة فى جهرة أشعار العرب ١٤٥ ـــ ١٤٨ . وورد فى مجموع شعره « بلغنا السماء مجدنا وجدودنا » ص ٥١ طبع دمشق ١٩٦٤

قال ابن قتيبة إن النابغة الجعدى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشده البيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شاء الله .

(٢) الطرماح بن حكيم من شعراء لدولة الأموية عاش بالشام وانتقل إلى الكوفة .
اعتنق مذهب الشراة والأزارقه ، وكان يكثر فى شعره من الغريب (الشعر والشعراء لابن قتيبة . الأغانى ١٠ / ١٢٨ . الخزانة ٣ / ٢١٨) والبيتان فى ديوانه ١٤٥ طبع لندن ، ٦٦ / ١٦٧ طبع دمشق ١٩٦٨

(٣) البيتان من قصيدة له فى الشعراء والشعراء ٢ / ٥٩٦ ، جنمة الوتد : أصله .

(٤) الأ بيات من قصيدة ص ١٣٣ من ديوانه طبع لندن ، ص ٦٣ / ٦٤ طبع دمشق (حرقوصا) . فى الأصل برغوثا وصحته من الشعر والشعراء ٢٠ / ٥٦٨ ، والحرقوص دو يبة صغيرة

(٥) الديوان ظهر قله . والشعر والشعراء (ظهر قَله) . وهذا البيت وسابقه متبادلان فى الموضع فى الشعر والشعراء

(٦) لوجمعت عليا تميم ـــ الشعراء (لوجمعت يوما تميم)

(٧) الديوان لا ستظلت . الشعر والشعراء (لأ كنت) .

(٨) شرح الديوان لثعلب ٢٨٢

وكقول أبى الطَّمحَانِ القَينى(١) :

أضاءتْ لهمْ أحسَابهُم ووجُوهُهُمْ ... دُجى اللَّيلِ حتَّى نظَّم الجزْعَ ثَاقِبُهْ(٢)

أو كقول امرىء القيس (٣) :

من القَاصِراتِ الطَّرْفِ لودَبَّ مُحولِ ... من الذَّرِّ فَوْقَ الا تْبِ منهَا لأ ثَّرا

وكقول قيس بن الخطيم :

طَعنْتُ ابنَ عبْدِ القَيسِ طعْنةَ ثائرٍ ... لهَا نفذٌ لولا الشُّعاعُ أضَاءهَا

مَلَكْتُ بها كفِّى فانهرْتُ فتْقَها ... يُرى قَائِمٌ منَ دُونِها مَا ورَاءهَا(٤)

وقول الآخر :

ضربتُه فى المُلْتقىَ ضَرْبةً ... فزَالَ عنْ منكِبه الكَاهلُ

فصارَ ما بينَهمُا رَهْوةً ... يمشِى بهَا الرَّامحُ والنَّابلُ

وقول أبى وجزة السعدى(٥) :

ألا علِّلانى والمعَلَّلُ أروَحُ ... وينطق مَاشَاء اللِّسانُ المسرَّحُ

بإجَّانَةٍ لو أنَّه خرَّ بازِلٌ ... من البُخْتِ فيها ظلَّ للشقِّ يسْبح(٦)

وكقولِ النابغة :

وإنك كاللَّيلِ الّذى هو مُدْركى ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المنتَأى عنكَ واسِعُ

خطاطِيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ مَتينةٍ ... تمدُّ بها أيدٍ إليكَ نَوازعُ(٧)

(١) من الشواهد المتداولة راجع الديوان ٣ / ٩٣ . الشعر والشعراء ٦٩٢ . والكامل للمبرد ٤٦ ــ ٤٧ . ديوان المعانى ١ / ٢٢ العمدة ٢ / ١١١ المستطرف ١ / ١٨٠ ، واللسان ٩ / ٢

(٢) نسبه الجاحظ وابن قتيبه إلى لقيط بن زرارة . ونسبه سائر الرواة لأ بى الطمحان وأبو الطمحان القينى هو حنظلة بن الشرقى . كان شاعراً فاسقا . مات سنة ١٠ قبل الهجرة (ترجمته بالأغانى ٢ / ٥٥ ــ ١١ / ١٢٥ ــ ١٢٨ ــ ١٦ / ١٧ . الشعراء ٣٤٨ ــ المعمرين ٥٧ الاشتقاق ٣١٧ ــ المؤتلف ١٤٩ اللالى ٣٣٢ الاصابه ٢ / ٦٦ ــ الخزانه ٣ / ٤٢٦)

(٣) ديوانه ص ٦٨ طبع دار المعارف ١٩٦٤ ونقله المرزبانى بالموشح ص ٢٤٤

(٤) ديوان قيس بن الخطيم ص ٣ . والثانى عجزه « ترى قائما من خلفها ما وراءها »

(٥) أبو وجزة السعدى هو يزيد بن أبي عبيد من بنى بكر بن هوازن أظآر رسول الله كان شاعراً وراوية للحديث . توفى بالمدينة سنة ٥ ترجمته الأغانى ١١ / ٧٥ ــ ٨٧ ، الشعر والشعراء لابن قتيبه ٦٨٤ ــ ٦٨٥ . التاريخ الكبير للبخارى ٤ / ٣٤٨ . التهذيب ١٢ / ٣٤٩ . الخزانة ٢ / ١٤٧ ــ ١٥٠ .

(٦) الموشح ٢٤٤ .

(٧) ديوان النابغة ٤١ ، والعقد الثمين ٢

وإنما قال : « كالليل الذى هو مدركى » ، ولم يقُل : كالصُّبح ، لأنه وصفه فى حال سخطه ، فشبهه باللّيل وهوْله ، فهى كلمة جامعةٌ لمعان كثيرة .

ومثله للفرزدق :(١)

لقد خفتُ حتى لو أرَى الموتَ مقْبلا ليأخُذَنى والموتُ يُكْرَهُ زائرُهْ
لكانَ من الحجَّاجِ أهونَ روعةً إذا هو أغْفَى وهوَ سَامٍ نواظِرُهْ

فانظر إلى لطفه فى قوله : « إذا هو أغْفى ، ليكون أشدَّ مبالغةً فى الوصف إذا وصفه عند إغفاله بالموت ، فما ظنك به ناظراً متأملا متيقظاً ؟ ، ثم نزَّهَهُ عن الاغفاء فقال :« وهو سَامٍ نواظِرهْ » .

وكقول جرير :

ولو وُضِعَتْ فِقَاحُ بنى نُميرٍ على خَبثِ الحَديدِ إذاً لذابا
إذا غَضبَتْ عليكَ بنو تَميمٍ حِسبْتَ النَّاس كُلَّهُم غِضَابا(٢)

وقد سلَكَ جماعةٌ من الشُّعراء المحْدَثين سبيل الأوائلِ فى المَعانى التى أغرقوا فيها .

وقال أبو نواس :(٣)

وأخفتَ أهلَ الشِّركِ حتى إنه لتخَافُك النُّطفُ التى لم تُخْلقِ

وقال بكرُ بنُ النَّطاح :(٤)

لوصالَ من غضبٍ أبو دُلَف على بيضِ السُّيوفِ لذُبْنَ فى الأغْمادِ

قال :

قالوا ويَنْظِمُ فارسين بِطعنَةٍ يوم الهياج ولايراهُ جليلاَ
لا تعْجَبُوا فلو انَّ طولَ قناتِه ميلٌ إذاً نظم الفوارسَ ميلاَ

(١) ديوان الفرزدق ١ / ٢١٣

(٢) ديوان جرير ٧٣ من قصيدة يهجو الراعى النميرى .

(٣) ديوانه ٢٥٨ طبع القاهرة ١٩٥٦ وص ٤٥٢ طبع بيروت ١٩٦٢ من قصيدة يمدح بها هارون الرشيد

(٤) بكر بن النطّاح من شعراء الدولة العباسيه كان معاصراً للرشيد ومدح أبادلف العجلى

« الاشعار المحكمة والمتقنة »

قال : فمن الأشعار المحكمة المتقنة المستوفاة المعانى ، الحسنة الرصف ، السلسة الألفاظ ، التى قد خرجت خروج النثر سهولة وانتظاماً ، فلا استكراه فى قوافيها ، ولا تكلف فى معانيها ، ولاعىّ لأصحابها فيها قول زهير :[١]

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعِشْ ثمانينَ حولاً لاأبالَكَ يَسْأَمِ

رَأيتُ المنَايا خَبْطَ عشْواءَ مَن تُصِبْ تُمِتْهُ ومن تُخْطِىء يُعَمَّر فيهْرَم

ومنْ لايُصانِعْ فى امُورٍ كَثيرةٍ يُضرَّسْ بأنيابٍ و يُوطَأبمْنِسِمِ

وأعلَمُ مافى اليوْمِ والأمسِ قبلَهُ ولكنَّنِي عن عِلْمِ مافى غَد عَمِ

ومنْ يجْعلْ المعرُوفَ من دُونِ عِرْضِه يفِرْهُ ومن لايتَّقِ الشَّتْم يُشْتَمِ

ومن يَكُ ذا فضْلٍ فيبخَلْ بفضلِهِ على قَوْمِه يُستَغْنَ عنهُ وُ يذْممِ

ومن يُوف لأيذْممْ ومنُ يفْضِ قَلبُهُ إلى مُطمِئنِّ البرِّ لا يَتجمْجَمِ

ومن يَعْص أطرافَ الزِّجاجِ فإنَّه يُطِيع العَوالى رُكِّبت كلَّ لهذم

ومن لايذُد عن حَوْضِه بسلاحِه يُهَدَّم ومنْ لايَظلمْ النَّاسَ يُظْلمِ

ومنَ يغترِبْ يحسَبْ عَدُوّاً صديقَه ومن لا يكرِّمْ نفسَه لا يُكرَّمِ

(١) الأبيات من معلقته ـــ راجع ديوانه ص ٣٠ طبع بيروت ١٩٦٨

وكقوله [١]

هنالِكَ إن يُسْتَخْبَلوا المالَ يخبِلُوا ... وإنْ يُسْـأَلُوا يُعْطُوا وإنْ يَيْسرُوا يُغْلُوا

وفيهمْ مقاماتٌ حِسانٌ وجوهُهمْ ... وأَندِيةٌ ينتابُها القَوْلُ والفِعْلُ

على مُكْثِريهمْ حقُّ منْ يَعتَرِيهمُ ... وعندَ المقلِّينَ السَّماحةُ والبَذْلُ

وأن جئتَهمُ ألفيْتَ حوْلَ بيُوتِهمْ ... مجَالسَ قدْ يُشْفي بأَحْلامِها الجَهْلُ [٢]

وإن قامَ منهمْ حَامِلٌ قالَ قاعدٌ ... شُكِرْتَ فلا غُرمٌ عليكَ ولاخَذْلُ [٣]

سعَى بعدَهُم قومٌ لكىْ يُدرِكُوهُمُ ... فلم يَفْعلوا ولَمْ يَكتُموا ولم يأْلُوا [٤]

وما يَكُ من خَيرٍ أتوْه فإنَّما ... توارَثَهُ آباءُ آبائِهمْ قَبْلُ [٥]

وهلْ يُنْبِتُ الخطِّىَّ إلاَّ وَشِيجُه ... وتُغْرسُ إلاَّ فى منابِتها النَّخْلُ

وكقول أبى ذؤيب :

أمِنَ المنُونِ وريْبِها تتوَجَّعُ ... والدَّهرُ ليسَ بمعْتِبٍ منْ يَجْزعُ

وإذَا المنِيَّةُ أنشَبتْ أظْفارَها ... ألفيْتَ كلَّ تميمَةٍ لا تَنْفعُ

والنَّفسُ راغِبةٌ إذَا رغَّبْتَها ... وإذَا تُردُّ إلى قَليلٍ تقْنَعُ [٦]

(١) الأبيات من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان (شرح الديوان ٩٦ ــ ١١٤) .

(٢) الابيات من معلقته ــ شرح ديوان زهير لثعلب ٣١ يستخبلوا : الاستخبال أن يستعير الرجل من الرجل زمن الشدة إبلا فيشرب ألبانها و ينتفع بأو بارها وماتلده فى عام ، فإذا أيسر ردها ، و يسروا ــ من الميسر ، و بغلوا ــ أن يأخذوا سمان الجزر لاينحرون إلا غالبه .

(٣) رواية الأعلم تتفق والرواية المثبتة وتخالفها رواية ثعلب :

وإن قام منهم قائم قال قائل ... اشدت فلا غُرم عليك ولا خذل

(٤) رواية ثعلب للبيت : « فلم يفعلوا ولم يلاموا ولم يألوا » ص ١١٣ شرح ديوان زهير» .

(٥) رواية ثعلب :« فما كان من خير» «ص ١١٥ »

(٦) أبو ذؤيب الهذلى خويلد بن خالد بن محرث بن مخزوم ، شاعر فحل من مخضرمى الجاهلية والاسلام ، توفى بمصر أو أفريقية نحو سنة ٧٢ هـ وراجع ابن سلام ١٠٢ ــ ١١٠ ط محمود شاكر، والشعر والشعراء ٦٣٥ ــ ٦/ ٥٦م ــ ٦٢ ــ والمؤتلف ١١٩ ــ ١٢٠ ، الاصابة ٧/ ٦٣ ، الخزانة ١/ ٢٩١ »

(٧) شعار الهذليين ١/١ ، وشرح المفضليات ٨٥٠

وكقول أبي قيس بن الأسلت[1]:

قَالَتْ ولم تَقْصِد لقِيلِ الخَنَا ... مهلاً فقد أبْلَغْتَ أسْمَاعِي[2]
واسْتَنكَرتْ لوْناً لهُ شَاحِباً ... والحَرْبُ غَوْلٌ ذاتُ أوْجَاعِ[3]
من يَذُقْ الحرْبَ يجدْ طَعْمَهَا ... مُرًّا وَتُبْرِكْه بجعْجَاعِ[4]
قدْ حَصَّت البيْضَةُ رَأسِي فما ... أطْعَمُ نَوْماً غيرَ تَهْجاعِ[5]
أسْعَى على جُلِّ بَنِي مالِكٍ ... كُلُّ امرىءٍ في شأنِه سَاعِ
أعدَدْتُ للأعْدَاءِ فضْفَاضَةً ... موْضُونَةً كالنّهي بالقَاعِ
أحفِزُها عَنِّي بذِي رَوْنَقٍ ... أبيضَ مثلِ الملْحِ قطَّاعِ[6]
صَدْقٍ حُسامٍ وادقٍ حدُّه ... ومارِنٍ أسْمَرَ قَرَّاعِ
بزَّ امرىءٍ مستبْسِلٍ حَاذِرٍ ... للدَّهرِ، جَلْدٍ غيرِ مِجْزَاعِ
الكيْسُ والقُوَّةُ خيرٌ من الإ ... دْهَانِ والفَكَّةِ والهَاعِ[7]
ليسَ قَطاً مثلُ قُطَيٍّ ولا المَ ... رْعِيُّ في الأقْوامِ كالرَّاعِي[8]
لا نألَمُ القتلَ ونَجْزِي بهِ الأ ... عداءَ كَيْلَ الصَّاعِ بالصَّاعِ
بين يَدَيْ رجْرَاجةٍ فَخْمةٍ ... ذَاتِ عرَانِينَ ودُفَّاعِ[9]
كأنَّهمْ أسْدٌ لدَى أشْبُلٍ ... تَهتزُّ في غيلٍ وأجْزاعِ[10]
هلاَّ سألتَ القوْمَ إذْ قَلَّصتْ ... ما كانَ إيطَائي واسْرَاعِي[11]

(١) ابو قيس الأسلت والأسلت لقب أبيه، واسمه عامر بن جُشم أحد شعراء الأوس ورؤسائها في الجاهلية، أسلم وقتل يوم القادسية «راجع الأغاني ١٥ / ١٥٤ — ١٦٠»

(٢) الأبيات من قصيدة في المفضليات رقم ١٣٥ شرح ابن الانباري ٥٦٤. والأغاني ١٥ / ١٥٤ الأبيات الثلاثة الأولى. وديوانه بتحقيق حسن باجودة ص ٧٨ — ٨٢ طبع القاهرة

(٣) شرح ابن الانباري: أنكر حين توسمته. (ص ٥٦٥)

(٤) ابن الانباري: «وتحبسه بجعجاع»

(٥) ابن الانباري «أطعم غمضاً»

(٦) ابن الانباري: «مهنداً كالملح قطّاع»

(٧) شرح المفضليات: «الحزم والقوة» الفكة: الضعف، والهاع: شدة الحرص والادهان: من المداهنة مثل النفاق.

(٨) ليس قطاً مثل قطي: أي ليس الكثير كالقليل أو الكبير كالصغير.

(٩) الرجراجة الفخمة: الكتيبة المثقلة بالسلاح. وعرانين: رؤساء وقواد. ودفاع. من يدفعون الأعداء.

(١٠) شرح المفضليات: «ينهتن في غيل وأجزاع» غيل: الغيل الأجة. أجزاع: جمع جزع وهو الجانب.

(١١) شرح المفضليات: «هلا سألت الخيل» قلصت: أي الخصى. و يزعمون أن الجبان ساعة بفزع تقلص خصيتاه.

هَلْ أبذلُ المالَ على حقِّه ... فيهم وآبَى دعْوَةَ الدَّاعى

وأضربُ القَوْنَس يومَ الوَغَى ... بالسَّيف لم يَقْصُر بهِ بَاعِى[1]

و كقَوْلِ النَّمرِ بنِ تَوْلَبْ :

لعَمْرى لقد أنكرْتُ نَفْسِى ورَابنى ... مع الشَّيْبِ أبْدالى التَّى أتبدَّلُ

فُضُولٌ أرَاها فِى أدِيمىَ بْعدَ ما ... يكونُ كفافُ اللَّحْمِ أو هُو أجْمَلُ

كأنَّ محطًّا فى يدَىْ حارثيةٍ ... صَناعٍ عَلتْ به الجِلْدَ من علُ

تدارَك ما قبْلَ الشبابِ و بَعدَهُ ... حوادثُ أيامٍ تَمُرُّ وأغْفُلُ

يودُّ الفتَى طولَ السلامةِ جاهداً ... فكيفَ تُرى طولُ السَّلامةِ يفعَلُ[2]

وكقول عنترة[3] :

إنى امرؤٌ من خيرِ عبسٍ مَنْصباً ... شَطْرى وأحْمِى سَائرى بالمنصلِ

وإذا الكتِيبَةُ أحْجَمَتْ وتلاحَظتْ ... ألْفِيتُ خيراً من مُعمٍّ مُخْوِلِ

والخيلُ تعْلَم والفَوارِسُ أنَّنِى ... فَرَّقْتُ جمعُهم بِضَرْبةِ فَيْصَلِ[4]

إذ لا أُبادِرُ فى المضِيقِ فوَارِسى ... أو لا أو كَّلُ بالرَّعِيل الأوَّلِ

إنَ يلْحقُوا أكْرُرْ، وإن يسْتَلحِمُوا ... أشْدُدْ ، وإنْ يُلفَوْا بضَنْكٍ أنْزلِ

حينَ النُزول يكوُن غايةَ مِثلِنا ... و يفرُّ كلُّ مُضَلَّلٍ مُستوهلِ

ولقد أبِيْتُ على الطَّوى وأظلُّه ... حتى أنالَ به كريمَ المأكلِ

بكرتْ تخوِّفُنى الحتُوفَ كأننى ... أَصبحْتُ عن غَرضِ الحتُوفِ بمْعزلِ

فأجبتُها : إنَّ المنيَّةَ مَنْهلٌ ... لا بُدَّ أنَّ أسقَى بذاكَ المنْهلِ

(١) القونس : عظم تحت ناصية الفرس . وهو من الانسان فى ذلك الموضع . ونقل أبو الفرج عن هشام الكلبى أن مناسبة هذه القصيدة : كانت الأوس قد اسندوا أمرهم فى يوم بعاث إلى أبى قيس بن الأسلت ، فقام فى حربهم حتى شحب وتغير، ولبث أشهر لا يقربُ امرأته ، ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته ففتحت له فأهوى إليها بيده ، فدفعته وأنكرته . فقال : أنا أبوقيس . فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمت ، فقال فى ذلك قصيدته هذه .

(٢) الأبيات فى الصناعتين ١٦٨ ، الخزانة ٢ / ٥٥ وروايته : « طول السلامة والغنى » و يذكر صاحب ديوان المعانى ثلاثة منها ٢ / ١٨٣ . شاعرُ مخضرم معمر صحابى جليل . وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكبش لجودة شعره وكثرة أمثاله [راجع الخزانة ١ / ٢٢٠ ــ ٢٢١]

(٣) الديوان ص ١٧٧ وما بعدها

(٤) الديوان « بطعنة فيصل » ص ١٧٩

إنَّ المـنِـيَّـةَ لـو تُـمثَّلُ مُثِّلَتْ   مِـثْلى إذَا نَـزَلُـو بـضَـنْـكِ المزلِ
والخْـيـلُ سـاهِـمَـةُ الوُجـوه كأنَّما   تُـسقَـى فوارِسُـهَـا نـقـيـعَ الحـنَظلِ

وكقولِ الأَسود بنِ يَعفُر (١) :

مـاذَا أؤمِّـلُ بـعـدَ آل محـرِّق   تـركُـوا منَـازلـهَـمْ و بعْدَ إيادِ
أرْضٍ تَـخيَّرهـا لِطِيـبِ مَقيلِهاَ   كـعـبُ بنُ مامَةَ وابنُ أُمِّ دُوَادِ
جرَتْ الرِّيـاحُ على مَحلِّ دِيارِهمْ   فـكـأنَّـمـا كـانُـوا على مِيعَادِ
ولـقـد غَنُوا فيها بأنْعـمِ عِيشَةٍ   فى ظـلِّ مُـلْـكٍ ثَـابـتِ الأَوْتَادِ
إمَّا تَرْيـنـي قد بَليـتُ وغاضنى   ما نِيـلَ من بَصرى ومنْ أجْلادِى
وعـصَيْتُ أَصحابَ اللّذاذَةِ والصِّبا   وأطعْـتُ عـاذِلَـتـى وذَلَّ قِيادى (٢)
فلقد أَرُوح إلى التّجارِ مرجّلاً   مـذِلاً بمـالِي لَيِّناً أجْيَادى (٣)

وكقولِ الخْنساءِ :

لـو أنَّ للدهرِ مالاً كانَ مُتلِده   لكانَ للدهرِ صخرٌ مالَ قُنْيانِ (٤)
آبى المضيمة حمَّالُ العَظِيمةِ مِتْلاف   الـكَـرِيـمةِ لا سـقـطٌ ولا وَانِ
حـامِي الحقَـيـقـةِ نَسَّالُ الوديقَة مِعْتَاقُ الوثِيقَة جَلْدٌ غيرُ ثنيَانِ (٥)
ربّـاءُ مـرْقَـبـةٍ ، مَنَّاعُ مُغْلَقةٍ   ورَّادُ مـشْربة ، قَطَّاعُ أقرانِ (٧)

(١) الأسود بن يعفر : ابن الأسود بن جندل بن نهشل كان شاعراً فحلا من فحول الجاهلية « ابن سلام ١٩٩ — ١٢٣ »

(٢) الابيات فى شرح المفضليات ص ٤٥٠ ، ورواية الصدر : « وعصيت أصحاب الصبابة » و« لأن قيادى » . والقصيدة بالشرح ط . لايل lyall٤٤٥ / ٤٥٢

(٣) ديوان المفضليات : « أروح على التجار » .

(٤) ديوان الخنساء شيخو ٢٣٩ وروايته : « لكان للدهر مال غير فسان » قنيان : أى مقتنى

(٥) الوديقة : هاجرة النهار . نسال الوديقة : أى ينسل وقت الظهيرة .

(٧) الديوان : « طلاع مرقبة » .

يُعطِيكَ مالا تكادُ النَّفْسُ تبْذُله ... من التلادِ وهُوبٌ غيرُ منّانِ (١)

شهادُ أنجيةٍ ، حمَّالُ ألوِيَةٍ ... هبَّاطُ أوديةٍ ، سرحانُ قيعانِ (٢)

التَّارِكُ القِرْنَ مخضُوباً أنامِلُهُ ... كأنَّ فى رَيطَتيْهِ نضْخَ أرْقانِ (٣)

وكقول القَطامى :

والعيشُ لا عيشَ إلاَّ ما تَقرُّ بِهِ ... عيناً ولا حالَ إلا سوفَ تَنتَقِل

والنَّاسُ من يلْقَ خيراً قائلُونَ له ... ما يشْتَهِى ولأُمِّ المُخْطِىءِ الهَبَلُ

قد يُدْرِكُ المتأنِّى بعض حاجَتِهِ ... وقد يكونُ من المُسْتَعْجِلِ الزَّلَل (٤)

وفيها يقول :

يمشِينَ رَهْواً فلا الأعْجازُ خاذِلةٌ ... ولا الصُّدُورُ على الأعْجازِ تتَّكِلُ

فهنَّ مُعترِضاتٌ والحصَى رَمِضٌ ... والرِّيحُ ساكِنَةٌ والظِلُّ مُعتدلُ

يَتبْعنَ سَامِيةَ العيْنينِ تَحْسَبُها ... مجنونَةً أو تَرى مالا تَرى الإبِلُ

إن ترْجِعى من أبِى عُثْمانَ منجحَةً ... فقد يهُونُ معَ المُسْتَنجِحِ العَملُ

أهلُ المدينةِ لا يحزُنْكَ شأنُهمُ ... إذا تَخَطَّأ عبدَ الواحِدِ الأجَلُ

وكقوله أيضا (٥) :

يقتُلننا بحديثٍ ليسَ يَعْلمُه ... من يتَّقين ولا مكتومهُ بادِى

فهُنَّ ينبِذْن من قوْلٍ يُصِبْن به ... مواقِعَ الماءِ من ذِى الغُلَّة الصَّادِى

من مُبلِغٌ زفرَ القيْسِىَّ مِدْحته ... من القطامِىِّ قولاً غير أفنادِ

(١) ليس فى الديوان . واورده أبو الفرج فى الأغانى .

(٢) الديوان : « شهاد أندية » و« قطاع أودية » سرحان : الذئب .

(٣) الديوان : « مصفراً أنامله » ، ريطتية : كل ثوب ذى قطعتين ، والأرقان : الزعفران .

(٤) الأبيات فى الديوان ص ١ ــ ٤ من قصيدة يمدح بها عبد الواحد بن الحارث بن الحاكم بن أبى العاص بن أمية ط ليدن ١٩٠٢ والبيت الأول هنا يأتى رقم ٧ بالقصيدة . ومطلعها :

إنَّا محيوك فاسلم أيها الطَّلَلُ ... وإنْ بليت وان طالت بك الطِّيَلُ

(٥) من قصيدة يمدح بها زفر بن الحارث القيسى ، وكان قد أسر القطامى ومن عليه بالافراج عنه بعد أن عامله بالحسنى . الأبيات فى الديوان ص ٧ .

إنيّ وإنْ كانَ قَومى ليسَ بينَهُمُ ... و بَيْنَ قومك إلا ضَربةَ الهادِى [1]
مُشْنِ عَليْكَ فما استيقَنت معْرِفَتى ... وقد تعرَّض منِّى مقْتَلٌ بَادِى
فلنْ أثيبَك بالنَّعماء مشْتَمةً ... ولن أبدّلَ إحْسَاناً بافسادِ
فانْ هجَوْتُك ما تمَّتْ مُكارَمتى ... وإنْ مدحْتُ لقد أحسَنْتَ إصْفادِى
وإنْ قدِرْتُ على يومٍ جزَيْتَ به ... والله يجْعَلُ أقْواماً بمرَصَادِ
أبلغْ ربيعَةَ أعلاها وأسْفَلها ... أنَّا وقيساً تواعَدْنا لميعادِ
نقريهمُ لهْذَميّات نقُدُّ بها ... ما كانَ خاطَ عَليْهمْ كلُّ زرّادِ

وكقولِ ذِى الرُّمة :

من آل أبى موسى تَرى القومَ حوْلَه ... كأنّهمُ الكرْوَانُ أبْصرنَ بَازِيا
فما يُغربُون الضِّحكَ إلا تَبسُّما ... ولا يُنبِسُون القَوْلَ إلاَّ تنَاجِيا
لدَى مِلكٍ يعلوُ الرِّجالَ بضوئه ... كما يبْهرُ البدرُ النُّجُومَ السَّوَارِيا
إذا أمْست الشِّعرَى العُبوُر كأنَّها ... مهاةٌ علَتْ من رمْل يبْرِينَ رَابيا
فما مَرْتَعُ الجيرانِ إلا جفأُنكم ... تبارَوْنَ أنتم والشَّمالُ تباريَا [2]

وكقول سلاَّمةَ بن جَنْدل [3]:

سوَّى الثِّقَافُ قناها فهى محكمةٌ ... قليلة الزيْغ من سنٍّ وتركيب [4]
كأنّها بأكُفِّ القَوْم إذْ لَحِقُوا ... مواتِحُ البئر أوْ أشْطانُ مَطْلوَب
كُنّا إذا ما أتَانا صارِخٌ فَزِعٌ ... كان الصُّراخُ له قرعَ الظّنابيب
وشَدَّ كُورِ على وَجْناء نَاجيةٍ ... وشَدَّ لِبدٍ على جرْدَاء سرْحُوب [5]

(١) الهادى : هادى السهم : نصلة .

(٢) ديوان ذى الرمة ص ٦٥٩/٦٥٤ طبعة كمبردج ١٩١٩ .

(٣) من شعراء الجاهلية ذكره ابن سلام فى الطبقة السابعة (طبقات فحول الشعراء ١٣١) . وهو سلامة بن جندل بن عبد عمرو بن الحارث من بنى سعد بن زيد مناة تميم . من فرسان تميم وشعرائها المعدودين (سمط اللآلىء ١/ ٤٩) .

(٤) من الشواهد المعروفة فى كتب الأدب . وراجع السمط ١/٤٧ ـــ ٤٩ والمفضليات ط لايل ص ٢٢٤ .

(٥) الأبيات من قصيدة له فى المفضليات ـــ رقم ٢٢ « شرح ابن الانبارى ٢٣٩ » كور : كور الرحل أداته والجمع أكوار وكيران ، والوجناء الناقة الغليظة ، سرحوب فرس طويلة جرداء قصيرة الشعر .

وكقولِ المغيرة بنَ حَبناء :

فإن يك عاراً ما لقيتُ فرُبّما ... أتى المرء يوم السَّوْء حَيْثُ لاَ يدْرى
ولم أرَ ذَا عيشٍ يدُومُ ولا أرَى ... زمانَ الغنِى إلا قريباً منَ الفقْرِ
ومن يفتَقِرْ يعلَمْ مكانَ صَديقهِ ... ومنْ يحْيى لا يعْدَم بلاءً من الدَّهرِ
وإنّى لأسْتَحيى إذا كُنتُ مُعْسِراً ... صَديقىَ والخِلاَّنَ أن يَعْلَمُوا عُسْرى
وأهجُرُ خِلاَّنى وما خان عهدهم ... حياءً وإكراماً وما بىَ من كِبْر
وأكْرِمُ نفْسِى أنْ تُرى بىَ حَاجَةٌ ... إلى أحدٍ دُونى وإنْ كانَ ذَا وَفْرِ
ولمَّا رَأيتُ المالَ قد حِيلَ دُونَهُ ... وصدَّتْ وجوُهُ دون أرْحامِها البتْرِ
جَعَلْتُ حَليفَ النَّفْسِ عَضباً ونثرةً ... وأزْرقَ مَشْحُوذاً كخَافِيةِ النَّسر
ولا خَيرَ فى عيش امرىءٍ لاَ ترى لهُ ... وظيفةَ حقٍّ فى ثَناءٍ وفى أجْرِ

وكقَوْلِ الفرزْدَق :

ولو أنَّ قوْماً قاَتلُوا الدَّهر قبْلَنا ... بشىءٍ لقاَتلْنَا المَنَّيةَ عن بِشْر(١)
ولكنْ فُجعْنَا والرَّزيئةُ مِثْلُهُ ... بأبيضَ ميْمُونِ النَّقيبَةِ والأمْرِ
أغرُّ أبُو العَاصِى أبوهُ كأنَّما ... تفرَّجَتْ الأثْوابُ عن قَمرٍ بدْرِ
فالاَّ تكُنْ هِندٌ بكَتْهُ فقدْ بكَتْ ... عليهِ الثُّريَّا فى كواكِبها الزُّهْرِ
وإنَّ أبا مَرْوانَ بِشْرًا أخاكُمُ ... ثَوَى غيرَ متْبُوعٍ بذمٍ ولاَ غدْرِ

(١) الديوان ١ / ٢٨٦ والبيت الأول : « قاتلوا الموت »

وما أحدٌ ذُو فاقةٍ كانَ مِثْلَنَا إليهِ ولكنْ لا تقيَّةَ للدَّهرِ
ألم ترَ أنَّ الأرْضَ هُدَّت جِبالُها وأنَّ نجومَ اللَّيلِ بعدَكَ لا تَسْرِى
ضرْبتُ ولم أظْلِمْ لبشرٍ بصَارِمٍ شَوَى فَرسٍ بين الجنَازَةِ والقَبْرِ
أغرَّ صَريحيّا لأ عْوَجَ أمّه طويلاً أمرَّته الجِيادُ على شَزْرَ
ألستُ شحيحاً إن ركُبتكَ بعده ليوم رِهَانٍ لو غَدوْتَ معِي تجْرِى(٢)

وقال يَرْثِى بنيه :

ولو كانَ البُكَاء يَرُدُّ شيْئاً على البَاكِي بكيْتُ على صُقُورى(٢)
بنىَّ أصابَهُم قَدَرُ المنَايا وما مِنهنّ من أحدٍ مُجيرِى
ولو كانوُا بَنى جَبل فمَاتُوا لأمسْى وهومُختَشعُ الصُّخورِ
إذا حَنَّتْ نَوارُ تَهيجُ مِنِّى حرارةُ مِثْلِ مُلتهَب السَّعير
حنينَ الوالهِينَ إذَا ذكَرْنا فؤادَيْنا اللَّذَيْن معَ القُبورِ
كأنَّ تَسرُّبَ العبَراتِ منها هراقَةُ شَنَّتيْنِ علَى بَعيرِ
كأنَّ اللَّيل يحبِسُهُ علينَا ضِرارٌ أو يكرُّ إلى نذور(٣)
كأنَّ نجومَهُ شَوْلٌ تَثنَّى لأذْهَم فى مبارِكِها عقيرِ

وكقوله :

ومحفورة لا ماَء فيها مهيبةٍ لغمِّى بأعْوَادِ المنيَّة بابُها
أناخَ إليها أبْناىَ ضيْفَى مقَامةٍ إلى عُضبةٍ لا تُستعارُ ثوابُها
وكانوا همُ المالَ الذَّى لا أبيعهُ ودِرْعِى إذا ما الحربُ هَرَّت كلابُها
وكم قاتلٍ للجُوعِ قد كانَ فيهمُ ومن حَيَّةٍ قد كانَ سُمًّا لُعابُها

(٢) الأبيات من قصيدته له يرثى بشر بن مروان ، والأبيات تختلف فى ترتيبها بالديوان فالبيت الأول هنا هو الخامس عشر فى القصيدة حسب ترتيب الديوان .

(٢) / الديوان ١ / ٢٧٠ ط الصاوى .

(٣) ضرار اسم ابن الفرزدق الذى مات ، يقول أن ابنه هذا قد حبس عليه الليل لطوله من شدة حزنه عليه والآمه فهو لا ينقضى .

إذا ذُكرتْ أسماؤهم أو دَعوتُهم ... تكادُ حيَازِيمي تفرُّ صِلابُها

وإنّي وَأشْرافِي عليهم وما أرى ... كنفسي إذْ همْ في فُؤادِي لُبابُها

كَراكِزِ أرْماحٍ تجزّعْنَ بعدَ ما ... أُقيمَتْ عوَاليها وشُدّت حِرَابُها

إذا ذَكرت عيني الذّين هُمُ لها ... قَذًى هِيجَ مِنّي بالبُكاء انْسِكابُها

بنوُ الأرْضِ قد كانُوا بنيّ فعزّني ... عَليهم بآجَالِ المنَايا كِتابُها

وداعٍ علىّ الله لو مِتُّ قدْ رأى ... بِدَعْوته ما يَتّقي لو يُجَابُها

ومن متمَنٍّ أنْ أمُوتَ وقد بنت ... حَياتي له شمّا عِظاماً قبابُها

بَقيتُ وأبقت من قَناتي مُصِيبتي ... عَشوْزَنةٌ زوْراء صُمّا كِعابُها

على حدث لو أنّ سلْمىَ أصابَها ... بمثلِ بنيّ انْفضّ عنها هِضابُها

وما زِلْتُ أرْمِي الحربَ حتى تركْتها ... كسيرَ الجَناحِ ما تدقُّ عُقابُها

وكقول الراعي :

إنّي وإيّاكَ والشّكوَى التي قصَرتْ ... خَطْوِي ونَأيك والوَجْدَ الذي أجِدُ(١)

لكالماء والظّالعُ الصّديانُ يطلُبه ... هوَ انْشِفاءٌ لهُ والرِّيُّ لَوْ يرِدُ

ضافِي العَطِيّةِ رَاجِيهِ وسائِلُه ... سِيّانَ أفْلَحَ من يُعْطِي ومنْ يَعِدُ

أزْرَى بأمْوالِنا قومٌ أمرتَهمُ ... بالحقّ فيَنا فما أبقُوا وما قَصَدُوا

أمّا الفَقِيرُ الذي كانتْ حَلوُبتُهُ ... وفْقَ العِيالِ فلم يُتْرَكْ له سَبدُ

واختلّ ذو الوَفْرِ والمثرُونَ قد بقِيتْ ... عُلا التّلاتلِ من أمْوالهِم عُقَدُ

فأنْ رفعْتَ بهم رأساً نعشتَهُمُ ... وإنْ لقُواْ مثْلَها في قابِلٍ فَسَدُوا(٢)

(١) الأبيات من قصيدة يشكو بها لسان قومه ثقل الصدقات ، فلما انشدها عبد الملك بن مروان قال له : فتريد ماذا؟ قال : ترد عليهم صدقاتهم فتنعشهم ، فقال عبد الملك : هذا كثير. قال : أنت أكثر منه قال : قد فعلت (الأغاني ٢٠ / ١٧٢)

(٢) الأبيات في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٤٤٢ ورواية السادس (واختل ذو المال) والبيت الأخير بالأغاني ٢٠/١٧٢ . وراجع ديوانه ص ٥٤ — ٥٦ طبع المجمع بدمشق ١٩٦٤

وكقَوْلِ أبى النَّجم العِجْلى [1]

والخيلُ تَسْبَحُ بالكُماةِ كأنَّها ... طيرٌ تمَطَّر من ظِلالِ عمَاء[2]

يخرجن من رَهجٍ دُوَينَ ظِلالِهِ ... مثلَ الجَنادِب من حَصَى المِعْزَاءِ

يلْفِظْنَ من وجَع الشَّكِيم وعجْمِه ... زبَداً خلَطْنَ بياضَه بدِمَاءِ

كمْ من كَريمةِ مَعْشَرٍ أيَّمْنهَا ... وترَكْنَ صاحِبها بدَار ثَواءِ

إنَّ الأعادِى لنْ تَنالَ قَدِيمنا ... حتَّى تَنال كواكِبَ الجَوْزاءِ

كم فى لجيمٍ من أغرَّ كأنَّه ... صُبْحٌ يَشُقُّ طيالِسَ الظَّلماءِ

بحرٌ يُكَلَّلِ بالسَّديف جِفَانَهُ ... حتَّى يمُوت شَمالُ كُلِّ شِتَاءِ

ومجرَّبٍ خَضِل السِّنَانِ إذَا التقَى ... رجِعَتْ بخاطِرِه صدُورُ ظماءِ

صَدِىءَ القِباءُ من الحَدِيدِ كأنَّهُ ... جَملٌ تعمَّدَهُ عَظِيمُ هنَاءِ

إنَّا وجدِّكَ ما يكُونُ سلاحُنا ... حجرُ الأكام ولا عَصَا الطَّرْفاءِ

نأوى إلى حَلَقِ الحَدِيدِ وقُرَّحٍ ... قُبٍّ تَشوَّقُ نحوَ كلِّ دُعَاءِ

ولقدِ غَدوْنَ على طُهيَّةَ غَدوةً ... حتى طَرقْنَ نِسَاءَنا بنِساءِ

تِلْكُمْ مراكِبُنا وفوقَ حبائنا ... بيضُ الغُضُونِ سَوابغُ الأثْناءِ

قُدِّرنَ مِنْ حَلَقٍ كأنَّ شُعَاعَها ... ثَلْجٌ يطش عَلى مُتُونِ نِهاءِ

تَحْمِى الرِّماحُ لنا حِمانَا كلَّه ... وتبيحُ بعدُ مَسارِحَ الأحماءِ

إن السُّيُوفَ تُجيرُنا ونُجيرُها ... كُلٌّ يُجيرُ بِعزَّةٍ ووَفاءِ

لاينْثَنينَ ولا نرُدُّ حُدُودَها ... عن حدِّ كلِّ كتيبةٍ خَرْساء

إنَّا لتُعمِلُ بالصُّفُوفِ سُيُوفَنا ... عَمَلَ الحريق بيابِسِ الحُلْفَاءِ

(1) أبو النَّجم العِجْلى : المفضل أو الفضل بن قدامة أحد رجازى الاسلام المتقدمين فى الطبقة الأولى قال أبوعمرو بن العلا هو أبلغ من العجاج ، كان ينزل بسواد الكوفة ، توفى سنة ١٣٠ هـ (راجع فى ترجته : الشعر والشعراء ٥٨٤ـ ٥٩١ ، والأغانى ٧٣/٩ـ ٧٧ ، ومعجم الشعراء للمرزبانى ٣١٠ـ ٣١١ ، وسمط اللآلى : ٣٢٧ :٣٢٨ ، الخزانة ٧١/١ـ ٧٢ ، (٤٠١ـ ٤٠٨ ، ومعاهد التنصيص ٩/١ـ ١٢)

(٢) يروى ابن سلام بعض أبيات من هذه القصيدة ص ٥٧٧ ، و بعضها البكرى فى سمط اللآلى: ٩٢٤ ، مع خلاف فى الأبيات وزيادة ونقص .

وكقولِ عبد الشَّارِق بن عبد العُزَّى الجُهنى :

ألا حُيِّيتِ عنَّا يا رُدَيْنَا ... نُحَيِّيها وإنْ كرُمَتْ علَيْنا[1]
رُدَينَةَ لو رأيتِ غداةَ جِئْنَا ... على أضمَاتِنا وقد اختوينا[2]
فأرْسَلْنَا أباَ عَمْرٍو رَبيئاً ... فقالَ ألا انْعَمُوا بالقَومْ عَيْنا
ودَسُّوا فارِساً منهم عِشَاءً ... فلمْ نَغْدِرْ بفارِسِهمْ لدَيْنَا
فجاءُوا عارضاً بَرداً وجئنا ... كمِثل السَّيلِ نرْكب وازِعَيْنا
تنَادوْا يالبَهثَة إذا رأوْنا[3] ... فقُلْنَا أحسِنِى صبْراً جُهَيْنَا
سمِعْنَا دعوةً عن ظَهْرِ غَيْب ... فجُلْنا جَوْلةً ثم أرعَوَيْنَا
فلمَّا أنْ تواقَفْنَا قَلِيلاً ... أنَخْنَا للكَلاكِلِ فارْتَمَيْنَا
فلَمَّا لم تَدَعْ قوْساً وسهماً ... مشَيْنَا نحوهُمْ ومَشَوْا إليْنَا
تلألُؤَ مُزْنَةٍ برَقَتْ لأخْرَى ... إذَا حجَلُوا بأسْياف رَدَيْنَا
شدَدْنا شَدَّةً فقتَلْتُ مِنْهمْ ... ثَلاثَةَ فِتيةً وقَتلْتُ قَيْنَا
وشدُّ واشَدَّةً أخْرَى فجرُّوا ... بأرجُلِ مِثْلهمْ ورَمَوْا جُوَيْنا
وكان أخِى جُوَيْنٌ ذا حِفَاظ ... وكانَ القَتْلُ للفِتْيانِ زَيْنَا
فآبُوا بالرِّماحِ مُكَسَّرَاتٍ ... وأُبْنَا بالسُّيُوفِ قد انْحنيْنَا
وباتُوا بالصَّعِيدِ لهمْ أُحَاحٌ ... ولوْ خَفَّتْ لنَا الكَلْمَى سَلَيْنا

وكقول المثقِّب العبدى[4] :

أفاطِمَ قبلَ بَيْنِك متِّعينى ... ومَنعُكِ ما سَألتُ كأنْ تَبينى[5]
فلا تَعِدِى مواعِدَ كاذباتٍ ... تمُرُّ بها رِياحُ الصَّيفِ دُونى

(1) القصيدة فى الحماسة لأبى تمام رقم ١٥٢ (راجع شرح المرزوقى ٤٤٢/١)

(2) للضم: الغضب، ويروى البيت وقد «اجتوينا» و«اختوينا». واحتوينا معناه احتوينا الأموال والغنائم والحريم. ويروى المرزوقى أن اجتوينا مع ذكر الاضم أشبه ٤٤٢/١١

(3) فى شرح الحماسة «فنادوا» و«أحسنى ضرباً جُهَنيا»

(4) المثقب العبدى: شاعر جاهلى من الفحول. ممن اختار لهم الضبى فى المفضليات. وديوانه طبع معهد المخطوطات العربية.

(5) القصيدة فى المفضليات، راجع شرح ابن الانبارى ٥٧٤، وديوانه بتحقيق الصيرفى ص ١٣٨

فإنِّى لو تُعانِدُنى شِمالِى عِنَادَك ما وَصَلْتُ بها يَمينى(٢)
إذاً لقَطَعْتُها ولقُلْتُ بِينى كذلِك أجتَوِى من يَجْتوِينى

وفيها يقول :

وإمَّا أن تكون أخى بحقٍّ فأعرفَ منك غثِّى من سَمينى
وإلا فاطَّرِحْنِى واتَّخِذْنى عدوًّا أتَّقِيكَ وتتَّقِينى
فما أدرى إذا يمَّمْتُ أرْضاً أُرِيدُ الخَيْرَ أيهُّما يَلينى(٣)
أألخيرَ الَّذِى أنا أبتغِيهِ أمْ الشرَّ الَّذِى هو يَبْتغِينِي(٤)

وكقولِ نهْشل بن حرىّ المازنى(٥) :

إنَّا مُحيُّوكِ ياسَلْمَى فحيِّينا وإن سَقيْتِ كِرَامَ النَّاس , فاسْقِينَا
إنا بنيِ نهشْلٍ لاندَّعِى لأبٍ عَنْه ولا هُو بالأ[illegible] يشرينا
إن تُبتَدرْ غايةٌ يوماً لمكرُمةٍ تَلْقَ السَّوابقَ م[illegible] والمصَليِّنا
وليسَ يَهْلِكُ منَّا سيِّدٌ أبداً إلاَّ افتلَيْنَا غُلاماً سيِّداً فِينَا(٦)
أنَّا لنُرْخِصُ يومَ الرَّوْعِ أنفُسَنا ولوْ نُسامُ بها فى الأمْنِ أُغْلِينَا(٧)
بيضٌ مفَارِقُنا تَغْلِى مرَاجِلُنا نأسُوا بأمْوالِنَا آثارَ أيْدِينَا
إنِّى لِمنْ مَعْشَرٍ أفنَى أوائلَهُمْ قَوْلُ الكُماةِ ألاَ أينَ المُحامُونَا
لو كانَ فى الألْفِ منَّا واحدٌ فدَعوْا من فارسٌ خالَهمْ أيَّاهُ يعْنُونَا

(١) القصيدة فى المفضليات ، راجع شرح ابن الانبارى ٥٧٤ ، وديوانه بتحقيق الصيرفى ص ١٣٨

(٢) رواية ابن الأنبارى « لو تخالفنى » ، (٩ ــ ١٠) العمدة ٢١٣/٢

(٣) البيت فيه رخصة شعرية لأنه ذكر فى البيت أيها قبل أن يذكر الشر لأن كلامه يقتضى ذلك (العمدة ٢١٣/٢)

(٤) يقول ابن الانبارى : و يروى (أم الشر الذى لايأتلينى) ص ٥٨٨

(٥) نهشل بن حرى بن حمزة وكان شاعراً حسن الشعر ، من المخضرمين ، بقى إلى أيام معاو ية (الشعر والشعراء ، الخزانة ٢١٤/١)

وتنسب فى شعر الحماسة لبعض بنى قيس بن ثعلبة . و يقال إنها لبشامة بن حرى النهشلى وراجع الحماسة ٢٥/١ ط الأزهرية .

(٦) الأفتلاء : الاقتطام

(٧) معناه أنا نرخص أنفسنا وقت الشدة للاقدام على الموت دون مبالاة ، وهم على عكس ذلك فى الأمن

إذا الكُماةُ تَنَحَّوْا أن ينالَهُمُ … حدُّ الظُّباةِ وَصَلْناَهَا بِأيْدينَا
ولا تَراهُم وإنْ جلَّت مصيبتُهم … مع البُكاةِ على من فَاتَ يَبْكُونا
ونرْكَبُ الكرْهَ أحيَاناً فَيُفرِجُه … عنَّا الحِفاظُ وأسْيَافٌ تُواتِينَا(١)

وكقولِ عديِّ بنِ زيد التَّميمي(٢):

كفَى واعِظاً للمَرْء أيامُ دهرِهِ … تَرُوحُ له بالوَاعِظَاتِ وتَغْتدِى(٣)
بَلِيتُ وأبلَيْتُ الرِّجالَ وأصْبَحتْ … سُنونُ طِوالٌ قد أتَتْ دونَ موْلدى(٤)
فلا أنَا بِدْعٌ من حوادِثَ تَعْتِرى … رِجَالاً عَرتْ من مِثْلِ بُؤسَى وأنْعُمِ
فَنفسَك فاحفَظْها من الغيِّ والرَّدَى … متَى تَغوِهاَ يغْوَ الذَّي بكِ يقْتَدِى
وإنْ كانتْ النَّعماءُ عندَكَ لامرىءٍ … فمثلاً بها فاجْزِ المطَالِب أوْزِدِ(٥)
إذَا أنْتَ لم تَنفَع بوِدِّكَ أهلَهُ … ولم تنْكِ بالبُؤْسَى عَدُوَّكَ فابْعِدِ
إذا أنْتَ فاكَهْتَ الرِّجالَ فلاَ تَلُغْ … وقُلْ مِثْلَما قالُوا ولاَ تتزيَّدِ
عنْ المرْءِ لاِ تَسأَلْ وأبْصِر قرينَهُ … فإنَّ القَرينَ بالمقَارَنِ مُقْتَدِ(٦)
إذا أنْتَ طاَلبْتَ الرِّجالَ نوالَهُمْ … فعَفَّ ولاَ تَطْلُبْ بجهدٍ فتنكدِ
سَتُدْركُ من ذى الفُحْش حقَّك كلَّه … بحِلْمِكَ فى رِفْقٍ ولمَّا تَشدَّد
فلا تُقصِرَنْ من سَعْى من قد وُرِثْتَهُ … وما اسطَعْتَ من خيرٍ لِنفسِكَ فَازْدِدِ
وبالصِّدْقِ فانطِقْ إن نطَقْتَ ولا تَلُم … وذَا الذَّمِّ فاذْمُمْهُ وذا الحمْدِ فاحْمدِ

(١) الحفاظ: المحافظة والذب عن المحارم. وقوله وأسياف تواتينا أى توافقنا يعنى أنهم إذا وقعوا فى الكرب جلته عنهم سيوفهم لشدة جلدهم.

(٢) عِديُّ بن زيد التيمي شاعر نصرانى سكن الحيرة والعراق واتصل بالنعمان وكسرى، وكانت له معهما قصة (راجع الأغانى). وعَدّه ابن سلام من الطبقة الرابعة فى الجاهلية (طبقات فحول الشعراء ١١٥).

(٣) الأبيات من قصيدة له فى الجمهرة للقرشى ١٧٦، وشعراء النصرانية ٤٦٥/٤، وديوانه المجموع ص ١٠٩/١٠٢ طبع بغداد ١٩٦٥ والبيت الأول فى الجمهرة «كفى زاجراً للمرء ..».

(٤) (..قد أتت قبل مولدى) شعراء النصرانية.

(٥) شعراء النصرانية (فاجز المطالب وازدد) ٤٦٥/٤، والجمهرة (وازادد).

(٦) الجمهرة: «عن المرءلا تسأل وسل عن قرينه» فكل قرين بالمقارن يقتدى وراجع ديوانه ص ١٠٨ طبع وزارة الثقافة ببغداد ١٩٦٥. واورد البيت أبو هلال فى الصناعتين وقال: «ليس رصفه بالجيد» وتتفق رواية أبى هلال مع رواية ابن طباطبا ويختلفان عن رواية الجمهرة وقد جاء قبل البيت فى الجمهرة قوله:

إذا ماامرؤٌ لم يرج منك هوادة … فلا ترجُها منه ولا دفع مشْهَدِ
(ص ١٧٧)

عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إنّ منعْتَهُ ... من اليوم سُؤْلاً أن يُيَسَّرَ في غَدِ
وظُلْمُ ذوي القُرْبى أشدُّ مضاضةً ... على المرءِ منْ وقْعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ
إذا ما رَأيْتَ الشَّرَّ يَبْعَثُ أهلَه ... وقامَ جُناةُ الشرِّ للشَّرِّ فاقْعُدِ

وكقولِ عبدِ المَلك بنِ عبدِ الرّحيم الحَارِثي(١):

تُعَيِّرُنا أنَّا قليلٌ عَديدُنا ... فقلتُ لها إنَّ الكِرَامَ قَليلُ (٢)
وما قَلَّ منْ كانَتْ بقَاياهُ مِثْلَنا ... شَبابٌ تسَامَى للعُلاَ وكُهُولُ
وما ضَرَّنا أنَّا قليلٌ وجَارُنا ... عزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذَليلُ
لنَا جبَلٌ يحتلُّه من نُجيرُه ... مَنيعٌ يرُدُّ الطَّرْفَ وهوَ كَليلُ
رسَا أصْلهُ تحتَ الثَّرى وسَما بِهِ ... إلى النَّجْمِ فَرْعٌ لا يُنَالُ طويلُ
ونحنُ أناسٌ لا نَرَى القَتْلَ سُبَّةً ... إذا ما رَأتْهُ عامرٌ وسَلُولُ(٣)
يقصِّرُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لَنا ... وتكْرَهُه آجالُهُم فتَطُولُ
وما مَاتَ مِنَّا سيِّدٌ حتْفَ أنفِه ... ولا طُلَّ منَّا حيثُ كانَ قَتِيلُ
تَسيلُ علَى حَدِّ الظُّباةِ نفُوسُنا ... ولَيْسَتْ على غيرِ الحَديدِ تَسيلُ(٤)
ونُنكِرُ إنْ شِئْنَا على النَّاسِ قولَهم ... ولا يُنكِرُونَ القَوْلَ حينَ نقُولُ
إذا سيِّدٌ منَّا خَلا قامَ سيِّدٌ ... قَئُولٌ لما قالَ الكِرامُ فعُولُ
وما أُخْمِدتْ نارٌ لنَا دونَ طارقٍ ... ولاذَمَّنا في النَّازلينَ نَزيلُ
وأيامُنا مشْهودَةٌ في عَدُوِّنا ... لهَا غُرَرٌ معْلُومَةٌ وحُجُولُ
وأسَيافُنا في كلِّ شرقٍ ومَغْربٍ ... بهَا من قِراعِ الدَّارِعينَ فُلُولُ(٥)
مُعَوَّدةٌ ألاَّ تُسَلَّ نِصَالُها ... فتُغْمَدَ حتَّى يُستَباحَ قَبيلُ

(١) عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي شاعر إسلامي

(٢) القصيدة تنسب للسموأل بن عادياء (الأغاني ٦/٨٠) وشرح الحماسة للمرزوقي ١/١٠، والمستطرف ١/١٨٤، وديوان السموأل.

(٣) رواية المرزوقي: «وإنا لقوم ما نرى القتل سبه..» ١/١١٤

(٤) رواية المرزوقي: «وليست على غير السيوف تسيل» و يذكر رواية أخرى «على حد السيوف» ص ١١٧

(٥) رواية المرزوقي: «في كل غرب ومشرق».

وكقولِ مرْوان بنِ أبى حفْصَة[١]:

بنو مَطرٍ يومَ اللّقاءِ كأنّهم ... أسُودٌ لها في غِيل خفَّانَ أشبُلُ[٢]

هُمُ المانِعُونَ الجارَ حتّى كأنّما ... لجارِهم بين السِّماكَين منْزِلُ[٣]

بَها لِيلُ فى الإسْلامِ سَادُوا ولَمْ يكُنْ ... كأوّلِهم فى الجاهِلِيّةِ أوّلُ[٤]

هُمُ القَوْمُ إنْ قَالُوا أصَابُوا، وأنْ دُعُوْا ... أجَابُو وإن أَعْطُوا أطَابُوا وأجْزَلُوا

ولا يَسْتَطِيعُ الفاعِلُونَ فِعَالَهُمْ ... وإنْ أحسَنُوا فى النَّائباتِ وأجْمَلُوا

ثُلاثُ بأمْثَالِ الجِبَالِ حُباهُم ... وأحْلامُهم مِنها لدَى الوزْنِ أثْقَلُ

فهذه الأشعار وما شاكلها من أشعار القدماء والمحْدَثين أصحابِ البدَائع والمعَانى اللّطيفة الدقيقةِ تجبُ رَوايتُها والتكثُّر لحفظها.

(١) مروان بن أبى حفصة، شاعر مجود فى عهد الرشيد توفى سنة ١٨٢ هـ. والابيات فى شعره ص ٨٨ طبع دار المعارف ١٩٧٣.

(٢) لباب الآداب لابن منقذ ٢٦٥ وروايته (فى بطن خفان) والأغانى ٩/٤٣.

(٣) لباب الادب (هم يمنعون الجار).

(٤) لباب الآداب (لها ميم فى الاسلام)

الأشعار الغثة المتكلفة النسج

ومن الأشعار الغَثة الألفاظ، الباردَة المعَانى، المتكلِّفة النَّسج، القَلِقة القَوافِي، المضَادّةِ للأشعار التى قدَّمنَاها قوْلُ الأعْشَى:

بانتْ سُعادُ وأمسى حَبلُها انقطَعا ... واحتلَّت الغَمْرَ فالجُدَّيْنِ فالفَرَعا(١)

لا يسلمُ منها خمسةُ أبيات، ونكتُبها ليُوقَف على التَّكلُّف الظَّاهر فيها: (٢)

بانتْ وقد أسأرتْ فى النَّفْسِ حاجَتَها ... بعد ائتِلاف وخيرُ الودِّ ما نَفَعا(٣)

تعصَى الوشاةَ وكانَ الحبُّ آوِنةً ... مما يُزيِّن للمشْغُوفِ ما صَنعا

وكانَ شيءٌ إلى شيءٍ فغيَّرهُ ... دهرٌ يعودُ على تشْتِيتِ ما جَمعا

وأنكرتْنى وما كانَ الذى نكِرتْ ... منَ الحوادِث إلا الشَّيبَ والصَّلعَا

قد يَتركُ الدَّهرُ فى خَلْقاء راسيةٍ ... وهْياً وَ ينزِلُ منها الأعْصمَ الصَّدَعَا(٤)

وما طِلابُك شيئاً لسْتَ مُدرِكهُ ... إنْ كانَ عنكَ غُرابُ البيْن قد وَقَعا(٥)

تقولُ بِنْتى وقدْ قَرَّبْتُ مُرتَحِلاً ... ياربِّ جنِّبْ أبى الاتْلافَ والوجَعَا(٦)

واستَشفعَتْ من سَراةِ القوم(٧) ذا شَرَفٍ ... فقدْ عصَاها أبوُها والذى شَفَعا

مهلاً بُنَيَّةَ (٨) إنَّ المرءَ يَبعثُه ... همٌّ إذا خالطَ الحيْزُومَ والضِّلَعَا

عليكِ مثلُ الذى صَلَّيتِ فاغْتمِضِى ... نَوماً(٩) فإنَّ لجنْبِ المرْءِ مُضْطَجَعاً

واسْتخبِرِى قافِلَ الرُّكبانِ وانْتظِرى ... أوْبَ المسَافِرِ إنْ ريثاً وإنْ سَرعَا

(١) القصيدة رقم ١٣ فى ديوان الأعشى بتحقيق د. محمد حسين، يمدح بها هوذة بن على الحنفى، والموشح ٥٢.

(٢) نقل المرزبانى العبارة وغير نكتبها ب تذكرها.

(٣) القصيدة تختلف فى روايتها عن الديوان، وفى ترتيب الأ بيات، و ينقل المرزبانى أكثر أبياتها مع تعليق ابن طباطبا. الموشح ٥٢ ــ وأسأرت: أبقت

(٤) خلقاء: صخرة ملساء، والأعصم: الظبى، والصدع: الشاب القوى.

(٥) ورواية الديوان «غراب الجهل»

(٦) رواية الديوان «الأوصاب والوجعا» ص ١٣

(٧) الديوان «الحى»

(٨) الديوان «بُنَىَّ فإنَّ»

(٩) الديوان «يوما»

ولا تكوني كمنْ لا يَرْتَجِي أحَداً لَدى اغْتراب ولا يرْجُولهُ رَجَعاً

كوْني كمْثلِ الذى إذ غَابَ واجِدُها أهدَتْ له منْ بعيدٍ نَظْرةً جَزَعَا

ما نظَرتْ ذاتُ أشفار كنَظْرتِها حقًّا كما صَدَق الذِّئبيُّ إذَسجَعَا(١)

إذْ قلَّبتْ مُقْلَةً ليسَتْ بمقرفةٍ إنسانَ عينٍ ومؤقاً لَمَ يكُن قَمَعا(٢)

فنظَرتْ نظرةً ليسَتْ بكاذبةٍ ورفَّع الآلُ رأسَ الكَلْب فارْتَفَعا(٣)

قالتْ: أرَى رجُلاً فى كَفِّهِ كتِفٌ أوَ يخْصِفُ النَّعل و يلي أيةً صنَعَا(٤)

فكذَّبُوهاً بما قالتْ فصبَّحهمْ ذُؤالُ حسَّانَ يُزجِى المَوْتَ والشِّرَعا(٥)

فاستنْزَلُوا أهل جُوٍّمن مَساكِنِهم وهدَّمُوا شاخِصَ البُنْيانِ فاتضعا(٦)

و بلدةٌ يرْهَبُ الجُوَّابُ خِشيتَها حتَّى تراُه عليهاَ يبْتغِي الشِّيعَا(٧)

لا يَسْمَعُ المرءُ فيها مايؤنِّسُهُ باللَّيلِ إلا نَئِيمَ البُومِ والضُّوَعَا(٨)

كلَّفْتُ عميَاءَهَا نفسِي وشَيعني هَمِّى عَليها إذا ما آلهُا لَمَعا(٩)

بذاتِ لُوثٍ عفرَناةٍ إذَا عَثُرَتْ فاللَّعْنُ أوْلَى لها من أنْ يُقَال لعَا(١٠)

(١) أشفار جمع شفرة وهو منبت الشعر فى الجفن ، والذئبى : سطيح الكاهن . والمعنى أنه لم تنظر ذات عين نظرتها فترى ما كان قد تنبأ به سطيح الكاهن عن هجوم حسان تبع فى جيشه الكثيف

(٢) مقرفة : من قرف بمعنى غلط والمؤق : إنسان العين ، والقمع : فسادفيه .

(٣) الديوان « إذ يرفع الآل » والآل : السراب .

(٤) يخصف : يخرز. والكتف عظم المنكب ، والمقصود أنه ينهش لحم المنكب

(٥) الديوان : « ذُوال حسان » الشرع : جمع شرعة ، وهى الحبالة التى يصيد بها الصائد ــ وفى ذوأل حسان ــ خطا وصحته من اللسان . والذوُال المشى المتقارب ، كمشى الذئب

(٦) جوّ: اسم اليمامة القديم . أو اسم عاصمتها ــ وكانت مساكن طسم من العرب البائدة غزاهم حسان تبع القيل اليمنى ــ واليمامة فى قلب هضبة نجد وجو عاصمتها ومكانها الرياض اليوم

(٧) الديوان « يرهب الجواب دلجتها »

(٨) الضوع : طائر الليل أسود كالغراب .

(٩) الديوان : « كلفت مجهولها نفسى وشايعنى »

(١٠) لوث : قوة ، وعفرناة الغول ، و « لعا » دعاء للعاثر أن يقوم و يسلم .

تـخَـال حَـقَّـا عـلـيها كُلَّما ضَمُرت ... بـعـدَ الـكـلاَلَـة أنْ تَـشـتَوْفِىَ النَّسعَا

تُـلوى بعِذْقٍ خصَاب كلَّما خَطَرت ... عـن فَرْجٍ مـعـقُـومـةٍ لـم تَـتبع ربُعَا

كـأنَّـهـا بـعـدَ مـا أَفْضَى النِّجادُ بهَا ... بـالـشَّـيِّـطَـيـنْ مـهَاةٌ تبْتغي دَرَعا[1]

أَهَوى لهَا ضَائِىء فى الأرْضِ مفْتَحِص ... للصَّيد قِدْماً خفِىُّ الشَّخْصِ إذخَشَعا[2]

بـأكـلُـبٍ كـسِـراءِ النَّـبْـلِ ضَـارِيَةٍ ... تـرَى مـن الـقِـدِّ فى أعْـنـاقِـهـا قِطعَا

فـظَـلَّ يخْدَعُـهـا عـنْ نَفْسِ واحِدِها ... ومـثـلُـه مـثـلَـها عن واحِدٍ خَدَعا[3]

حـتَّـى إذَا غـفَـلَـتْ عنهُ وما شَعُرتْ ... أنَّ الـمـنـيَّـةَ يـومـاً أرْسَـلَـتْ سَـبُعَا[4]

دارَتْ لِـتُـطْـعِـمَـه لـحـمـاً و يـفْجَعُها ... بـابْنٍ فقَدْ أطعَمَتْ لحماً وقدْ فَجعَا[5]

فـظَـلَّ يـأْكُـلُ مـنـه وهِـىَ لاهِـيـةٌ ... صَـدْر الـنـهـارِ تُـرَاعِـى ثـيرةً رُتُعَا[6]

حـتَّـى إذا فِيْقَةٌ فى ضَرْعِها اجْتَمعَتْ ... جاءتْ لتُرضِعَ شِقَّ النفْسِ لو رَضَعَا[7]

عَـجْلى إلى الـمَـعْـهـدِ الأدْنَى ففَاجأها ... أَقْطاعُ مَسْكٍ وسَافَتْ من دَمٍ دُفَعا[8]

فـأنـصَـرفَـتْ والِهاً ثكْلَى على عَجَلٍ ... كـلٌّ دهَـاهَـا وكـلٌّ عـنـدَها اجتَمعَا

وبَـاتَ قـطْرٌ وشفَّانٌ يُصفِّقُهـا ... مِـن ذا لـهـذَا وقَـلْبُ الشَّاةِ قدصُقِعَا

حـتَّـى إذا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ صبَّحَها ... ذُؤالُ نَـبْـهَـانَ يَبغي صَحبَهُ المُتَعا[9]

(١) الشيطين : واديان ، ودرعا : ولد المهاة .

(٢) الديوان :

« أهـوى لـهـا ضـبـىء فى الأرض مـفـتـحـص ... للـحـم قـدمـا خـفـى الـشـخـص قـد خـشـعـا »

(٣) الديوان : العجز « فى أرض فىء بفعل مثله خدعا »

(٤) الديوان : « وذاك أن غفلت » .

(٥) الديوان : « حانت ليفجعها بابن وتطعمه لحما فقد ... »

(٦) الديوان : (فظل يأكل منها وهى راتعة حد النهار ...) ثيرة : قطيع ثيران .

(٧) فيقة : ماتجمع فى الضرع من اللبن .

(٨) الديوان : (عجلا) ومسك : جلد ، وسافت : شمت .

(٩) الديوان : « ذوآل » خطأ ــ وصحته ماذكرنا والذؤال المشى المتتابع و يقصد هنا مشى المتربص للقنص أو الانقضاض

بأكْلُبٍ كَسِراءِ النَّبْلِ ضَارِيَةٍ ... تَرَى من القِدِّ في أعناقها قِطَعاً(١)

فتِلْكَ لم يتْرِكْ من خَلْفِها شبهاً ... إلا الدوائرَ والأظْلافَ والزَّمعَا(٢)

أنْضَيْتُها بعد ما طَال الهَبابُ بِها ... تَؤُمُّ هَوْذَةَ لانِكْساً ولاَوَرَعا(٣)

ياهَوْذَ إنَّكَ من قومِ أُولِي حسَبٍ ... لا يَفْشلُونَ إذا ما آنَسُوا فَزَعا

هُمُ الُخضَارِمُ إن غَابُوا وإن شَهِدُوا ... ولايُرَوْنَ إلى جَارَاتِهِم خُنُعا(٤)

قَومٌ سيُوفُهُمُ أمْنٌ لجارِهِمُ ... يوماً إذا ضمَّتْ المحذورَةُ القزعا(٥)

وُهمْ إذا الحربُ أبدَتْ عَنْ نواجِذَها ... مثلُ السُّيوفِ وسُمٌّ عاتِقٌ نقعا(٦)

من يَعْفُ هَوْذَةَ أويَحْلُل بسَاحَتِهِ ... يَكُنْ علَيْهِ عِيالاً طُولَ ما اجْتَمَعا

وأن تجامِعْهُ في الجُلىَّ مجمِّعْة ... تَكنْ لهِوْذَةَ فيما نابَهُ تبَعاً

من يرَ هَوْذَةَ يسْجُدْ غيرَ متَّئِبٍ ... إذا تعمَّم فوْقَ التَّاجِ أوْ وَضَعا(٧)

لهُ أكاليلُ باليَاقِوتِ فصَّصَها ... صَوَّاغُها لاتَرى عيباً ولاطَبَعا

وكلُّ زوجٍ من الدِّيباجِ يلبَسُه ... أبو قُدامةَ محبُوًّا بذاكَ معَا

أغرُّ أبلَجُ يُستَسْقَى الغمامُ به ... لوقَارَعَ النَّاسَ عن أحسَابِهم قَرَعا

لم ينقُضْ الشَّيْبُ منه فَتْلَ مِرَّتِهِ ... وقدْ تجاوزَ عنهُ الجهْلُ فانقشَعَا

قدْ حمَّلُوه فتيَّ السِّنِّ ماحملَتْ ... أشيَاخُهم فأطَاقَ الحملَ واضْطَلعَا

(١) سراء : ضرب من شجر القسى . الواحدة : سراءة ، القد : القيد . يصف كلاب الصياد الضامرة الضارية لطول قيدها .

(٢) الدوائر: جمع دائرة ودائرةُ الحافر: ما أحاط به من التبن .

(٣) الهباب : النشاط ، والنكس : العاجز الضعيف .

(٤) الخضارم : جمع خضرم وهو السيد الكريم ، وخنعا : جمع خانع وهو المريب الفاجر

(٥) المحذورة القزعا : التى تخشى الحرب .

(٦) الديوان : (مثل الليوث) .

(٧) الديوان : (إذا تعصب فوق التاج) ، غير متئب : لا يستحى .

وجربوه فما زادتْ تجاربُهم أبا قُدامةَ إلاَّ الحزْمَ فارْتفعَا

يُرعى إلى قَوْلِ ساداتِ الرِّجالِ إذا أبدُوا له الحزْمَ أو إنْ شاء مُبتَدِعَا

قد نالَ أهلَ شآمٍ فى سَماوَتِها قِدْماً سما لجسِيمِ الأمْرِ فافْترَعا(١)

قادَ الجيادَ مِنَ الُجوَّيْنِ مُنْعَلةً إلى المَدائنِ خَاضَ المْوتَ وأدَّرَعا

لا يَرْقَعُ النَّاسُ ما أوْهَى وإنْ جَهدُوا طُولَ الحَياةِ ولا يُوهُونَ ما رَقَعا

ومايُرِدْ من جميعٍ بعدُ فرَّقَهُ وما يُرِدْ بعدُ من ذِى فُرْقَةٍ جمَعا(٢)

وما مُجاورُ هِيتٍ إذْ طغَى قَطماً يَدُقُّ آذيُّه البُوصِيَّ والشَّرعا(٣)

يَجيشُ طوُفانُه إذ عبَّ محتفلاً يكادُ يعْلُو رُبَى الجُرفَيْنِ مُطَّلَعَا

هَبَّتْ لهُ الرِّيحُ فامتدَّتْ غوارِبُه تَرى حوالبَهُ مِنْ مَدِّه تُرَعا(٤)

يَوماً بأجْودَ منهُ حينَ تسألُهُ إنْ ضَنَّ ذُو الوَفْرِ بالإعْطاءِ أوْ خَدَعا(٥)

ومِثْلُ هَوْذَةَ أعْطَى المالَ سائِلَهُ ومِثْلُ أخْلاقِهِ منْ سَيِّءٍ مَنَعَا

تَلْقَى لهُ سادَةَ الأقْوامِ تابِعةً كُلٌّ سَيرْضَى بأنْ يُدْعَى لهُ تَبعا(٦)

ياهَوْذَ ياخيرَ مَن يَمْشِى علَى قدَمٍ بحرَ المواهِبِ للوُرَّاد والشَّرَعا(٧)

سائِلْ تَميمًا بهِمْ أيامَ صفقَتِهِمْ لمَّا أتوْهُ أُسَارَى كلُّهم ضُرُعا(٨)

وسْطَ المشَقَّرِ فى عَشْواءَ مُظْلِمَةٍ لا يَسْتطِيعُونَ بعد الضرِّ منْتَفَعا(٩)

لو أطعمُوا المنَّ والسَّلوَى مكانَهمُ لما رأى النَّاسُ فيهم مطعَمًا نجعَا(١٠)

(١) يقصد قبيلة كلب ـ يمانية ، تسكن صحراء السماوة شمال نجد بين الشام والعراق

(٢) هذا البيت ليس فى الديوان .

(٣) روايته فى الديوان :

وماجاور هيت إن عرضت له • قد كاد يسمو إلى الجرفين واطلعا

هيت : نهر دجلة .

(٤) غواربُه : الغوارب أعالى الموج . وحواليه : فروعه .

(٥) روايته فى الديوان : (إذ ضن ذو المال) .

(٦) البيتان غير مثبتين ضمن القصيدة فى الديوان .

(٧) شرعا : الشرع مورد الشاربين .

(٨) الديوان (سائل تميما به) و (لما رآهم أسارى) صفقة : يوم من أيام العرب بين كسرى وتميم .

(٩) الديوان : (وسط المشقر فى عيطاء مظلمة • لايستطيعون مما فيه ممتنعا) المشقر: حصن قتل فيه كسرى بنى تميم .

(١٠) الديوان : (ماأبصر الناس طعما فيهم نجعا) .

بِظُلمهم بنِطَاع المُلْكِ إذ غدَرُوا فقد حَسَوْا بعدُ من أنفاسه جُرَعا (١)

وقال لِلمَلْكِ أَطْلِقْ مِنهُمُ مِائةً رسْلاً من القَوْلِ مخفُوضاً ومارَفعَا (٢)

ففَكّ عن مِائة مِنهُم أسارَهُم فكُلُّهم عانِيًا من غِلةٍ خَلَعا (٣)

بهِ تقرَّب يومَ الفِصْح مُحتَسِباً يَرْجُو الإلٰهَ بما أَسْدى وماصنَعَا (٤)

وما أرادَ بها نُعْمَى يُثَابُ بِهَا إن قال كِلْمَةَ مَعْرُوفٍ بهَا نَفَعا

فلا يرَوْنَ بذاكُمْ نِعمَةً سبَقتْ إنْ قالَ قائِلُنا حَقاً بهَا وسعَى

فهذه القصيدة سِتّةٌ وسبعُونَ بيتاً التكلُّف فيها ظاهر بيِّن إلا فى ستّةِ أبيات وهى (٥) :

تقُولُ بِنْتى وقد قرَّبتُ مرْتَحِلاً يارَبِّ جنّبْ أبى الإتْلافَ والوَجَعَا

بذاتِ لُوثٍ عفَرْناةٍ إذا عَثَرتْ فاللَّعنُ أدْنى لَهَا من أَنْ أقُول لَعا

بأكْلُب كِسرَاءِ النَّبْل ضَارِيةٍ تَرَى من القِدِّ فى أعْنَاقِها قِطَعا

ياهوْذَ إنّكَ من قومٍ أوُلِي حَسبٍ لا يَفشلُون إذا ما آنسُوا فزَعَا

أغرُّ أبلجُ يُستسْقَى الغمامُ به لو قارَعَ الناسَ عن أحْسَابِهم قرَعا

لا يرقَعُ النَّاسُ ما أوْهَى وإن جَهِدُوا طولَ الحياةِ ولا يُوهُونَ مارقعا

وفيها خلل ظاهر، ولكنها بالإضافة إلى سائر الأ بيات نقيةٌ بعيدة عن التكلف . والذى يوجبه نسجُ الشعر أن يقول : « ياربِّ جَنِّبْ أبى الأَ تلاف والأَ وجاع » أو « التّلفَ والوجَع » (٦) .

(١) الديوان : (بظلمهم بنطاع الملك ضاحية) و (من أنفاسها جرعا) وكذلك فى حاشية الأصل .

(٢) الديوان : (فقال للملك سرح منهم مائة) .

(٣) الديوان : (ففك عن مائة منهم وثاقهم ، فأصبحوا كلهم من غلة خلعا)

(٤) الديوان :

(بهم تقرب يوم الفصح ضاحية يرجو الاله بما سدى وما صنعا)

(٥) القصيدة فى الديوان أربعة وسبعون بيتا .

(٦) أو (التلف والوجع) فى الأصل : (أو الأوجاع والتلف) وصححته من الموشح .

ومثلُ هذهِ القصيدة فِي التكلُّف و بَشاعة القَوْل قولُه أيضاً فى قصيدته :

لعمُركَ ما طولُ هذا الزمن (١)

فإن يَتْبَعُوا أمرَهُ يرْشُدُوا ... وإنْ يسألُوا مالهُ لا يَضِنْ
وما إنْ على قَلبِه غَمْرةٌ ... وما إنْ بعظْمٍ لهُ مِن وَهَنْ(٢)
وما إنْ على جَارِه تَلْفةٌ ... يُساقِطُها كسقَاطِ اللَّجَنْ(٣)
ولمْ يسْع فى الحرْبِ سعْىَ امرىءٍ ... إذا بِطْنَةٌ راجَعتْهُ سَكَنْ
عليها وإنْ فاتَهُ أكْلةٌ ... تلاقَى لأُخرى عظيمُ العُكَنْ
يَرى هَمَّه أبداً خضرَهُ ... وهَمُّكَ فى الغزْو لا فى السِّمنْ

فمثل هذا الشعر وماشاكَله يُصْدِئُ الفَهْمَ و يُورِثُ الغَمَّ ، لا كما يَجْلو الهَمَّ و يشحذُ الفَهْمَ من قولِ أحمد بنِ أبى طَاهر :

إذا أبُو أحمَدٍ جادَتْ لنا يدُه ... لم يُحْمدْ الأجوَدانِ البَحْرُ والمَطرُ
وإن أضاءَ لنا نورٌ بغرَّته ... تضاءَل الأنورَانِ الشَّمسُ والقمرُ
وإنْ مضَى رأيُه أوجَدَّ عزْمَتَه ... تأخَّرَ الماضِيانِ السَّيفُ والقَدَرُ
منْ لمْ يَكُنْ حذِراً من حدِّ سطْوتِهِ ... لم يدْرِما المُزْعجانِ الخوْفُ والحذَرُ
حُلوٌ إذا أنتَ لم تُبعثْ مرارَتَهُ ... فإن أُمِرَّ فحلو عِنْدَهُ الصَّبرُ
سهْلُ الخَلائِقِ إلاَّ أنَّهُ خَشِنٌ ... ليْنُ المهَزَّةِ إلاَّ أنَّه حَجَرُ
لاحيَّةٌ ذكرُ فى مِثلِ صوْلَتِهِ ... إنْ صَالَ يوماً ولاَ الصَّمْصَامَةُ الذَّكرُ
إذا الرِّجَالُ طغَوْا أوْ إذهُمُ وعَدُوا ... بالأمْرِ رُدَّ عليهِ الرَّأْىُ والنَّظَرُ
الجودُ منه عياكٌ لا ارْتيابَ بهِ ... إذْ جُودُ كلِّ جوادٍ عندَهُ خَبَرُ

فهذا الشعْرُ من الصَّفوُ الذى لا كدَر فيه .

وأكثرُ من يستحسنُ الشعر تقليداً ، على حسَب شُهرةِ الشَّاعر وتقدُّم زَمانِه ، وإلاَّ فهذا الشِّعْرُ أولى بالاستِحْسَان والاسْتِجادَةِ من كلِّ شِعْرٍ تقدَّمَهُ .

(١) هى قصيدة طويلة يمدح بها قيس بن معدى كرب الكندى . وهى فى ديوانه ص ٦٥/٧٥ طبع بيروت ١٩٧٤

(٢) غمرة : الغمرة الشدة .

(٣) تلفة : هلاك ، اللجن : الورق من الشجر يدق ويخلط بدقيق وشعير ثم يتخذ علفاً للماشية .

وإذا تناولَ الشَّاعرُ المعانِيَ التى قد سُبقَ إليها فأبرَزَها فى أحسنَ من الكُسوةِ التى عليْها لم يُعبْ بل وَجبَ له فضْلُ لُطفِه وإحسَانِه فيه ..

كقول أبى نواس : (١)

وإن جرَتْ الألفاظُ مِنَّا بمِدْحَةٍ … لغيرِكَ إنسَاناً فأنْتَ الذى نَعْني

أخذه من الاحْوَص حيث يقول :(٢)

متى ما أقُلْ فى آخِرِ الدّهرِ مِدْحَةً … فما هِى إلا لأبنِ ليْلَى المكرَّمِ

وكقولِ دعبل : (٣)

أحِبُّ الشَّيْبَ لمَّا قِيلَ ضَيفٌ … كحُبِّى للضُّيُوفِ النَّازلينا

أخذه من قول الأحوص أيضاً حيث يقول :(٤)

فبانَ مِنِّى شَبابى بعدَ لذَّتِه … كأنَّما كانَ ضيفاً نازِلاً رَحَلا

وكقول دعبل أيضاً (٥)

لا تَعْجَبى ياسَلْمَ مِنْ رَجُلٍ … ضَحِكَ المشيبُ برأسِه فبَكَى (٦)

أخذَه منَ قولِ الحُسين بن مُطير :

كلَّ يومٍ بأقحوانٍ جَديدٍ … تَضْحكُ الأرْضُ منُ بكاءِ السَّماء (٧)

(١) ديوانه ص ٦٤٧ طبع بيروت ١٩٦٢

(٢) شعر الاحوص ١٩٩ طبع القاهرة ١٩٧٧

(٣) ديوانه ص ١٥٠ طبع بيروت ١٩٦٢

(٤) شعر الأحوص ص ١٧٧ طبع القاهرة ١٩٧٧

(٥) « قال أبو الفرج » عن ابن أخت أبى بكر الأصم قال : كنا فى مجلس للأصمعى فأنشده رجل لدعبل بن على : (أين الشباب وأية سلكا) ثم أورد البيت وقال : (فقال الأصمعى : هذا سرقه من قول الحسين بن مطير حيث يقول :

أين أهل القباب بالدهناء … أين جيراننا على الأحساء

فارقونا والأرض ملبسة نو … ر الأقاحى يجاد بالأنواء

كل يوم بأقحوان جديد … تضحك الأرض من بكاء السماء

سرقه من قول الحسين بن مطير) (الأغانى ١١١/١٤)

(٦) البيت فى الأغانى ٣٢/١٨ ، ديوان المعانى ١٥٩/٢ وراجعه فى ديوانه ص ١١٧

(٧) البيت فى الأغانى ١١١/١٤ وروايته (تضحك الأرض من مهل السماء)

وكقولِ أبى نُواسَ : (١)

تدورُ علينا الراحُ فى عَسْجدِيّةٍ ... حبتْها بأنْواعِ التّصاوِيرِ فارِسُ
قرارتُها كِسْرَى وفى جنَباتِها ... مهًا تدّريها بالقِسىّ الفوارِسُ
فلِلْخَمْرِ ما زُرَّت عليه جُيوبُها ... وللماءِ ما دارَتْ عليه القَلانِسُ

أخذه أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيى [الهمذانى] الكاتب فقال(٢)

ومدامةٍ لا يَبْتغِي من ربّه ... أحدٌ حبَاهُ بها لَديْه مَزيدَا
فى كأسها صُورٌ تُظنُّ لحُسْنها ... عُرُباً برَزْنَ من الجِنَانِ وغِيدَا
قد صُفّ فى كاسَاتِها صورٌ حلَتْ ... للشّاربينَ بها كواعِبَ رُودَا
فكأنَّهُنَّ لبسْنَ ذاكَ مجَاسِداً ... وجعَلْنَ ذا لنُحُورهِنَّ عقُودَا

فهذا من أبدع ما قِيل فى هذا المعنَى وأحسنه .

ويحتاجُ من سلك هذه السبيلَ إلى الطافِ الحيلةِ وتدْقِيق النّظر فى تَناوُل المعانى واستعارتها وتلبيسِها حتّى تخْفَى على نُقَّادِها والبصَراء بها،و ينفرد بشهرتها ،كأنَّه غيرُ مسبوقٍ إليها ، فيستعملُ المعانِى المأخوذَةَ فى غيرِ الجِنْس الذى تنَاولها منه ، فإذا وجَد معنًى لطيفاً فى تَشْبيبٍ أو غَزلٍ استعمَله فى المديح ، وإن وجدَه فى المدِيح استعْمله فى الهِجاء ؛ وإن وجدَه فى وصفِ ناقةٍ أو فرسٍ استعْمَله فى وصفِ الإنْسانِ ، وإنْ وجدَه فى وصْف إنسانٍ استعْملهُ فى وصفِ بَهيمةٍ ، فإنَّ عكْسَ المعَانِى على اخْتِلافِ وجُوهِها غيرُ متعذرٍ على من أحسَنَ عكسَها ، واستعمالَها فى الأ بوابِ التى يحتاجُ إليها فيها . وإن وجَدَ المعْنى اللّطِيفَ فى المنثُورمن الكلام ، أو فى الخطب والرّسائل فتناوله ، وجعله

(١) ديوانه ص ٢٣٣ طبع القاهرة ١٩٥٩

(٢) الأبيات فى البصائر ١١٩/٢ وينسبها أبو حيان إلى الناشىء الأكبر و يعترض على نسبة ابن طباطبا إلى هذا الشاعر. قال أبو حيان: « هذه الأبيات رواها صاحب عيار الشعر لفلان الهمذانى . والصحيح ما تقدم » أى لنسبتها إلى الناشىء

(٣) رواية البصائر : واذا المزاج أثارها فتقسمتْ ،،

شِعراً كان أخفى وأحسن . ويكونُ ذلك كالصائغ الذى يُذيبُ الذَّهب والفضَّة المصُوغَين فيُعيدُ صيَاغَتهما بأحسنَ مما كانا عليه ، وكالصَّبَّاغ الذى يصْبغُ الثوبَ على ما رَأى من الأصْباغ الحَسنة .

فإذا أبرز الصَّائغُ ما صاغَه فى غير الهيئة التى عُهد علَيها ، وأظهرَ الصَّباغ ما صَبغه على غيرِ اللَّونِ الذى عُهد قبل ، التبسَ الأمرُ فى المصُوغ وفى المصْبُوغ على رأيهما . فكذلك المعَانى وأخذها واستعمالها فى الأشعار على اختلاف فنونِ القول فيها .

قِيل للعتَّابى(١) : بماذا قدَرت على البلاغة ؟ فقال : بحلِّ معقُودِ الكلام ؛ فالشّعر رسَائلُ معقُودة ، والرَّسائلُ شعرٌ محلول .

وإذا فتَّشْتَ أشعارَ الشعراء كلَّها وجدتها متناسبةً ، إما تناسباً قريباً أو بعيداً . وتجدُها مناسبةً لكلامِ الخُطباء وخُطَب البُلغاء ، وفِقَر الحُكمَاء . وسنذكر من ذلك ما يَكُونُ شاهداً على ما نقول .

من ذلك أن عطاءَ بن أبى صَيْفي دخَل على يزيدَ بن مُعاوية فعزَّاهُ عن أبيه وهَنأهُ بالخِلافة ، وهو أول من عزَّى وهَنأ فى مقَامٍ واحدٍ ، فقال :(٢)

« أصبحت رُزيتَ خليفةَ الله ، وأعْطِيتَ خِلافَة الله وقد قضى معاويةٌ نحبَه ، فيغفرُ الله ذَنْبَه ، ووَليتَ الرِّياسة ، وكنتَ أحقَّ بالسياسةِ فاشكرْ الله على عظيم العَطِيَّة ، واحتَسِبْ عند الله جليلَ الرَّزيَّه ، وأعظَم الله فى معاويةَ أجْرَك ، وأجزَلَ على الخلافةِ عوْنك »(٣) فأخذه أبو دُلامة فقال يرثى المنصور ويمدح المهدى(٤) :

عينَاىَ واحدةٌ تُرى مسرُورَةً بإمَامِها ، جَذْلى ، وأخْرَى تَذْرفُ

(١) رأى العتابى فى البلاغة البيان والتبين ١/١٦١ — ٢٢٠
(٢) أورد الخبر ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٣/٦٨ طبع دار الكتب المصرية .

(٣) راجع البيان والتبين ٢ / ١٩١ . و يبدأ بقوله : ياأمير المؤمنين — وقد حذفها ابن طباطبا — ربما عمْدا — لعلويته .
(٤) الأبيات فى طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٠

تبْكِى وتضْحَكُ تارةً فيسُوءُها ... ما أنكرَتْ و يَسُرُّها ما تعْرفُ(١)

فيَسُوءُها موتُ الخليفةِ أوَّلاً ... و يَسرُّها أنْ قَام هذَا الأَ رأَفُ(٢)

ما أن سمعتُ ولا رأيتُ كما أرَى ... شَعْراً أرَجِّلُهُ وآخرَ أنتِفُ

هلكَ الخليفةُ يالَ أُمَّةِ أحمدٍ ... وأتَاكُمُ من بعدِهِ مَنْ يَخْلُفُ

أهدَى لهذَا الله فضْلَ خِلافةٍ ... ولِذَاكَ جنَّاتُ النَّعِيم وزُخْرفُ(٣)

فابكوا لمضْرعِ خَيْرِكُمْ ووَلِيِّكُمْ ... واستَبْشرُوا بقيامِ ذا وتَشرَّفُوا(٤)

فأخذه أبو الشِّيص فقال يرثى الرشيد ويمدح المخلوع(٥):

جرَتْ جوارٍ بالسَّعْدِ والنَّحْس ... فنَحْنُ فى وَحْشةٍ وفى أُنْسِ

فالعينُ تَبْكِى والسِّنُّ ضاحِكةٌ ... فنحنُ فى مأتمٍ وفى عُرسِ

يُضْحِكُنا القائمُ الأمين وتُبكينا ... وفاةُ الإمامِ بالأمْسِ

بدْرَان، هذا أمسَى ببغدادَ فى الخُلْدِ ... وهذا بِطُوسَ فى رمْسِ

ولما ماتَ الاسكندر ندبه أرسطَاليس فقال: طالَما كانَ هذا الشَّخص واعظاً بليغاً، وما وعظَ بكلامه موعَظِةً قطُّ أبلغَ من وعظِهِ بسكوته؛ فأخذه صالحُ بنُ عبد القدُّوس فقال:(٦)

(١) رواية ابن المعتز:

تبكى وتضحك مرة ويسوءها ... ماأبصرت و يسرها ماتعرف

(٢) رواية إبن المعتز: (فيسوءها موت الخليفة محرماً).

(٣) رواية أبن المعتز: حنات النعيم تزخرف.

(٤) رواية إبن المعتز: واستبشروا لمقامه وتشرفوا.

(٥) طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٧، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٨٢٠/٢ والأبيات التالية تنسب فى تاريخ الطبرى ١٢٣/١٠ ـ١٢٤ لأبى نواس، وأبو الشيص هو محمد بن عبد الله بن رزين ابن عم دعبل الشاعر عاش فى زمن الرشيد./ راجع الشعر والشعراء ٨٢٠ ـ ٨٢٥، (طبقات ابن المعتز ٢٦ تاريخ بغداد ٤٠١/٥ ومعاهد التنصيص ٤٢/٢؛ والأغانى ١٠٤/١٥ ـ ١٠٨)

(٦) صالح بن عبد القدوس راجع ترجمته فى فوات الوفيات ١١٦/٢، ونكت الهميان ١٧١ من شعراء عصر المهدى العباسى

و يُنـادُونَـهُ وقـد صـمَّ عـنـهُـم ... ثـمَّ قـالُـوا ولـلـنِّـسـاءِ نحـيبُ
مـا الَّـذى عـاقَ أن تَـرُدَّ جـواباً ... أيُّـهـا المِقْوَلُ الألـدُّ الخطيـبُ
إنْ تكُنْ لا تُطيـقُ رجْعَ جوابٍ ... فَـبِـمـا قـد تَـرى وأنـتَ خطِيبُ
ذو عِـظـاتٍ ومـا وعَـظْـتَ بشيءٍ ... مِثـلَ وعظِ السُّكُوتِ إذْ لا تُجيبُ

فاختصَرهُ أبو العَتاهية فى بيتٍ فقال: (١)

وكـانـتْ فى حيـاتِكِ لى عـظـاتٌ ... فـأنـتَ اليـومَ أوعَظُ منـكَ حيًّا

وقال ابن عائشة: انصرفْتُ من مجلسٍ فقال لى أبى: ما حدَّثكُم حماد ؟ فقلت: حدَّثنا أنَّ النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال: لو لم يُلقَ ابنُ آدمَ إلاَّ على الصِّحَّةِ والسَّلامةِ لكفَى بِهِمَا داءً. فقال أبى: قاتلَ الله حُمَيدَ بن ثورٍ حيثُ يقول: (٢)

أرَى بَصَرى قد خَانَنى بعد صِحَّةٍ ... وحسْبُكَ داء أن تَصِحَّ وتَسْلَمَا

ولله درُّ النَّمِر بنِ تَوْلَبْ حيثُ يقول:

كانتْ قَناتِي لا تَلِينُ لغامزٍ ... فـألانَـهـا الإصْبَاحُ والإمسَاءُ (٣)
ودعوتُ ربِّى بالسَّلاَمةِ جاهِداً ... لِيُصِحَّنِى فإذَا السلاَمةُ داءُ

وحيثُ يقولُ أيضاً:

يـودُّ الفتَى طولَ السَّلامةِ جاهِداً ... فكيفَ تُرى طُولُ السَّلاَمةِ يفْعَلُ (٤)

(١) ديوانه ص ٦٧٩ بتحقيق شكرى فيصل ــ طبع دمشق

(٢) ديوان حميد بن ثور ص ٧ طبع دار الكتب، والشعر والشعراء ٣٤٩/١ والوحشيات ٤٨٠ وروايته « أرى بصرى قد رابنى »

(٣) أوردهما ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٢ / ٣٢١ ــ ٣٢٢ غير منسوبين لآخر طبع دار الكتب بمصر ١٩٢٥

(٤) إنهاية الأرب ٦٢/٣ والوحشيات أو الحماسة الصغرى لأبى تمام ص ٤٨٨ طبع دار المعارف

ولله درُّ القائل :(١)

لا يُعْجِب المرءَ أَنْ يُقَالَ لهُ أمْسَى فلانٌ لأهلِهِ حكَما
إن سَرَّهُ طولُ عَيْشِه فَلَقَدْ أَضْحَى على الوَجْهِ طولَ ما سَلِما

فسمع محمودُ الوراق هذه الأبيات فقال(٢):

يَهْوى البقاء فانْ مُدَّ البقاءُ له وساعَدتْ نفْسَهُ فيها أَمَانِيها(٣)
أبقَى البقاءُ له فى نفْسِه شُغُلا لما يَرى من تصَاريفِ البِلى فِيها

فأخذهُ عبدُ الصَّمدِ بنُ المعذَّل فقال: (٤)

يهَوى البقاءَ رهبةَ الفَناءِ وإنَّما يفْنَى من البقَاءِ

وربما أحسن الشاعر فى معنى يبدعه فيكرِّرُه فى شعره على عبارات مختلفة ، وإذا انقلبت الحالة التى يصف فيها ما يصف ، قلب ذلك المعنى ولم يخرج عن حد الإصابة فيه ، كما قال عبد الصمد بن المعذَّل فى مدح سعيد بن سَلْم البَاهِلى :

ألا قُلْ لسَارِى اللَّيلِ لا تخْشَ ضَلَّةً سعيدُ بنُ سلمٍ ضوءُ كلِّ بلادِ

فلما مات رثاهُ فقال:

يا سارِياً حَيَّرهُ ضَلالُه ضوءُ البلادِ قد خبَا ذبُالُه

(١) ينسبها أبن قتيبة للكميت فى عيون الأخبار ٢ / ٣٢١

وروايتهما :

«لا تغبط المرءَ أن يقال له أمسى فلان لسنه حكما
إن سره طول عمره فلقد أضحى على الوجه طول ما سلما»

(٢) محمود الوراق هو محمود بن الحسن الوراق البغدادى مولى بنى زهرة . يكنى أبا الحسن شاعر كثير الشعر جيده وعامته فى الحكم والمواعظ والزهد . وتوفى فى حدود سنة ٢٣٠ هـ . راجع فوات الوفيات ٤/٧٩

(٣) البيتان فى شرح العكبرى ١/٦٣ مع خلاف فى الرواية

(٤) عبد الصمد بن المعذل ترجمته (الأغانى ١٢/٥٤) معاهد التنصيص ١/٢٨٢) ، فوات الوفيات ١/٣٥٣ وهو أبو القاسم عبد الصمد بن المعذل بن غيلان ، من شعراء العباسيين بصرى النشأة . توفى فى حدود سنة ٢٤٠ هـ . وكان معاصراً للأخفش سعيد بن مسعدة

وكما قال عليُّ بنُ الجهم(١):

قالوا حُبست فقلتُ ليس بضَائرى ... حبْسٌ وأىُّ مهنَّدٍ لا يُغْمدُ

أو ما رأيتَ اللَّيثَ يألَفُ غِيلَهُ ... كِبْراً وأوْباشُ السِّباعِ تردَّدُ

فلما نُصبَ للناس وعُرِّىَ بالشَّاذِياخ قال :

نصَبُوا بحمدِ الله ملءَ عُيُونِهم ... حُسْناً وملءَ صُدُورِهم تَبْجِيلاَ

ما عَابَهُ أن بُزَّ عنهُ ثِيابُه ... فالسَّيفُ أهْوَلُ مايُرى مسلوُلا(٢)

فتشبَّه فى حال حبسه بالسَّيفِ مغمَدا ، وفى حالِ تعْريتِه بالسَّيف مسْلُولاَ و باللَّيْثِ إلفًا لغيلِهِ تارَةً ، ومفارِقاً لغيلِهِ تَارَةً .

ومما يستحسن جدًّا قولُ عليّ بن محمد بن نصر:(٣)

لا أظلمُ اللَّيْلَ ولا أدَّعى ... أنَّ نُجومَ اللَّيلِ ليْسَتْ تُغورْ

ليْلي كما شاءتْ فإنْ لم تَزُرْ ... طالَ وإن زارَتْ فليْلي قَصِيرْ

وأخذ هذا المعنى من قول الرَّجُلِ لمعاوية حيث سأله: كيفَ الزَّمانُ عليك ؟فقال: يا أمير المؤمنين أنتَ الزَّمانُ ، إذا صَلُحْتَ صَلُحَ الزَّمان ، وإذا فَسدْتَ فَسَد الزَّمان .

وكلُّ ما أودعناه هذا الكتاب فأمثلةٌ يُقاسُ عليها أشكالُها ، وفيها مقنع لمن دَقَّ نَظَرُه ولَطُفَ فهمُه ، ولو ذهبنا نستقصى كلَّ باب من الأبواب التى أودعناها كتابنا لطالَ ، وطال النظر فيه ، فاستشهدنا بالجزء على الكل ، وآثرنا الاختصار على التطويل .

(١) الأغانى ١٠٤/٩ ، على بن الجهم: كان معاصراً لأبى تمام ، نشأ ببغداد واختص بالمتوكل ثم غضب عليه ونفاه إلى خراسان ورحل إلى حلب فقتل فيها (راجع /الأغانى ٩٩/٩) . وديوانه ص ٤١

(٢) الأغانى ١٠٢/٩ وديوانه ص ١١/١ طبع المجمع بدمشق ١٩٤٩ والبيتان غير متتابعين فيما روى من شعره فيهما .

(٣) على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام البغدادى توفى سنة٣٠٢ هـ راجع فوات الوفيات ٥٢/٣ بتحقيق احسان عباس طبع بيروت ١٩٧٢

الشعر الحسن اللفظ الواهى المعنى

ومن الأبياتِ الحسنةِ الألفاظِ ، المستعذبة ،الرَّائقِةِ سمَاعاً ، الواهيةِ تخصِيلاً ومعنًى ، وإنما يُستحسن منها اتّفاقُ الحالاَت التى وُضِعت فيها ، وتذكُّرُ اللذَّاتِ بمعانيها ، والعبارةُ عما كانَ فى الضَّمِير منها ، وحكاياتُ ما جرى من حقائقها ، دونَ نسجِ الشِّعر ، وجوْدَتِه وإحْكام رَصْفِهِ ، وإتْقَانِ معناه قولُ جَميل:(١)

فيا حُسْنَها إذْ يغْسِلُ الدَّمعُ كُحْلَها ... وإذْ هِى تُذْرِى الدَّمعَ منها الأنَاملُ
عَشِيَّةَ قالتْ فى العِتابِ قَتَلْتنى ... وقَتلْيِ بما قَالتْ هناكَ تحاوِلُ

وكقول جرير(٢):

إنَّ الذينَ غدَوْا بلُبِّكَ غادَرُوا ... وشَلاً بعَينِكَ لا يَزالُ مَعِينَا
غيَّضْنَ من عبَراتهِنَّ وقُلْنَ لى ... ماذَا لقِيتَ من الهوَى ولَقِينَا

وكقولِ الأعْشى :

قالتْ هُرَيْرةُ لما جِئتُ زائِرَها ... ويْلى عليكَ ووَيْلى منكَ يارجُلُ(٣)

ويلى الأولى تَهدُّدٌ ، وويلى الثّانيةُ استِكانَة .

وكقولِ قيْس بن ذَرِيح(٤):

خليلىَّ هَذِى زفرةٌ قد غلبتُها ... فمَنْ لِى بأُخْرَى مِثْلِها قدْ أطلَّتِ

(١) ديوانه ص ١٥٨ الطبعة الثانية / القاهرة ١٩٦٧

(٢) ديوان جرير ط الصاوى ص ٥٧٨

(٣) ديوان الأعشى القصيدة رقم (٦) البيت ٢١

(٤) البيت فى ديوان قيس بن الملوح ص ٤ طبع أنقره ١٩٦٧ ورواية الأمالى:

«خليلىّ هذِى زفرةُ اليوم قد مضت ... فمن يُعد عن زفرة أخرى اطلت»
(الأمالى ٢/٢٨٦)

وبى زَفَراتٌ لو يَدُمْنَ قَتَلْنَنى ... تَسوقُ التى تأتِى التى قد تولَّتِ

وكقول عمر بن أبى ربيعة(١):

غفَلْنَ عن اللَّيْلِ حتَّى بدَا ... تباشيرُ من واضِحٍ أسْفَرا

فقُمْنَ يُعفِّينَ آثارَنَا ... بأكْسِيَةِ الخزِّ أن تُقْفراً

فالمستحسنُ من هذه الأبيات حقائقُ معانيها الواقعةِ لأصحابها الواصفين لها دون صنعةِ الشعر وأحكامِه.

فأما قولُ القائِل:

ولمَّا قضَيْنَا من مِنًى كلَّ حاجةٍ ... ومسَّحَ بالأرْكَانِ مَنْ هو مَاسِحُ(٢)

وشُدَّت على حُدْبِ المهارِى رحالُنا ... ولا يَنْظرْ الغَادِى الّذِى هو رَائِحُ

أخذْنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا ... وسالَتْ بأعناقِ المِطىِّ الأباطِحُ

هذا الشعر هو استشعارُ قائِلِه لفرحةِ قُفوله إلى بلده وسروره بالحاجة التى وصفها، من قضاء حجِّه وأنسِه برفقائه، ومحادثتهم ووصفه سيل الأباطح بأعناق المطىّ كما تسيل بالمياه. فهو معنى مستوفّى على قدرِ مرادِ الشاعر.(٣)

(١) ديوان عمر بن أبى ربيعة من ص ١٠٤ طبع القاهرة ١٩٧٨

(٢) الأبيات فى الشعر والشعراء ١١/١ والصناعتين ٥٩، وأمالى القالى ١٦٩/١، ومعجم البلدان ١٥٩/٨، وأمالى الشريف الرضى ١١٠/٢ ـ ١١١، وأسرار البلاغة ١٥. والخصائص لابن جنى ٢٢٥/١ والابيات من الشواهد المتداولة، واختلفت فيها آراء العلماء من حيث أن جالها متعلق بجمال معانيها أو برونق ألفاظها ودقيق نظمها، وكذلك اختلفوا فى قائلها.

(٣) ديوان كثير ص ٣٦، والصناعتين ٧١، والأغانى ٢٧/٩، الأمالى للقالى ١٠٨/٢ و يعلق أبو هلال عليها بقوله: إن الكلام إذا كان لفظه حلواً وعذباً، سلساً سهلاً ومعناه وسطا دخل فى جلة الجيد وجرى مع الرائع النادر كقول الشاعر و يورد الأبيات» الصناعتين ٥٩

عدم تناسب اللفظ مع المعنى

وأما المعرض الحسن الذى ابتذل على مالا يشاكله من المعَانى فكقول كثيِّر (١)

فقلتُ لها ياعزَّ كُلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النَّفسُ ذلَّت

قد قالت العلماء لو أن كُثيِّراً جعَل هذا البيت فى وصف حرب لكان أشعر الناس . وكقول القَطَامِيّ فى وصْفِ النُّوق:

يمشينَ رَهْواً فلا الأعْجازُ خاذِلةٌ ولا الصُّدورُ على الأعْجازِ تتَّكِلُ(٢)

لو جعلَ هذا الوصْفَ للنِّساء دونَ النُّوقِ كانَ أحسَنَ(٣). وكقول كثيِّر أيضاً:

أَسيئى بَنا أوْ أحْسِنى لا مَلُومةً إلينا وَلا مَقْليَّةً إن تقلَّتِ(٤)

قالتْ العُلماءُ لوقال البيتَ فى وصفِ الدُّنيا لكانَ أشْعَرَ الناسِ .

(١) ديوان كثير ٣٩

(٢) ديوان القطامى ص ١ والصناعتين ١٤٦

(٣) ينقل أبوهلال عبارة ابن طباطبا هنا ، الصناعتين ١٤٦ و يزيد عليها « فهو كالشىء الموضوع فى غير موضعه » .و ينقل المرزبانى شعر القطامى وكثير وتعليق ابن طباطبا بالموشح (ص ١٤٦ ــ ١٤٧)

(٤) ديوان كثير ص ٥٣ وروايته « ملومة لدينا » . وهى فى الديوان كذلك البيت رقم ٢٩ ص ٥٢ من شرح ديوانه ــ والأغانى ٩ / ٢٧ ، والأمالى ٢ / ١٠٨

تناسب اللفظ مع المعنى

ومن الأبيات التي تخلُبُ معانيها للطافة الكلام فيها قول زهير:

تَـراهُ إذَا مـا جـئـتَـهُ مـتـهـلّـلاً ... كـأنّـك تُعطِيه الَّذِى أنتَ سائلُه (١)

أخى ثقةٍ ما تُـهلِكُ الخمرُ مالَهُ ... ولـكنّـه قـد يُـهْلِكُ المالَ نـائلُه (٢)

غـدَوْتُ عـلـيـهِ غُـدْوةً فـرأيْتُـه ... قُـعُوداً لـدَيْه بـالـصَّريـم عَـواذِلُه

يـفـدِّيـنَـهُ طَـوْراً وطوْراً يَـلُـمْـنَـهُ ... وأَعْـيـا فـمَـا يَـدْرِيـنَ أَيـنَ مخاتِـلُهْ

فـأعـرَضْـنَ مـنـهُ عـنْ كـريـمٍ مُـرَزّأً ... فعُولٍ إذا ما جدَّ بالأمر فاعِلُه (٣)

وقول طُفيل الغَنوى (٤):

جزَى اللهُ عنَّا جعْفراً حِينَ أزْلَقتْ ... بنـا نَعْـلُـنَـا فى الـواطِـئـيـنَ فَـزَلَّـتِ

هُمُ خلَطُونَا بـالـنُّـفوسِ وأَلجأُوا ... إلى حَـجـراتٍ أدْفـأَتْ وأظـلَّـتِ

أبَـوْا أنْ يَـمـلُّـونَـا ولو أنَّ أمَّـنـا ... تُـلاقي الّذِى لاقَوْهُ مِنَّا لملَّتِ (٥)

وكقولِ كُثيِّر بن عبد الرَّحمن الخُزاعِيِّ (٦):

إذا مـا أرَادَ الـغزْوَ لـم تَـثْنِ هَـمَّـهُ ... حَصـانٌ عـلـيـهـا نَـظـمُ دُرٍّ يَـزيـنُـها

نَـهتْـهُ فـلـمَّـا لـم تـرَ الـنَّـهىَ عاقَهُ ... بـكـتْ فـتـبـكـى مـمَّا شجَاها قَطِينُها

(١) شرح ديوان زهير ١٤١ ــ ١٤٢

ومطلع القصيدة:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ... وعرّى أفراس الصبا ورواحله

(٢) «أخى ثقة» فى الأصل «أخى فجر» وصححه من الديوان.

(٣) رواية الأعلم: «عزوم على الأمر الذى هو فاعله» شرح الديوان ص ١٢٤

(٤) طفيل الغنوى هو طفيل بن عوف بن خليف بن قيس عيلال، شاعر جاهلى من الفحول، وأوصف العرب للخيل حتى قيل له طفيل الخيل لكثرة وصفه إياها (ترجمته بالأغانى ١٤ / ٨٨، معجم الشعراء ١٤٧، خزانة الأدب ٢ / ٢٦٤، سمط اللالى ٢١٠) وديوانه ط أوربا ٨ فى مجموعة Gibb ٨٨٠.

(٥) ديوان طفيل ٢٥٧، ط أوربا ١٨٢٨ ولباب الآداب ٢٦٨، وديوانه طبع بيروت ص ٩٨

(٦) البيتان من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان، شرح ديوان كثير ٢ / ٣٤.

وقولُ ابنِ هَرْمة [١]:

إنّـى نَـذرْتُ لئنْ لَقِيتُكَ سالماً ... أنْ لا أُعـالِـجَ بـعـدَكَ الأسـفَـارَا

وقول حمزةَ بن بِيض [٢]:

تَـقُـولُ لى والـعُـيـونُ هـاجـعـةٌ ... أقـمْ عـلـينـا يـوماً فـلم أَقِـمِ [٣]

أىَّ الـوجـوهِ انـتـجَعْتَ ؟ قلتُ لَهَا: ... وأىَّ وجـهٍ إلاَّ إلى الـحَـكَـم [٤]

مـتـىَ يـقُـلْ صـاحِـبَا سُرَادِقِهِ: ... هـذَا ابنُ بِـيضٍ بـالـبَـابِ يَـبْـتَسِم

قـد كـنـتُ أسلَـمْـتُ فِـيـكَ مُقْتَبلاً ... فـهَـاتِ إذْ حَـلَّ أعْـطِـنِى سَلَمِى [٥]

وقول الآخر [٦]:

نُـقـلِّـبُـه لِـنَـبْـلُـوَ حـالـتَـيْـهِ ... فَـنـخْـبرُ مِـنهُـمَا كـرماً ولَـيـنَـا

نَـمِـيـلُ على جـوانِـبـه كـأنّـمـا ... نَـمِـيـلُ إذا نَـمِـيـلُ عَلى أبِـيـنَـا

وقولِ أبى العتاهية [٧]:

إنَّ الـمـطَـايـا تَـشْـتَـكِـيكَ لأنّـهـا ... تَـفْـرِى إلـيـك سـبـاسـباً ورِمَـالا

فـإذا أتَـيْـنَ بـنَـا أتـيْـنَ مخفَّـةً [٧] ... وإذا رَجِـعْـنَ بـنَـا رجِـعْـن ثِـقَـالا

١) ابن هرمه : ابراهيم من الخلج بن قيس عيلان ، قال عنه الأصمعي : ساقة الشعر أى آخر من يحتج بشعرهم وهو من مخضرمى الدولتين . مدح الوليد بن يزيد وأبا جعفر المنصور، واشتهر بكثرة شعره فى الخمر.

(٢) حمزة بن بيض الحنفى : شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية كوفى ، مدح ال المهلب بن أبى جعفر، وغيره من رجال الأمويين . راجع الأغانى ١٥ / ١٤ ــ ٢٥ والمؤتلف ١٠٠ ومعجم الشعراء للمرزبانى ص ١٠٠

(٣) ديوان المعانى ١ / ١٠ وروايته « يقولون لى والعيون هازعة » .

(٤) العمدة : « لا أى وجه » ٢ / ١١٢ ، الحكم : هو الحكم بن مروان .

(٥) ديوان المعانى : « فهات إذ حل أوفنى سلمى » .

(٦) الأمالى ١ / ٢٣٧

(٧) من قصيدة يمدح بها عمرو بن العلاء بن حريث صاحب المهدى (الأغانى ٣ / ١٤٠) وديوانه ص ٦٠٦ رواية الأغانى (فـإذا وردن بنا وردن مخفة) .

الشعر الصحيح المعنى ، الرث الصياغة

ومن الحِكَم العجيبةِ والمعَاني الصَّحيحةِ ، الرَّثة الكسوة ، التى لم يُتنوقْ فى معْرِضها الَّذى أُبرزتْ فيه قولُ القائل :

نُـرَاعِ إذَا الـجَـنـائـزُ قـابَلـتْـنـا ... ونـسْـكُـن حيـنَ تَـمـضِى ذَاهباتِ

كـروْعـةِ ثـلَّـةٍ لَمـغَـارِ ذئْـبٍ ... فـلـمَّـا غـابَ عـادَتْ رَاتعَـاتِ

وكقول الآخر :

وما المرء إلا كالشهاب وضوؤهُ ... يحـورُ رَمـاداً بـعـدَ إذْ هوَ ساطِعُ

ومـا المـالُ والأهـلون إلا وديعـةٌ ... ولا بُـدَّ يـومـاً أن تُـردَّ الـودائـعُ

وكقول الآخر :

دارِ الـــعَــــدُوَّ تَــــنَـــطُّــــراً ... بِـهـمْ غـداً فِـعْـلَ المـوَارِبْ

فـإذا ظَـفـرْتَ بـهـمْ ظـفـرْ ... تَ بِـمِـنَّـةٍ إنْ لـم تُـعـاقِـبْ

وكقول الآخر :

قدرتُ على نفسى فأزْمعتُ قتلَها ... فأنتَ رخىُّ البالِ والنَّفسُ تَذهبُ

كعصفورةٍ فى كفّ طِفْلٍ يَسُومُها ... ورُودَ حِيَاضِ الموتِ والطِّفل يَلْعبُ

وكقول الآخر :

مــن يَــلُــمْ الــدَّهْــرَ ألا ... فـالـدَّهْـرُ غـيـرُ مُـعْـتـبـهْ

أو يـتـعـجَّـبْ لـصـرُو ... فِ الـدَّهْـرِ أو تَـقـلُّـبـهْ

ومـن يُـصَـاحِـبْ صاحِـباً ... يُـنْـسَـبْ إلى مـضْـطَـحـبـهْ

بـــزائـــنـــاتِ رُشْـــدِهِ ... أو شـائـنـاتِ رِيَـبـهْ

وَربَّـمـا ضرَّ صـحـيـحـاً ... جَـرِبٌ بِـجَـرَبِـهْ

تـعـرِفُ مـا حـالُ الـفـتـى ... فى لُـبْـسِـهِ ومَـرْكـبِـهْ

وفـــي شـــمـــأزيـــزتـــهِ عَـــثـــكَ وفي تـــوثُّـــبِـــهْ
عـــلـــيـــكَ أو إصـــغـــائـــهِ إلـــيـــكَ أو تَـــجـــنُّـــبِـــهْ
والـمـــرءُ قـــد يُـــدرِكُـــهُ يـــومـــاً خُـــولُ مَـــنْـــصِـــبِـــهْ

(المعنى البارع فى المعرض الحسن)

فأما المعنى الصحيح البارعُ الحَسنُ، الذى قد أبرز فى أحسن معرض وأبهى كسوة، وأرق لفظ، فقول مسلم بن الوليد الأنصارى[1]:

وإنّـى وإسـمـاعـيلَ بعدَ فِراقِه لكالغِمْد يومَ الرَّوْعِ زايَلَه النصْلُ[2]
فإن أغشَ قوماً بعدهُ أو أزُرْهُم فكالوَحْشِ يُدنِيها من الأُنسِ المَحْلُ[3]

(١) الديوان ط أوربا ص ٢٨٤ .

(٢) رواية الديوان: (وانى واسماعيل يوم وداعه) و (فارقه النصل) .

(٣) رواية عجزه فى الديوان (فكالوحش يستدنيه للقنص المحل) .

التشبيهات البعيدة

ومن التَّشْبِيهاتِ البَعيدةِ التى لم يَلْطُفْ أصحَابُها فيها ، ولم يُخرُج كلأُمهم فى العبارة عنها سلِساً سْهلا قولُ النابغة[1] :

تَخْدى بهم أُدْمٌ كأنَّ رِحالَها   عَلَقٌ أريقَ على مُتونِ صُوَارِ[2]

وكقول زُهير بن أبى سُلمَى :

فزَلّ عنها وأوفى رأسَ مَرْقَبةٍ   كمنْصبِ العِتْر دَمَّى رأسَهُ النُّسُكُ[3]

وكقولِ خُفَاف بن نَدْبةَ :

أبقَى لها التَّعْداء مِنْ عتَدَاتِها   ومُتُونها كخُيوطةِ الكتَّانِ[4]

والعَتَداتُ القوائم . أراد أن قوائمها دَقَّتْ حتى عادتْ كأنَّها الخيوطُ وأراد « ضُلوعَها » فقال « متُونه »[5]

وقولُ بشرِ بن أبى خَازِم (٦) :

وجرَّ الرامِسَاتُ بها ذُيولاً   كأنَّ شَمالَها بعدَ الدَّبُورِ[7]

رمادٌ بين أظآرٍ ثلاثٍ   كما وُشِمَ النَّواشِرُ بالنؤورِ

فشبه الشَّمالَ والدَّبُورَ بالرَّمادِ .

(١) نقله أبو هلال فى باب قبح التشبيه ٢٥٧ ، والمرزبانى فى الموشح ص ٨٦ والأدم : الإبل العتاق ، والعلق : الدم . وصوار: بقر، أولعلها نصب المذبح أمام الصخر.

(٢) الديوان ٤٩ (تمشى بهم) و (علق هريق) ، الصناعتين ٢٥٧ .

(٣) الصناعتين ٢٥٨ ، المنصب : الحجر، والعتر الذى يذبح فى رجب . وديوانه ص ١٨٧ طبع دار الكتب .

(٤) الصناعتين ٢٥٧ .

(٥) ينقل أبو هلال فى الصناعتين بعض ألفاظ العبارة ثم يعلق عليها بقوله : (وهذا محمود غير معيب عند أصحاب الغلو)

(٦) الصناعتين ٢٥٨ ، يقول أبو هلال : (ومن معيب التشبيه قول بشر...) و يذكر البيتين . وراجع البيتين فى ديوانه ص ٩٤/٩٥ طبع دمشق ١٩٦٠

(٧) الرامسات الرياح الدوافن للآثار، والأظآر جمع ظَأْر بالفتح وهو حجر الموقد .

وكقولِ أوس بنِ حجر (١) :

كأن هِرًّا جَنيبًا عِندَ غُرضَتِها ... والتَفَّ دِيكٌ برِجْلَيْها وخِنْزِيرُ

وكقولِ لَبيد بنِ رَبيعة (٢) :

فخمةٌ ذَفْراء تُرْتى بالعُرَى ... قُرْدُمَانِيًّا وتَرْكًا كالبصَلْ (٣)

وكقول النَّابغة الجعدِى (٤) :

كأنَّ حِجَاجَ مُقْلتِها قليبٌ ... من السَّمقَيْن أخْلَق مُستقَاهَا

والحِجَاجُ لا يغُور لأنه العظمُ الذى ينبتُ عليه شعْرُالحاجِب .

وقولُ ساعِدة بنِ جُؤَيَة :

كسَاها رطيبُ الرِّيشِ فاعتَدلَتْ لها ... قِدَاحٌ كأعْنَاقِ الظِّباء الفَوارِقِ (٥)

شبَّه الهامَ بأعناقِ الظِّباء ، ولو وصَفها بالدِّقةِ كان أولى .

(١) الصناعتين ص ٢٥٨ قال أبو هلال: « ومن التشبيه الردى واللفظ قول أوس بن حجر، وراجع الكامل للمبرد ٨٦/٢ ، والغُرضَةُ وحزام الجمل

(٢) الصناعتين ٢٥٧ وديوانه ص ١٤٦ طبع صادر ببيروت .

(٣) ترتى : الرتو الشد ، القردمانية : الدروع الغليظة ، الترك : جمع تريكة وهى البيضة ، وكانوا يشدون الدروع والبيضة بالعُرى .

(٤) الصناعتين ٢٥٨ ولا يرد البيت بديوانه المنشور طبع المكتب الإسلامى بدمشق .

(٥) الصناعتين ٢٥٧ ، والمثل السائر ١ / ٤١٩ . وغير وارد فى ديوان الهذليين طبع دار الكتب بمصر .

الأبيات التى زادت قريحة قائليها على عقولهم

ومن الأبياتِ التى زَادَتْ قريحة قائليها على عقُولهم قولُ كُثَيِّرٍ :(١)

فـإنَّ أمـيـرَ المـؤمـنـيـنَ بِرِفْقهِ   غـزَا كـامِنَـاتِ الـودِّ مِنّى فَنالَها(٢)

وقوله أيضا يُخاطِبُ عبدَ المَلك :

ومـا زالَـتْ رُقَاكَ تَسُلُّ ضِغْنِى   وتُخْـرِجُ مِنْ مَكـامِنها ضِبابِى(٣)

و يَرْقِينى لكَ الحَاوُونَ حتَّى   أجَابتْ حَيَّةٌ تَحْتَ الحِجَابِ(٤)

وقوله أيضاً(٥):

ألا ليـتـنـا يـا عَزَّ من غيرِ ريبةٍ   بَعيرانِ نَرْعـى فى الخَلاءِ ونَعْزُبُ

كِلانـا بـه عُرٌّ فمَن يَرَنا يقُلْ   على حُسْنِها جرْباءُ تُعْدِى وأجْرَبُ

نكونُ لذِى مَال كَثِير مغَفَّلٍ   فلا هُو يرْعَانا ولا نَحْنُ نُطلبُ(٦)

إذا مَا وردْنا مَنْهلاً صاحَ أهْلُه   علينَا فلا ننفَكُّ نُرمَى ونُضْربُ(٧)

وددْتُ و بيتِ الله أنَّكِ بَكْرَةٌ   هَجَانٌ وأنّى مُصْعَبٌ ثمّ نَهْرَب(٨)

فقالت له عزة : لقد أردْت بىَ الشَّقاء الطويلَ ، ومن المَنِيَةِ ما هُو أوطأُ من هذا الحال .

(١) شرح ديوانه ٢/٥٥

(٢) يعنى أن أمير المؤمنين تودد إليه واستعطفه حتى غزا كامنات صدره ،وهو كلام لا يليق بمقام الشاعر من أمير المؤمن

(٣) شرح ديوان كثير ٢/٦٤ ، والموشح ١٥٥ وروايته « فما برحت رُقاك »

(٤) الصناعتين ٧٥ وروايته « و يرقينى لك الراقون » ، و (حية تحت التراب) .

(٥) الديوان ٩٩ ، الموشح ١٥٥ ورواية البيت الأول (ألا ليتنا ياعز كنا لذى غنى بعيرين.. »

(٦) الديوان : « نكون بعيرى ذى غنى فيضيعنا »

(٧) الديوان : (فما ننفك)

(٨) أورد أبو هلال الأبيات الأربعة فى الصناعتين ٧٦ ونقل بعض ألفاظ ابن طباطبا

وكقول الآخر فى زُبيدةَ أمّ محمد الأمين: (١)

أزبيدَةَ ابنةَ جَعفرٍ طُوبى لسائلكِ المثابْ
تُعطِينَ من رِجليكِ ما تُعطِى الأكفُّ من الرِّغابْ

وكقول جرير بنِ عطية (٢):

هذا ابنُ عَمّى فى دِمشْقَ خليفةٌ لو شِئتُ ساقَكُم إلىَّ قَطِينَا

فقيل له: يا أبا حزرَة لم تصنع شيئاً، أعجزت أن تفخر بقومك حتى تعديت إلى ذكر الخلفاء ؟!.

وقال له عمرُ بنُ عبد العَزيز: جعلتنى شرطياً لك. أما لو قلت: لو شاءَ ساقكُم إلىَّ قَطِينا، لسُقْتُهمُ إليك عن آخِرهم (٣)

وكقوله (٤):

يا بشر حُقَّ لوجْهكَ التَّبشيرُ هَلاّ غَضِبْتَ لنا وأنتَ أميرُ
قد كان حقُّك أنْ تَقُولَ لبَارقٍ يا آلَ بارِقَ فيمَ سُبَّ جَريرُ (٥)

فقال بشر: أما وجَدَ ابنُ اللخناءِ رسولاً غيرى (٦).

(١) نقلها المرزُبَانى فى الموشح ص ١٥٥ ولم يعلق على هذين البيتين، وإن كان المفهوم أن الشاعر تجاوز الحد فى التعريف بزوج الخليفة هارون الرشيد وأم الخليفة المأمون.

(٢) الديوان ٥٧٧ من قصيدة يهجو بها الأخطل، ومطلعها:

أمسيتُ إذ رحل الشبابُ حزينا أبيت الليالى قبل ذاك فنينا

الموشح ١٢٦

(٣) القصة فى الشعر والشعراء لابن قتيبه ٤٤١، الموشح ١٢٠، ١٢٦

(٤) ديوان جرير ص ٣٠٠، الموشح ١٢٦، وهما من قصيدة يهجو بها سراقة البارقى، وروايته: «يا بشر حق لبشرك التبشيرُ» وهى هنا أعدل

(٥) الموشح: (قد كان قولك أن تقول لبارق) وبينه وبين الأول بيتان فى الديوان.

(٦) بشر هو بشر بن مروان عامل البصرة فى أيامه والقصيدة فى هجاء سراقة البارقى والخبر يروى فى مواضع، راجع الموشح ١٢٦.

وقال: وكقول الأخطل(١):

ألاَ سائِلْ الجحَّافَ هلْ هوثائرٌ   لقَتْلَى أُصيبَتْ منْ سُلَيمٍ وعَامِرِ

فقَدَّرَ أنه يُعَيِّرُ الجحَّافَ بهذا القول و يقصر به فيه ، فأجْرَاهُ الجحَّاف مجرى التَّحرِيض ، ففعَل بقومهِ ما دعَى الأخْطل إلى أنْ يقولَ:

لقد أوقعَ الجحَّافُ بالبِشْرِ وَقْعَةً   إلى اللهِ منها المُشْتَكى والمعَوَّلُ(٢)

فلو سكت عن هذا بعد ذلك القول الأوَّلِ لكان أَجْمَلَ به ، ثم لم يرض حتى أوعدَ وتهدَّدَ عند ذلِك الخليفةَ فقال(٣):

فإن لم تُغَيِّرْها قُرَيشٌ بمُلكِهَا   يكُنْ عن قُريشِ مستمازٌ ومرحَلُ(٤)

وكقوله أيضاً:

فلا هَدَى اللهُ قَيْساً من ضَلالَتِها   ولا لعاً لبني ذَكْوانَ إذ عَثَرُوا

ضجُّوا من الحرْبِ إذْ عضَّتْ غَوارِبَهم   وقيسُ عَيْلانَ من أخْلاقِها الضَّجَرُ(٥)

فقال له عبدُ الملك: لوكانَ كما زعمتَ لما قُلتَ:

لقد أوْقَعَ الجحَّافُ بالبِشْرِ وقعةً   إلى الله منها المشْتَكَى والمعوَّلُ

وكقولِ الفرزدق:

أَوجَدْتَ فينا غيرَ غدْرِ مُجاشِعٍ   وفَجرٍّ جِعثِنَ والزُّبَيْرَ مقَالاَ(٦)

(١) ديوان الأخطل ص ٢٨٦ ، وفى الصناعتين ٨٧ ، و يذكر مناسبة قول الأخطل قال: لما قتلت بنو تغلب عمير بن الحباب السلمى أنشد الأخطل عبد الملك هذا البيت ، والجحاف السلمى عنده ، فخرج الجحاف مغضبا حتى أغار على ماء لبنى تغلب يسمى « البشر» فقتل منهم ثلاثة وعشرين رجلاً .

(٢) الديوان ص ١٠

(٣) الخبر فى الصناعتين ٧٨ ، الموشح ١٣٧ والاغانى ١١ / ٥٧

(٤) الديوان والأغانى ١١ / ٥٧ وروايته (مستراد ومزحل)

قال ابو هلال : فقال له عبد الملك : الى أين يابن اللخناء ؟ فقال : الى النار ! فقال : والله لو غيرها قلت لضربت عنقك

(٥) ديوان الأخطل ٢٨٢ ووجه العيب فيه أنه هدد عبد الملك وهوملك الدنيا بتركه إياه والانصراف عنه إلى غيره . وهذه حماقة مجردة وغفلة لايطار غرابُها .

(٦) إلى ديوان الفرزدق طبع الصاوى لايؤخذ بالبيت و يعلق الناسخ بالهامش: انما قال ذلك لأن جريراً لا يتجاوز فى هجوه الفرزدق هذه الأمور الثلاثة ، وكأنه يقول إنها ليست بشىء يهجى به أحد ، وأنما تحمل فيها المجوّ.

فأقرَّ بأشياءَ لو سكتَ عنها كانَ أستر.

قال : وكقوله أيضاً(١):

وإنَّ تميماً كُلَّها غيرَ سعْدِها زعانفُ لولاَ عِزُّ سعدٍ لزلَّتِ

وقد وَضَع من قومِه وهَجاهُم بهذا القول .

قال: وكقول بشر(٢):

يَكُنْ لكَ فى قومي يدٌ يشكُرُونها وأيْدِى النَّدَى فى الصَّالحِينَ قُروضُ(٣)

وقول النابغة الجعدى:

وما رَابَها مِنْ رِيبةٍ غيَر أنَّها رأتْ لِمَّتي شَابتْ وشَابتْ لِداتِيا(٤)

وأى ريبةٍ أعظَم من أن رأته قد شاب !

وقول الأعشى(٥):

رأتْ رَجُلاً غائِرَ الوَافِدَيْنِ منتَشَلَ النَّحْضِ أعمَى ضَرِيراً

وقوله(٦):

وأنكرَتْني وما كانَ الذى نكِرَتْ من الحوَادِثِ إلاَّ الشَّيبَ والصَّلَعا

وقوله (٧)

صَدَّت هُرَيرَةُ عَنَّا ما تُكَلِّمُنَا جهلاً بأمِّ خُلَيْدٍ حَبْل من تَصِلُ

(١) البيت غير وارد بديوانه طبعة الصاوى قافية التاء

(٢) بشر هو بشر بن أبى خازم ، وقالها يخاطب أوس بن حارثة(الموشح ٥٩) و ينقل المرزبانى عن ابن طباطبا أن هذا البيت من الأبيات التى زادت قريحة قائلها على عقولهم . والبيت فى ديوانه ص ١٠٧ بتحقيق الدكتور عزت حسن وطبع وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٩٦٠

(٣) الموشح ص ٥٩ .

(٤) الصناعتين ٨٣ يذكر أبو هلال أن قائل البيت هو الأعشى (الصناعتين ٧٣) والبيت ليس فى ديوانه ، ويجعله من خطأ المعانى ، ثم يقول : وأى ريبة عند امرأة أعظم من الشيب . والبيت من شعر النابغة الجعدى كما أثبته ابن طباطبا . راجع ديوانه ص ١٧٢ نشر المكتب الاسلامى بدمشق ١٩٦٤

(٥) ديوان الأعشى ص ٦٩

(٦) الديوان ص ٧٢ ، الصناعتين ٨٣

(٧) الديوان ٤٢ وص ٩١ بتحقيق د. محمد حسين وطبع بيروت ١٩٧٠

أأنْ رأتْ رجُــلاً أعْشى أضرَّ بــهِ   رَيْبُ المنُونِ ودهرٌ خاتِلٌ خَبِل[1]

[وأيُّ شيء أبغضُ عند النّساءِ من العشاَ والضرِّ] .

وكقولِ الكُميْت :

إليـكَ يـا خيـرَ من تـضمَّنَتْ الأَرْ   ضُ وإنْ عـابَ قـوليَ العُـيَّـبُ

يعنى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وآله ، ولايَعِيبُ قولَه فى وصفِهِ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وآله عائِبٌ إلا كافِرٌ باللهِ مُشْرِك[2] .

وقول حسّان:[3]

أكْرِمْ بِقومٍ رسُولُ اللهِ شِيعَتُهُمْ   إذا تـفـرّقَتْ الأهْـواءُ والـشّيَعُ

كان يجب أن يقول: هم شيعةُ رَسُولِ الله لأنَّ فى هذا الكلام جفاءً

وقول جُنَادة بن نُجيّة[4]:

مـنِ حُبِّـها أتمنَّى أن يُلاقِيَنِى   من نَحْوِبلْدتِها نَاعٍ فينَعاها[5]

لـكـى أقُـولَ فِـراقٌ لا لقـاءَ لَـه   أو تَضْمَرَ النَّفسُ يأساً ثم تسلاّها

[فإذا تمنى المحبُّ لحبيبتِهِ الموتَ ، فما عسى أن يتمنَّى المبْغِضُ ؟..][6]

(١) الديوان « ودهر مفند خبتل » و يعلق أبو هلال على هذه الأبيات فيقول: وأى شيء أبغض عند النساء من العشا والضر يتبينة فى الرجل . وأعجب ما فى هذا الكلام أنه قال : « حبل من تصلي بعدى ، وأنا بهذه الصفة من العشا والضر والشيب ! فلا ترى كلاماً أحق كهذا

(٢) الموشح ١٩٨ . نقل المرزبانى كلام أبن طباطبا بالموشح ١٩٨

(٣) ديوانه ص ١٤٦ طبع دار صادر ببيروت

(٤) ينسب القالى البيت لنجية بن جنادة العذرى (الأمالى ٤٨/٢)

(٥) الأمالى ٤٨/٢ ، الصناعتين ٧٦ مع خلاف يسير فرواية البيت الثانى:

« لكى يكون » و « أو تضمر النفس » .

وذكر القالى البيتين (الأمالى ٢ / ٤٨) ونسبهما إلى نُجية بن جُنادة العذرى ورواية الثانى:

كـيـمـا أقـول فـراق لالـقـاء لـه   وتُضمرَ النفس يأساً ثم تسلاها

(٦) الزيادة من الصناعتين .

الشعر القاصر عن الغايات

ومن الأ بيـاتِ الـتى قَصَّر فيها أصحَابُها عن الغاياتِ التى أُجْرُوا إليهَا ولمْ يَسُدُّوا الخَللَ الواقِعَ فيها معنًى ولفظاً قولُ أمرىءِ القَيْس:

فـللـسَّـاقِ أُلْهوبٌ وللـسَّـوْطِ دِرَّةٌ وللـزَّجْـرِ مـنـهُ وقْعُ أَخْرجَ مُهذِبِ(١)

فقيل له: إن فرساً يحتَاجُ إلى أن يُستَعَانَ عليهِ بهذهِ الأشياء لغيرُ جَواد.

وقول المسيَّب بن عَلس(٢):

وقـد أَتـنـاسَـى الهـمَّ عـندَ احتضارهِ بِـنـاجٍ عـلـيـه الـصَّـيـعـرِيَّةُ مُكدَمِ(٣)

فـسـمـعـه طـرفـةُ فـقـال: اسْـتَـنْوَقَ الجـمَلُ.والصَّيعَرِيَّةُ من سِماتِ النُّوق (٤)

وقول الشماخ(٥):

فـنِـعْـمَ الـمْـعـتَـرَى رحَـلَـتْ إلـيْـهِ رَحـى حيزُومِها كرَحَى الطَّحِينِ(٦)

وإنما تُوصفُ النَّجائِبُ بِصِغَرِ الكَركَرةِ، ولُطْفِ الخُفّ:

وقوله:

وأعـدَدْتُ للـسَّـاقَينِ والرِّجلِ والنَّسا لجـامـاً وسـرْجـاً فـوقَ أعْـوَجَ مُخْتالِ

---

(١) ديوان إمرىء القيس، والصناعتين ٧٤، والموشح ٢٨، فللسوط ألهوب وللساق درة. الأخرج: ذكر النعام، الألهوب شدة الجرى الذى يبعث التراب كالدخان والدرة: شدة الدفع، مُهذب: سريع. وعلق أبو هلال على البيت بقوله: «فلو وصف أخس حمار وأضعفه مازاد على ذلك» و يذكر البيت فى مباراة شعرية بين إمرىء القيس وأحد الشعراء.

(٢) المسيب بن علس شاعر جاهلى ذكره ابن سلام ضمن الطبقة السابعة من الجاهلين (ص ١٣٢). و ينسبه أبو هلال للمتلمس، و يتبع المرزبانى ابن طباطبا فيذكره للمسيب.

(٣) الصناعتين ٨٥، ٨٦، والموشح ٧٦، ورواية المرزبانى «عند ادكاره» و يتبعه ببيتين

(٤) الخبر يروى فى مواضع. راجع الصناعتين ٨٥. والموشح (٧٦) قال المرزبانى: فلما سمعه طرفه وهو صبى يلعب مع الصبيان قال: استنوق الجمل. يريد أنه أخطأ فى وصف الجمل فوصفه بصفة من صفات الناقة

(٥) ديوان الشماخ ٩٢ وروايته (فنعم المرتجى) والموشح ٨٧، والعمدة ١٩١/٢.

(٦) قال ابن رشيق فى العمدة قال الأصمعى أخطأ الشماخ فى وصفه الناقة بقوله (رحى حيزومها كرحى الطحين) ظنه يصفها بالكبر وهو عيب لا محالة وأنما وصفها بالصلابة لاغير (العمدة ١٩١/٢).

وإنما يلجم الشدقان لا الساقان(١) . وقول الأعشى(٢):

وما مُزْبِدٌ من خَليجِ الفُرا   تِ جونٌ غَوارِبُه تلتَطِمْ

بأجودَ منهُ بمآعُونِه   إذا ما سماؤُهم لم تَغِمْ

يمدح ملكا و يذكر أنه إنما يجُودُ بالماعُون

وقوله :

شَتَّانَ ما يومي على كُورِها   و يومُ حيَّان أخِي جَابر(٣)

وكان حيّان أشهرَ وأعلى ذكراً من جابر فأضافه إليه اضطرارا .

وقول عدى بن زيد(٣):

ولقد عَدَّيتُ دوْسرةً   كعَلاءِ القَيْنِ مِذكَارَا

والمذكارُ التى تَلد الذكرانَ ، والمئناثُ عندَهُم أحمد(٤) ، وأراد مذكرة ، فلم يتفق له

وقال الشماخ :

بانتْ سُعادُ ففِي العينينِ ملمُولُ   وكانَ فى قِصَرٍ من عهْدِها طُولُ(٦)

كان ينبغى أن يقول: وكان فى طول من عَهدها قِصر، ولايقول: وصار فى قصر من عهدها [طول](٧)

(١) يريد أنه لم يعدل فى اللفظ ، فلم يوفق بين صدر البيت وعجزه ، فقابل الساقين باللجام وهو خطأ — ولعل الرجل مصحفة عن « الرَّبل » يعنى جانب الفخذ والأعوج : جوادٌ كريم

(٢) ديوان الأعشى ٣٩ .

(٣) ديوان الأعشى ٩ .

(٤) الموشح ٨٨ .

(٥) ينقل المرزبانى عبارة ابن طباطبا بتمامها ص ٨٨ .

(٦) ديوان الشماخ ٧٧ وروايته (بانت سعاد فدمع العين مملول) .

(٧) نقلها أبو هلال فى الصناعتين ٩٢ وزاد : « لأن العيش مع الأحبة يوصف بقصر المدة كما قال الآخر :

يطولُ اليوم لاألقاك فيه   وحولٌ نلتقى فيه قمير

وقول أبي دؤاد الإيادي[1]:

لـو أنّـهـا بَـذَلـتْ لـذِي سَـقَـمٍ مَـرِهِ الـفُـؤادِ مُشارِفِ القَبْضِ
أُنْسَ الحَديثِ لظلّ مُكْتَئِباً حَرّانَ مـن وجـدٍ بـهـا مَضِّ[2]

لو أنه قال : يذهبُ سَقَمُه ، لكان أبلغ لِنعْتها .

وقول أبي ذؤيب[3]

ولايُهْنِيءُ الواشِينَ أن قدْ هجرْتُها وأظـلـمَ دُونـي ليـلُـهـا ونـهـارُهـا

كان ينبغي أن يقول : وأظلم دونها ليلى ونهاري[4] .

وقوله :

عصَانِي إليَها القَلْبُ إنّي لأمرِهِ سَمِيعٌ فما أدْرِي أَرُشْدٌ طِلابهُ[5]

كان ينبغي أن يقول أم غيّ ، فنقص العبارة .

وقول ساعدة بن جُؤَيّة :

فلو نَبّأتْكَ الأرضُ أو لو سَمِعْتَهُ لأيقنت أنّي كِدتُ بعدَكَ أكمدُ[6]

لو قال : انى بعدك كمدٌ ، لكان أبلغ من قوله : كدت أُكمد[7] .

وقول إبن أحمر :

غادرني سهمُه أعْشَى وغادرهُ سيفُ ابن أحمَرَ يشكُو الرّأسَ والكبِدا[8]

(١) أبو دؤاد شاعر من فحول الجاهلية أختلف فى أسمه ، يذكر ابن رشيق أن امرأ القيس كان يتوكأ عليه و يروى شعره (العمدة ١/٦١) وراجع ترجمته و بعض أخباره فى (الأغانى ١٥/٩١ – ٩٦ والشعر والشعراء ١٨٩ ، الخزانة ٤/١٩٠ وشواهد المغنى ١٢٤ ، شرح الشواهد للعينى ٢/٣٩١) . ومشارف القبض : مشرف على الموت .

(٢) الصناعتين ٩٣ . و يقول : وكان استوله المعنى أن يقول لبرأ من سقمه كما قال الأعشى :

لو اسندت ميتا إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر

(٣) ديوان أبي ذؤيب ٢١ ، الصناعتين ٩٣ ، والموشح ٨٨ .

(٤) قال أبو هلال (الصناعتين ٩٣) : (وهذا من المقلوب ، كان ينبغى أن يقول : وأظلم دونها ليلى ونهارى) .

(٥) ديوان أبى ذؤيب ٧١ والموشح ٨٨ .

(٦) أشعار الهذليين ١/٢٣٨ ، الصناعتين ٩٣ .

(٧) الصناعتين : (إنى بعدك أكمد) .

(٨) الموشح ٨٨ .

أراد : غادرني سَهمُه أعورَ فلم يُمكِنْه ، فقال أعشَى .

وقول طرفة :

كأنَّ جنَاحَيْ مَضْرَحِيٍّ تكنَّفا حفَافَيْه شُكَّا فى العَسيبِ بمِسْرَدِ[1]

وإنما تُوصَفُ النَّجائبُ بدقَّة[2] شَعرِ الذَّنَبِ وخِفَّته ، وجَعله هذا كثيفاً طويلاً عريضاً[3].

وقول أمرىء القيس :

وأركَبُ فى الرَّوْعِ خيفانةً كَسَا وجْهَها سَعفٌ مُنْتَشِرْ[4]

شبه ناصيتَها بسَعفِ النَّخْلِ لِطُولها ، وإذا غَطَّى الشَّعْرُ العَيْنَ لم يكن الفَرسُ كريماً :

وقول الحطيئة :[5]

ومَنَ يطْلُبْ مسَاعِيَ آلِ لأيٍ تُصعِّدْهُ الأُمورُ إلى عُلاَها[6]

كان ينبغى أن يقول : من طلب مساعيَهم عجزَ عنها وقَصَّرعن بُلُوغها فأما إذا تساوى بهم غيرُهم فأىُّ فضلٍ لهُم . وقوله :

صُفُوفٌ ومَا ذِىُّ الحديدِ عليهِمُ وبَيْضٌ كأوْلادِ النَّعامِ كَثيفُ[7]

---

(١) الصناعتين ٩٣ . والمعلقات العشر ص ٦٥ و يصف ذنب ناقته

(٢) لعلها مصفحة عن قلة .

(٣) قال أبو هلال (الصناعتين ٩٣) : وإنما توصف النجائب بخفة الذنب .

(٤) شرح ديوان امرىء القيس ص ١١ .

(٥) ديوانه ص ٦٥

(٦) الصناعتين ٩٤ ، الموشح ٨٤ ، ينقل المرزبانى نص العبارة ٨٤ ، و ينقلها ابو هلال بتصرف وزيادة . قال أبو هلال : « فإن قيل أنه أراد أنه يلقى صعوبة ، كما يلقى الصاعد من أسفل إلى علو فالعيب أيضا لازم له ، لأنه لم يعبر تعبيرا بينا »

(٧) الموشح ٨٦ . راجع الديوان ص ٨٤ وروايته « فصفُّوا وماذىُّ الحديد عليهم » وماذىُّ الحديد خالصة ، وأراد الدروع .

شبَّه البيْض بأولادِ النعام ، أراد بيضَ النعام

وقول لبيد العامرى :

ولـقـد أغُـوِصُ بـالخـصْـمِ وقَـدْ   أملأُ الجفْـنةَ من شَحْـمِ القُلَلْ(١)

أراد السَّنام ، ولا يُسمَّى السَّنام شحما(٢).

وقوله :

لـو يـقـومُ الـفِـيـلُ أو فـيَّـالُـهُ   زَلَّ عـن مـثـلِ مَقـامِـى وزَحَـلْ(٣)

وليس للفيال مثلُ أَيْدِ الفِيل فيذكره(٤).

وكقول النابغة الذبيانى :

ماضِى الجَنانِ أخِى صَبْرٍ إذا نَزلَتْ   حَرْبٌ يُـوائِلُ مـنـهـا كلُّ تِنبْالِ(٥)

التِّنْبالُ القَصيرُ من الرجال ، فإن كانَ كذلك فكيفَ صار القَصِير أولى بِطلَبِ الموئِل من الطويل ، وإن جَعل التِّنبالَ الجبَان فهو أعيب لأنَّ الجبانَ خائفٌ وجِلٌ ، اشتدَّتْ به الحربُ أم سكَنتْ ، وإن كان عن مثل قول الهمذانى :

يَـكُـرُّ على المـصَـافِ إذا تَـوارَى   مـن الأهـوالِ شُـجْـعـانُ الرِّجالِ(٦)

(١) الصناعتين ٩٥ ، الموشح ٨٩ ، واللسان مادة عوص . وديوانه ص ١٤٠ طبع بيروت

(٢) ينقل أبو هلال العبارة بنصها (الصناعتين ٩٥) .

(٣) الصناعتين ٩٥

(٤) أبو هلال :يقول : « ليس للفيال الشدة والقوة ما يكون مثلا » .

(٥) الصناعتين ٩٤ وديوانه ١١٤

(٦) الصناعتين ٩٤ .

وقول طرفة بن العبد :

مِـن الـزَّمُـراتِ أُسْبِلَ قادِمـاها ... وضَـرَّتُـهـا مـركَّـنـةٌ دَرُورُ[1]

لا يكون القادمان إلا لما له آخران ، وتلك الناقة التي لها أربعة أخلاف . ومثله قولُ امرىءِ القيس :[2]

إذا مُـشَّـتْ قـوادِمُـهـا أرنَّـتْ ... كـأنَّ الحـيَّ بـيـنَـهـمُ نَـعِـيُّ

وقول المسَيَّبُ بنُ عَلَس[3]:

فـتـسـلَّ حـاجـتـها إذا هي أعْرضتْ ... بـخـمـيـصـةٍ سُرُحِ اليدَيْنِ وساعِ[4]

وكـأن قـنـطـرةً بموضِعِ كُورها ... مَـلْـسـاءَ بين غَوامِضِ الأَنْسَاعِ

وإذا أطفْـتَ بِـهـا أطفْـتَ بِكَلْكَلٍ ... نَبْضِ الفرائِصِ مُجفَرِ الأَضْلاَعِ[5]

فكيف تكونُ خَميصةً وقد شبَّهها بالقَنْطَرة والقَنطرةُ لا تكون إلا عَظِيمةً ، وقال هي مُجفَرةُ الأضْلاعِ ، فكل هذا ينقُض ما ذكره من الخَمَص .

قال : وقول الحطيئة[6]:

حَـرِجٌ يُـلاوذُ بـالـكِـنَّـاسِ كـأنَّـهُ ... مُـتَـطـوِّفٌ حـتـى الـصَّـبـاح يـدورُ

حـتـى إذا مـا الـصُّـبـحُ شقَّ عمودَهُ ... وعـلاهُ أسْـطـعُ لا يُـردُّ مـنـيرُ[7]

(١) العقد الثمين ٦٤ وشرح ديوان طرفة ص ٦ ، والزمرات : قليلات الصوف .

(٢) ديوانه ص ٢١٨ وروايته « إذا مُشَّتْ حوالبُها » و « كأن الحيَّ صبحهم نعيُّ »

(٣) المسيب بن علس : شاعر جاهلي جعله ابن سلام ضمن الطبقة الرابعة من الجاهلية (١٣٢) .

(٤) الأبيات في الموشح ٩٠ ، والصناعتين ٩٤ ، وشرح المفضليات ٩٤ ، والأمالي ١٣٠/٣ — ١٣١ . خميصة : منطوية البطن ، وساع : واسعة في سيرها .

(٥) نبض : شديد الحركة ، الفرائص : جمع فريصة . وهي لحمة في مجمع الكتف مجفر: البئر العظيمة . أراد عظيمة الجوف .

(٦) ديوانه ص ٢٩ طبع المؤسسة العربية ببيروت ، ورواية البيت الأخير « .. خبثُ الحديد أطارهن الكيرُ»

(٧) راجع الصناعتين ٩٥ . الموشح ٩٠ . قال أبو هلال : زعم أنه يطوف حتى الصباح فمن أين صار الحصى بصفحتيه .

أوْفى على عـقـد الـكَـثـيـبِ كـأنَّـهُ وسـط الـقـداحِ مُـعَـقَّـبٌ مـشـهُـورُ

وحـصَـى الـكَـثـيـبِ بصفحَتَيْهِ كأنَّه صـداُ الحـديـدِ أطـارَهُـنَّ الـكِـيـرُ(١)

زعـم أنـه لم يزل يُطوِّفُ حتى أصْبَح وأشرَفَ على الكَثيب فَمِنْ أينَ صَارَ الحصى بَصفْحتيه .

(١) الموشح : (خبث الحديد..)

جرجٌ : لاجيء ٢ يلاوذُ : يحتمي ، الكناسُ : بيت الظبي ، متطوف : طائف ، أسطع : منتشر ـ العقد : الرمل المنعقد ـ العقَّب : القعب أو القمح .

الشِّعرُ الرَّدئُ النَّسج

ومن الأ بيات المُستكرهَةِ الأَلْفاظ ، القَلقةِ القَوافى ، الرديئةِ النَّسج فليست تَسْلمُ من عيبٍ يلحقُها فى حشوِها أو قوافِيها أو ألفاظِهَا أو معَانيها قول أبى العِيال الهُذلى :

ذكرتُ أخِى فعاوَدنِى صُداعُ الرَّأسِ والوَصَبُ(١)

فذكرُ الرَّأسِ مع الصُّداعِ فضلٌ .

وقولُ أوسِ بنِ حجر :

وهُمْ لمقلِّ المالِ أوْلادُ عِلَّةِ وإنْ كانَ محضاً فى العُمومَةِ مُخْوَلاً(٢)

فقوله المال مع مقل فضل .

وكقول عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الخزرجى :

قيدت وقد لان هادِيهَا وحارِكهُا والقلبُ منها مطارُ القلبِ محذورُ(٣)

فما سمعنا بأعجب من قوله : « فالقلبُ منها مطارُ القلبِ(٤)

وكقول الآخر(٥) .

ألا حَبَّذا أرْضٌ بها هِنْدُ وهندٌ أتَى من دُونِها النأىُ والبعدُ(٦)

فقوله : « البُعدُ » مع ذكر النأى فضلٌ .

(١) أشعار الهذليين ٢/٢٤٢ . والصناعتين ٣٥ . والعمدة ٢/٥٨ . وجعله أبو هلال من الفاضل لفظة عن معناه .

(٢) الصناعتين ٣٥ : ١٠٨ .

(٣) الموشح ٨٩٠ والصناعتين ١٠٨ . وهذا البيت جعله أبو هلال فى الصناعتين من باب عيوب اللفظ .

(٤) الزيادة من الصناعتين .

(٥) نسبه المرزبانى للحطيئة ٩١ .

(٦) الموشح ٩١ . وقال أبو هلال : « فقوله النأى مع البعد فضل ، وإن كان قد جاء فى كلامهم من هذا الجنس كثير ، والبيت نفسه بارد » .

وكقولِ الأعشى :

فرميت غَفْلةَ عينهِ عن شاتِهِ ... فأصَبْتُ حبَّةَ قلْبِها وطُحَالَها [1]

وقوله :[2]

استأثَرَ اللهُ بالوَفَاءِ ... وبالعَدْلِ وأوْلَى الملامَةَ الرَّجُلاَ

وقول الحطيئة :

قَرَوْا جارَكَ العَيْمانَ لمَّا جفَوْتَه ... وقلَّص عن بَرْدِ الشَّرابِ مشافِرُه[3]

أراد شفتيه .

وقولِ المزرِّد أخي الشَّماخْ[4]:

فما بَرِح الولدان حتَّى رأيتَه ... على البَكْرِ يمْريه بسَاقٍ وحَافِرِ[5]

يريدُ بساقٍ وقَدَم .

وقول حسان :[6]

وتكلفني اليومَ الطَّويلَ وقدْ ... صَرَّت جنادِبُه من الظُّهْرِ

أراد بالظُّهرِ حَرَّ الظَّهيرة .

وقول المتلمس[7]:

إنْ تَسلُكِي سُبُلَ المؤمَاةِ مُنْجِدةً ... ما عاشَ عمرٌو، وماعُمِّرتَ قابُوسُ[8]

(١) ديوان الأعشى القصيدة رقم ٣ البيت ٧ والعمدة ٢/٥٧ ورواية الموشح والعمدة (فرميت غفلة قلبه) . و يرى النقاد أن طحال هنا زيادة قبيحة .

(٢) الديوان القصيدة رقم ٣٥ البيت الثانى .

(٣) الموشح ٩١ . الصناعتين ٣٠١ . جعله أبو هلال شاهداً على رديء الاستعارة وديوانه ص ١٢

(٤) فى الموشح لآخر. كذا فى الصناعتين ٣٠١ . وفى اللسان لجبيها الاسدى .

(٥) الصناعتين ٣٠١ روايته « فما رقد الولدان » .

(٦) ديوانه ص ٩٧ طبع بيروت .دار صادر والبيت من قصيدة مطلعها « إن النضيرة ربة الخدر» .

(٧) المتلمس: جرير بن عبد المسيح بن عبد الله من شعراء الجاهلية اعتبره ابن سلام فى الطبقة الثانية من الفحول (ص ١٣)

(٨) الصناعتين ١٠٨ وديوانه ص ٩٣ بتحقيق الصيرفى وطبع مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٦٨ ــ وروايته « ...سبل البوباة »

أراد ما عاش عمروٌ وما عُمِّر قابُوس .

وقوله :

مـن القـاصِـرَاتِ سـجوفَ الحِجَا لِ لـم تـر شـمـسـاً ولا زَمْـهـريرًا [1]

أراد لم تر شمساً ولا قمراً ، ولم يصبها حرٌّ ولاَ برْدٌ .

وقول علقمة بن عبدة :[2]

كـأنَّـهـمُ صـابَـتْ عـليـهـم سحابةٌ صَـواعقُـهـا لـطيـرِهـنَّ دَبيـبُ[3]

وقوله :

يَـحـمِـلْـن أَتـرُجَّـةً نَـضْـح العَبيرِ بها كـأنَّ تَـطْـيابَها فى الأَنفِ مشمُومُ[4]

وقول عامر بن الطفيل :

تنـاوَلْـتُـه فـاحـتَـلَّ سـيـفـى ذُبَـابُـهُ شـرا سِـيـفَه العُلْيَا وجَذَّ المَعَاصِما[5]

وقولُ خِفَافِ بن نَدَبة[6] :

إن تُـعـرِضى وتَـضـنّـى بـالنَّوالِ لنَا فـواصِـلـنَّ إذا واصَـلْـتِ أمْـثـالى[7]

وقول علقمة بن عبدة[8]

طحـابِـكَ قـلبٌ فى الحِسانِ طرُوبُ بُـعَيْدَ الشَّبابِ عصرَ حَانَ مشِيبُ[9]

(١) الصناعتين ١٠٩ وديوانه المذكور ليس به هذا البيت .

(٢) علقمة بن عبده بن ناشرة . وضعه ابن سلام فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية (ص ١١٥) . مات نحو سنة ٧٠ ق . هـ . والبيت فى ديوانه القصيدة رقم ٣٢ .

(٣) شرح المفضليات ص ٧٧٠ والبيت مضطربٌ متكلف النسج .

(٤) قال أبو هلال : والتطياب ها هنا على غاية السماجة ، والطيب مشموم لا محالة ؛ فقوله « كأنه مشموم » وقوله فى الأنف أهجن . لأن الشم لا يكون بالعين : (الصناعتين ١٢٩) .

(٥) الموشح ٩١ ، الصناعتين ١٠٩ . شرا سيفه : جمع شرسوف . وهو غضروف معلق بكل ضلع . قال أبو هلال : وهذا البيت على غاية التكلف . وفيه ذكر ذبابهُ بعد السيف تكلف فى الصياغة قبيح ، والأصل أن يقول : فاحتل ذبابُ سيفى أى حده وسنانُه شرا سيفه .

(٦) خِفافُ بنُ نَدبة : أبو خراشة خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمى من بنى سليم من مضر . شاعر فارس من أغربة العرب . عاش فى الجاهلية زمناً وأسلم ومات أيام عمر (سنة ٢٠ هـ ــ ٦٤٠ م)

(٧) الصناعتين ١٠٩ وروايته « تواصلين » . قال أبو هلال (الصناعتين ١٠٩) : وكان ينبغى أن يقول : « إن تضنى بالنوال علينا » على أن البيت كله مضطرب النسج .

(٨) الصناعتين ١٠٩ والموشح ٩١

(٩) المفضليات ص ٧٧٠ أحد أبيات المفضلية رقم ١١٩ .

قواف الشعر المحكم النسج

ومن القوافي الواقعةِ فى مواضِعِها ، المتمكّنةِ من مواقِعها قولُ أمرىءِ القَيْس فى قصيدَتِه التى يقولُ فيها :

وقد أغْتدى قبل العُطاسِ بهيكلٍ[1] شديدِ مَشكِّ الجَنْب فَعْمِ المُنَطَّقِ

قولُه :

بعَثْنا ربيئاً قبلَ ذلك مُخْملاً كذِئبِ الغَضا يمْشى الضَّراء و يتّقى[2]

فوقعت « يتَّقِى » موقعاً حسناً .

وكذلك قول النابغة :

تجلو بقادِمَتَىْ حمامَةِ أيْكَةٍ بَرَداً أُسِفَّ لَثاتُهُ بالإثْمِدِ
كالأُقْحُوانِ غَداةَ غِبِّ سمائِهِ جفَّتْ أعالِيهِ وأسفلُهُ نَدِى
زعَم الهُمامُ بأنَّ فاها بارِدٌ عذْبٌ إذا ما ذُقْتَهُ قُلتَ ازْدَدِ
زعَمَ الهمامُ ولم أذُقْهُ أنّه يُرْوَى بريِّقها من العَطَشِ الصَّدِى[3]

فقوله « وأسفله ندى » و « من العَطَشِ الصَّدِى » وقعتَا موقعين عجيبيْن .

وقول زهير :

وأعلمُ ما فى اليوم والأمسِ قَبْلَهَ ولكنّني عن عِلْم ما فِى غدٍ عَمِ[4]

---

(١) العطاس : أنبلاج الفجر ، فعم المنطق : ممتلىء مكان النطاق ديوانه ــ (طبع السندوبى ــ ص ١٣٧)

(٢) ديوانه ص ١٣٧ والضراء شجر ومشى الضراء يختفى بالشجر .

(٣) ديوان النابغة ٨٧ ، والبيتان الأولان من التشبيهات الغزلى وصف الثغر .

(٤) شرح الديوان ٩٦ .

فقوله : « عَمِ » واقعةٌ موقعاً حسناً .

وكقوله :

صَحَا القلبُ عن سَلْمى فقد كانَ لايصْحُو واقْفرَ من سَلمى التَّعانيقُ فالثِّقلُ(١)

وقد كنتُ من سَلْمى سنينا ثمانياً على صِيَرِ أمرٍ ما يَمُرُّ وما يحلوُ(٢)

فقوله : « يَحْلوُ » حسنة الموقع .

وكقوله فى قصيدته التى يقول فيها :

لِذِى الحِلْمِ من ذُبيَانَ عِنْدى موَدّةٌ وحفظٌ ومَن يُلْحِمْ إلى الشَّرِّ أنْسُجِ(٣)

وقوله :

مخوفٍ كأنَّ الطَّيرَ فى مَنزلاتِه علي جيَفِ الحسْرَى مجَالسُ تَنْتَجى

فقوله : « تَنْتَجِى » حسنةُ الموقِعِ جدًّا .

وكقوله(٥) :

ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أنتَ إذا دُعِيَتْ نزَالِ وَلُجَّ فى الذُّعْرِ

وإنَّك تفْرِى ما خَلقْتَ وبَعْضُ القَـ ـومِ يخْلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِى

ولأنتَ أشجَعُ حين يَتَّجِهُ الأَبطَـ ـالُ من لَيْثٍ أبِى أجْرِى(٦)

فقوله : ثم لا يَفْرِى و « أَبِى أجْرِى » حسَنانِ فى موقِعهما .

(١) رواية الديوان ، « وقد كان لايسلو » ، التعانيق فالثقل : موضعان .

(٢) شرح الديوان ص ٣٢٣ ، الصناعتين ٤٤٧ ، على صير أمر . على طرف أمر .

(٣) رواية الديوان « لذى الفضل » ص ٢٢٣ .

(٤) شرح الديوان ص ٢٢٣ .

(٥) شرح الديوان لثعلب ٨٩ ، وشرح الأعلم ٦١ ، العقد الثمين ٨١ العمدة ١/٩٣/ ورواية الديوان « فلأنت تفرى »

(٦) أجرى : جمع جرو ، ولد الأسد . ورواية الديوان تتجه ومعناها يواجه بعضهم بعضا .

وكقول بشر(١):

فمـا صـدعٌ بـجُـبَّـةَ أو بِشرْجٍ　　على زُلُـقٍ زَوَالـقَ ذِى كِـهـافِ

تَـزِلُّ اللَّـقـوَةُ الـشَّـغْـواءُ عنـهـا　　مخـالبُـهـا كـأطـرافِ الأشَـافِـى(٢)

بـأحـرزَ مـوئِـلاً مـن جـارِ أوسٍ　　إذا مـا ضِـيـمَ جـيـرَانُ الـضِّـعـافِ

فقوله : « كأطرافِ الأشافِى » حسنة الموقع .

وكقول الأعشى(٢):

وإذا تَـكُـونُ كـتـيـبـةٌ ملـمـومـةٌ　　خَرساءُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِصَالَها

كُنْتَ المقَدَّمَ غَيْرَ لابِسِ جُنَّةٍ　　بالسَّيفِ تَضْرِبُ مُعلَماً أبْطالَها

وعـلـمـتَ أن الـنَّـفْـسَ تُلقَى حتفَها　　مـا كـانَ خـالـقُـها المليكُ قضَى لها

فقوله : « قضى لها » عجيبة الموقع .

وكقوله :

ومـثـلُ الـذى تُـولـونَـنـى فى بُيوتِكُمْ　　يُـروِّى سِـنَـانـاً كالقُدامىَ وثعْلبَا(٣)

ومـا عِـنـدَهُ رِزْقِى عـلـمـتُ وَلآلَـه　　علىَّ مِن الرِّيح الجَنُوبِ ولا الصَّبا(٤)

---

(١) ديوان بشر بن أبى خازم الأسدى ص ١٤٨ بتحقيق الدكتور عزت حسن طبع دمشق ١٩٦٠ ورواية الأول « إبجبه أو بشوط »

واللقوة : الناقة ، « والشغواء » العقاب . والأشافى المثاقب يخرز بها الجلد .

(٢) الديوان ط أوربا ص ٢٧ .

ورواية البيت الأول :

« وإذا تجىء كتيبة ملمومة　　خرساء تخشى من يذود نهالها »

(٣) الديوان ص ٨٩ وروايته « يقنى سنانا » .

(٤) رواية الديوان : (ص ٩٠)

وما عنده مجد قليد وما له　　من الريح فضل لا الجنوب ولا الصبا

البيت رقم ٢٤ من القصيدة

وكذلك قوله(١):

وكأسٍ شَربتُ على لذَّة ... وأُخرَى تداوَيْتُ مِنها بِهَا

لكىْ يعلَمَ النَّاسُ أنىِّ امرؤٌ ... أتيْتُ الفُتوَّةَ مِنْ بابِها

فقوله : « منها بها » لطيفةٌ حسنةُ الموقع جداً

وكقولِ أبى كَبِيرِ الهُذَلِىّ :

ولقد رَبأْتُ إلى الصِّحَابِ تواكَلُوا ... جَمْرَ الظَّهيرَةِ فى اليفَاعِ الأطْوَلِ(٢)

فى رَأسِ مُشْرِفَةِ القَذَالِ كأنها ... جمرٌ بمشهكةٍ تُشَبُّ لمصْطَلِى(٣)

فقوله : « لمصْطَلِى » متمكنةٌ فى موضِعها .

وكقولِ أبى خِراش :

ولم أدْرِ من أَلْقَىَ عليهِ ردَاءَهُ ... سِوى أنَّه قد سُلَّ عن ماجِدٍ مَحْضِ(٤)

بلَى إنها تعفُو الكلُومُ وإنَّما ... تُوكَّلُ بالأدْنى وإنْ جَلَّ ما يمْضِى

فقوله « يمضى » حَسَنةٌ جدًّا .

وكقولِ عُروةَ بنِ أُذَينة :(٥)

وكلُّ هوىً دَان عنِّى زَمانًا ... لهُ من بعدِ ميْعَتِه تَجلِّى

(١) الديوان ١٧٣ ، والصناعتين ٤٤٥ . من شواهد أبى هلال فى باب حسن المقطع وجودة الفاصلة . وهو البيت رقم ١٧ من القصيدة التى مطلعها :

ألم تنه نفسك عما بها ... بلى عادها بعض أطرابها

(٢) ديوان الهذليين ٩٦/٢ ورواية البيت الأول : (حم الظهيرة) و لامية الهذلى ط باريس ص ٧١ ، والصناعتين ٤٤٨ .

(٣) روايته فى اللامية وديوان الهذليين :

« فى رأس مشرفة القذال كأنما ... أطر السحاب بها بياض المجدل »

(٤) ديوان الهذليين ١٥٨/٢ وروايته : « خلا أنه قد سل عن ما جد محض » والأمالى ٢٧١/١ . والأغانى ٦٣/٢١ والخزانة الشاهد رقم ٤٠٦ .

(٥) هو عروة بن أذينة الشاعر الأموى الغزل واسمه يحيى بن مالك عاش بالمدينة زمن هشام بن عبد الملك ، وكان فقيها محدثا ، روى له أبو تمام أبياتا فى النسيب بمجموع « الحماسة » .

كـأنّـى لـم أكُـنْ مـنْ بـعـدِ ألْـفٍ عـذَلْـتُ الـنفسَ قبلُ عَلَى هوًى لِى
فـإن أُقصرْ فـقـدْ أُجْـرِيـتُ عـضـراً وبـلاّنـى الـهـوى فـيـمنْ يُبَلّى

فقوله « هوًى لِى » لطيفةُ الموقع .

وكقول ذِى الرُّمة فى قصيدته :

أراحَ فـريـقُ جِـيـرَتِكَ الـجِـمَـالا كـأنّـهـمُ يُـريـدُونَ احْـتِـمـالاَ(١)
فـكِـدْتُ أمـوتُ مـن حـزنٍ عَـلـيهم ولـمْ أرَ نـادِىَ الأظْـعَـانِ بـالَـى

فقوله : « بالَى » عجيبةُ الموقع .

وكقول الفرزدق :

فـان تَـهْـجُ آلَ الـزِّبْـرِقَـانِ فـإنّـمـا هجَوْتَ الطّوالَ الشُّمّ من هضْبِ يذْبُلِ
وقـد يَـنْـبَحُ الـكـلـبُ النُّجُومَ ودُونَهُ فـراسِـخُ تُـنْـضِـى الـطَّـرْفَ للمُتأمِّـلِ
أرَى اللَّـيـلَ يـجْـلُوه النّهارُ ولا أرَى عِـظَـامَ المخازِى عن عَطيّةَ تنجَـلى(٢)

فقوله : « تنجلَى » متمِكّنةٌ فى موضِعها .

وكقول الحطَيئة :(٣)

من يـفْـعـلْ الخـيـرَ لا يَعْدَمْ جوازَيهُ لاَ يـذْهـب العُرفُ بينَ اللهِ والنّاسِ
دَعْ المـكـارِمَ لا تَرْحَل لِبُـغْـيَـتِـهـا واقـعُـدْ فـإنّك أنتَ الطّاعِمُ الكَاسِى

فقوله : « الكَاسِى » عجيبةُ الموقع .

وكقوله :

إذا نـزلَ الـشّـتـاءُ بـأرضِ قـوْمٍ تجـنّـبَ جـارَ بيْـتـهـمُ الـشّـتـاءُ(٤)

(١) الصناعتين ٤٤٨ . وراجع ديوانه ص ٢٩ / ٤٣٠ طبع كيمبردج ١٩١٩
(٢) ديوان الفرزدق ٢ / ٧٧٤ بتحقيق الصاوى . طبع مصر
(٣) ديوانه ص ٢٨٤ طبع القاهرة ١٩٥٨
(٤) الصناعتين ٤٤٨ وديوانه ص ١٠٢

هُـمُ الـقَـوْمُ الَّـذيـنَ إذا أَلَمَّـتْ مِـنَ الأيَّـامِ مُـظْـلِـمَـةٌ أضَاءوُا

فقوله : « أضَاءُوا » حسنةُ الموقع .

فـهـذه أمـثـلـةٌ قد احتذى عليها المحدثُون من الشعراء وسلكوا منهاج من تـقـدّمـهـم فـيها وأبدَعُوا فى أشْياءَ مِنها ستعثُر بها فى أشعَارِهم كقول ابن أبى عُيَيْنةَ المهَلَّبِىّ: (١)

دُنْـيـا دعَـوتُـكِ مُـسْـمِـعـاً فـأجـيـبى وبمـا اصـطَـفَـيْـتُـكِ للهَوَى فأثِيبِى (٢)

دُومِـى أدُمْ لـكِ بـالـوَفاءِ على الصَّفَا إنِّـى بـعـهْـدِك واثِـقٌ فـثِـقـى بىِ (٣)

فـقـولـه : « فـثِـقِـى بـى » لطيفةٌ جِدًّا يُستدَلُّ بها على حِذْقِ قائلها بنَسْجِ الشِّعر .

(١) وهو عبد الله بن محمد بن أبى عيينه ، وكان منقطعاً إلى آل المهلب (الكامل ٢/٢٣)

(٢) الأغانى ١٨/٢٣ والصناعتين ٤٤٦ وروايته « دنيا دعوتك مسرعا » فى الأول

(٣) رواية الأغانى « دومى أدم لك بالصفاء على النوى » .

(التخلص)

ومن الأبيات التى تخلَّصَ بها قائلوها إلى المَعاني التى أرادُوها من مَدِح أو هجاء أو افتخار أو غير ذلكَ ، ولطُفوا فى صِلةِ ما بعَدها بَها فصارَتْ غيرَ مُنقَطِعةٍ عنها ، ما أبدَعهُ المحدَثُون من الشعُّراء دُونَ من تقدَّمهم ، لأنَّ مذْهبَ الأوائِلِ فى ذلكَ واحدٌ ، وهو قولُهم عندَ وصْفِ الفَيافي وقَطْعِها بِسَيْرِ النُّوقِ ، وحكاية ما عانُوا فى أسفَارِهم : إنّا تجشَّمْنا ذلك إلى فلانٍ . يعنُونَ الممدُوحَ ، كقول الأعشى :

إلى هُوذَةَ الوَهّابِ أُرْجِي مَطِيَّتي ... أُرَجِّي عطاءً صَالحاً مِنْ نوالِكَا(١)

وكقوله :

أَنْضَيْتُها بعدَ ما طالَ الهبابُ بها ... نؤمُّ هوْذَةَ لا نِكساً ولا وَرَعا(٢)

ياهَوْذَ إنَّكَ من قَوْمٍ أُولي حَسبٍ ... لا يفْشَلُونَ إذا ما آنَسُوا فَزَعا(٣)

وكقوله :

فذلكَ شَبَّهتُه نَاقَتِي ... وما إنْ لِغيْرِكَ إعمَالُها

فمِنْكَ تَؤُوبُ إذَا أدْبَرَتْ ... وقصْدَكَ يُعطَفُ إقبالُها(٤)

وكقوله :

فعَلَى مِثْلِها أزُورُ بنى قيسٍ ... إذَا شَطَّ بالحبيب الفِرَاق (٥)

وكقوله :

إليكَ ابنَ جفْنةَ من شُقَّةٍ ... دأبْتُ السُّرَى وحسَرْتُ القَلُوصَا

(١) ديوان الأعشى ٣٥ .

(٢) الديوان القصيدة ٣١ .

(٣) الديوان ط محمد حسين ص ٩٨ وروايته :

إلى هَوذَة الوهاب أهديْتُ مِدحتى ... أرجّى نوالا فاضلا من عطائكا

(٤) الهباب : النشاط .

(٥) ديوان الأعشى ص ١٠٧ والبيت الثانى روايته : « من قوم ذوى حسب »

(٦) ديوان الأعشى ١٦٥ وبين الأول والثانى بيتان .

تَشَكَّى إِلىَّ فَلمْ أُشْكِهَا   مناسمَ تَدْمَى وَخُفًّا رهيصَا
يـرَاكَ الأعـادِى على رغْمِهم   تُحُلُّ عليْهِم محلًّا عَوِيصَا[1]

وكقوله :

وإلى ابْنِ سَلْمَى حَارِثٍ قطعَتْ   عُرْضَ السَّخَال مَطِيَّتي تَضعُ
وَرِثَ السِّيَادَةَ عن أوائِلهِ   فأتمَّ أحْسَن ما هُمُ صَنَعُوا

وكقوله :

إلى المرْءِ قَيسٍ أُطيلُ السُّرى   وآخذُ من كلِّ حيٍّ عُصَمْ[2]

أو يستأنِفُ الكَلامَ بعدَ انقضاءِ التشبيب ووصفِ الفيافى والنُّوق وغيرها ، فيقْطَعُ عما قبْلَه ، و يبدأُ بمعنىَ المدِيح ، كقولِ زهير[4]:

وأبيضَ فياضٍ يداهُ غَمامةٌ   على مُعْتَفِيهِ ما تغِبُّ نوافِلَه

أو يتوصَّلُ إلى المديح بعد شَكْوى الزَّمان ، ووَصْفِ مِحَنه ، وخُطوبه ، فيستجيرُ منهُ بالممدُوح .

أو يَستأنفُ وصفَ السَّحابِ ، أو البحر أو الأسد ، أو الشمس ، أو القمَر.

فيقول : « عارَضٌ » أو فما مزبد » أو فما مَخْذر » أو فما الشمسُ والقمر أو البدْر بأجوَد أو بأشجَعَ أو بأحسنَ من فلان ، يعنون الممدوح ، فسلك المحدثون غير هذه السبيل ولَطَّفُوا القولَ فى معنَى التَّخلُّص إلى المعانى التى أرادوها ، فمن ذلك قول منصور النَّمرى : [3]

(١) ديوان الأعشى البيت ٢٠ القصيدة ٤ ، عصم : عهود .

(٢) فى شرح الديوان « فياض تَداهُ » و « وما تغب فواضِلُه » ص ٣٠

(٣) الصناعتين ٤٥٤ . فى مدح الرشيد

إذا امتنع المقالُ عليكَ فامدحْ ... أميرَ المؤمنينَ تجدْ مقالا[1]
فتىً ما إنْ تزالُ به ركابٌ ... وضعنَ مدائحاً وحملنَ مالا

وقول أبي الشيص[2]:

أكلَ الوجيفُ لحومَها ولحومَهُمْ ... فأتوكَ أنقاضاً على أنقاضِ
ولقد أتتكَ على الخطوب سوَا خِطاً ... ورجعنَ عنكَ وهنَّ عنهُ رواضِ[3]

وكقول محمد بن وهب[4]:

مازالَ يلثمني مراشفَهُ ... ويعلني الإبريقُ والقدحُ[5]
حتى استردَّ الليلُ خلعتَهُ ... وبدا خلالَ سوادِه وضحُ
وبدا الصباحُ كأنَّ غرتَهُ ... وجهُ الخليفةِ حينَ يُمتدحُ[6]

وكقولهِ في تخلصه من وصف الديار إلى وصف شوقه:

طللانِ طالَ عليهما الأمدُ ... دثرا فلا علمٌ ولا نضدُ
لبسا البلى فكأنما وجدا ... بعدَ الأحبةِ مثلَ ما أجدُ[7]

وكقول بكر بن النطاح في تخلصه إلى الافتخار:

ودويةٍ خُلِقَتْ للسرا ... ب فأمواجه بينها تزخرُ
ترى جنها بين أضعافها ... حلولاً كأنهم البربرُ
كأنَّ حنيفةَ تحميهم ... فألينهمْ خشنٌ أزورُ[8]

(١) أبو الشيص هو محمد بن عبد الله بن رزين من شعراء العباسيين عاش زمن الرشيد «ترجمته بالشعر والشعراء لابن قتيبه ٨٢٠، طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦، معاهد التنصيص ٢/ ١٤٢، الأغانى ١٥/ ١٠٤» وتاريخ بغداد ٥/ ٤٠١»، والبيتان من قصيدة يمدح بها عقبة بن جعفر ١٥/ ١٠٥ — ١٠٧

(٢) الأغانى ١٥/ ١٠٧.

(٣) محمد بن وهب شاعر من أهل بغداد يعد وسطا فى الشعر من طبقة دعبل وكان يتشيع ومدح المأمون والمعتصم. «ترجمته بالأغانى ١٧/ ١٤١، معاهد التنصيص ١/ ٧٦ واللآلى ٣/ ٩٧».

(٤) ذكره فى الصناعتين وبه يتم المعنى.

(٥) الصناعتين ٢٥٤.

(٦) الأمالى ٣/ ٢١٤، والتشبيهات ١٧١.

(٧) الصناعتين ٢٥٦.

وكقوله :

يامَنْ يُرِيدُ بأن تُكلِّمه الندى ... بلسَان قاسِمه النَّدى يتكَّلمُ
مدحُ ابنِ عِيسَى قاسِمٌ فاشْدُد بِه ... كلِتَا يَدَيْكَ الكيمياءُ الأعظمُ (١)

وكقول دِعْبِل : (٢)

ومِيْثَاء خضراء زَرْبِيَةٍ ... بها النَّوْرُ يُزْهرُ من كلِّ فَنْ
ضَحُوكاً إذا لاعَبَتْهُ الرِّياحُ ... تأَوَّدَ كالشَّارِبِ المرْجَحِنْ
فشَبَّهَ صَحْبِي نَوَّارَهُ ... بديبَاجِ كِسْرَى وعَصْبِ اليَمنْ
فَقُلْتُ بَعُدتُم ولٰكِنَّنِي ... أُشَبِّهُهُ بِجَنَابِ الحسَنْ
فَتىً لا يَرَى المالَ إلاَّ العطاء ... ولا الكنْزَ إلاَّ اعْتِقَادَ المِنَنْ (٣)

وكقولِه :

قَالتْ وقدْ ذَكَّرْتُها عهدَ الصِّبا ... باليَأسِ تُقْطَعُ عادةُ المعْتَادِ
إلا الإمَام فإنَّ عَادةَ جُودِهِ ... موصُولةٌ بزِيادَةِ المزْدَادِ (٤)

وكقول عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ مُحمَّد الغَسَّانِيّ (٥) :

وكأنَّ الرُّسُومَ أَخنَى عَليْهَا ... بَعْضُ غارَاتِنَا على الأعْدَاءِ

وكقوله فى تَخَلُّصِهِ إلى الافْتخار أيضاً :

وانْهَىْ جمالَكِ أنْ ينالَ مَقَاتِلى ... فتُصِيبَ قومَكِ سطوةٌ من مَعْشَرِى

---

(١) الصناعتين ٢٥٦ ـــ ٢٥٧ .

(٢) الأبيات فى البصائر ٢٧١/٢ ، وديوانه جمع عبد الكريم الأشترص ٢٠١ وهى فى مدح الحسن بن وهب . والميثاء هى الأرض اللينة السهلة أو الرابية الطيبة . الزربية اذا اخضر نبتها واصفر واحمر .

(٣) الصناعتين ٤٥٦ .

(٤) الصناعتين ٤٥٧ .

(٥) الصناعتين ٤٠٧ .

وكقول أبى تمام الطائى :(١)

صُبَّ الفِرَاقُ علينا صَبَّ من كثَبٍ ... عَليْه إسْحَاقُ يومَ الرَّوْعِ مُنْتَقِما

وكقولِ البحترى(٢):

شَقائقُ يحمِلْنَ النَّدى فكأنَّهُ ... دموعُ التَّصَابى فى خُدُودِ الخَرائِدِ

كأنَّ يدَ الفتْحِ بنِ خاقانَ أقبلَتْ ... تليهِا بتلِكَ البارِقَاتِ الرَّواعِدِ

وكقوله :(٣)

بين الشَّقِيقَةِ فاللِّوى فالأجْرُعِ ... دِمنٌ حُبِسْنَ على الرِّياحِ الأرْبَعِ

فكأنَّما ضَمِنَتْ معالمَها الذى ... ضَمِنَتْهُ أحشاءُ المحِبِّ الموُجَعِ(٤)

وكقوله(٥):

يجرُّ عليَّ الغَيْثُ هُدَّابَ مُزْنةٍ ... فآخِرهُ فيهِ وأوَّلُه عِنْدى

تَعَجَّلَ عنْ مِيقاتِهِ فكأنَّه ... أبوُ صالحٍ قدْ بتُّ منه على وَعْدِ(٦)

وكقوله :

أقولُ لثَجَّاجِ الغَمَامِ وقد سرَى ... بمحتفلِ الشُّؤْبُوبِ صَابَ فأفْعَما(٧)

وأقِلَّ وأكْثِرْ لستَ تَبلغُ غَايةً ... تَبين بها حتَّى تُضارعَ هيْثَما

فتىً لبِسَتْ منه اللَّيالي محاسِناً ... أضَاءَ لها الأفُقُ الَّذِى كانَ مُظْلِما

وكقوله :

لعَمرُكَ ما الدُّنيا بناقِصَةِ الجَدَا ... إذا بقِي الفتحُ بنُ خَاقانَ والقطرُ(٨)

(١) ديوانه ص ٣٠٢ ط . محمد جال من قصيدة يمدح المصعبى .

(٢) الديوان ١/١٣٦ من قصيدة يمدح الفتح بن خاقان .

(٣) مطلع قصيدة ، يمدح يوسف بن محمد . ديوانه طبع المعارف ٢/١٢٨٦

(٤) الديوان ٢/١٠٠ .

(٥) الديوان ١/١٧٨ من ابيات قالها فى الحارثى

(٦) الديوان ١/١٧٨

(٧) الديوان ٢/٢٣٣ ، والصناعتين ٢٥٧

(٨) الديوان ١/٢١٧ يمدح الفتح بن خاقان .

وكقوله :

أبـرقٌ تجـلّـى أم بَـدَا ابنُ مـدبِّرٍ　　بِـغُـرَّةِ مَـسْـئُـولٍ رَأى الـبِشْرَ سائِلُه(١)

وكقوله :

أدَارَهُـمُ الأُولَـى بِـدَارَةِ جُلْجُلٍ　　سقَـاكِ الحيَـا رَوْحـاتُـه وبَـواكِـرُهْ

وجَـاءَكِ يـحْـكِـي يُوسُفَ بنَ مُحمَّدٍ　　فـرَوَّتْـكِ رَيَّاهُ وجَـادَكِ مـاطِـرُهُ(٢)

وكقوله :(٣)

كـأنَّ سَـنَـاهـا بـالـعَـشِـيِّ لِشَـرْبِها　　تـبـلُّـجُ عِـيَـسى حيـنَ يَـلْـفِـظُ بالوعْـدِ

وكقوله(٤)

آلـيـتُ لا أجْـعـلُ الإعْـدامَ حَـادِثـةً　　تُـخْـشَى وعيَـسى بنُ إبْراهِـيمَ لي سَـنَـدُ

وكقول وهبْ الهمدَانِيّ :

وأطـلُـبُ الـرِّيـفَ يـانَـديـمـى　　والرَّيفُ فى الأرضِ حيثُ اسمَاعيلْ

وكقوله :

أيـامَ غُـصْـنُ الـشَّـبَـابِ يَـهْـتَـزُّ كـالأسْـمـرِ فى رَاحَـةِ ابـنِ حَـمَّـاد

وكقوله :

لا والّـذِى سـنَّ لـلـمُـدَامـةِ والـ　　ـسـمـاءِ نِـكـاحـاً بـغـيـرِ تَـطْـلِـيـقِ

مـا مـقَـلـتْ مُقلتَايَ اسمَع فى الـعَـ　　ـالَـمِ مـن أحْـمـدَ بـنِ مـشـرِوقِ

(١) الديوان ٢/١٧٥

(٢) الديوان ٢/١١

(٣) ديوانه ٢/٧٥٩ طبع دار المعارف . و يقصد فى الشطر الأول وصف الخمر تماما كقوله فى البيت السابق :

إذا بـاكـرتـه غـاديـات هـمـومـه　　أراح عـلـيـهـا الـراح حـمـراء كـالـورد

(٤) من قصيدة يمدح بها عيسى بن أبراهيم كاتب الفتح بن خاقان اليه والبيت ١/٤٩٦ ديوانه طبع دار العمارف .

وكقولِ عليّ بنِ جَبلة :(١)

وغَـيْـثٍ تـألّـفـهُ نَـوْءُهُ ... وألـبَـسـهُ غَـلَـلاً أرْمَـدَا

تـظَـلُّ الـرِّيـاحُ تـهَـادَى بـهِ ... إذَا مـا تحـيَّـرَ أو عَـرَّدا

صَـدوقُ الـمخِـيلَـةِ دَانِي الظّلا ... لِ قـد وَعـدَ الأرْضَ أنْ تَـرْغَـدا

كـأنَّ تـوَالـيَـهُ بـالـعَـراءِ ... أهْـوَى إلى الجَـلْـمَـدِ الجَـلْـمَدَا

تَـداعِـى تمـيـمٍ غـداةَ الـجِـفَـارِ ... تَـدْعُـو زُرَارَةَ أو مَـعْـبَـدَا

وكقول عليّ بنِ الجهْم :(٢)

وسَـارِيـةٍ تَـرْتَـادُ أرْضاً تَجُـودُهـا ... شـغَـلْـتُ بـهـا عَـيْـناً قَليلاً هُجُودُها

أتَـتْـنَـا بـهَـا رِيـحُ الصَّبَا وكـأنَّـها ... فـتَـاةٌ تُـزجِّـيهَا عَـجُوزٌ تَقُـودُهـا

فـمـا بَـرِحـتْ بَـغْـدادُ حتَّى تَفجَّرَتْ ... بـأوْدِيَـةٍ مـا تَـسْـتَـفِـيقُ مُـدودُهـا

فـلـمَّـا قـضَـتْ حـقَّ الـعِـرَاقِ وأهْلِه ... أتـاهَـا مـن الرِّيـح الشمالِ يَريدُها

فـمـرَّتْ كفوْتِ الطَّرْفِ سعياً كأنَّها ... جـنـودُ عُـبـيـدِ اللهِ ولَّـت بـنـودُهـا

وكقوله :(٣)

وُتَـرْنَ ولـلـصَّـبـاحِ مُـعـقَّـبـاتٌ ... تـقـلَّـصُ عـنـه أعجَازُ الظَّلامِ

فـلـمَّـا أنْ تجلَّـى قـالَ صَحْـبِـى ... أضَـوْءُ الـصُّـبْـحِ أمْ ضَـوءُ الإمامِ

وقول أبى الغَمر هارون بن محمد الرازى :(٤)

مُـكْـفَـهِـرٌّ تَـرنَّـحُ أغْـطَـافُـه رجَـاءً كـمـا جَـاوَب الـمـطِـيَّ الـمـطِـيُّ

وتـلالا كـأنَّـمـا فى حـشَـاهُ ... حـبَـلٌ حـانَ وضْـعُـهُ جَـوْلـيُّ

(١) على بن جبلة الملقب بالعكوك . شاعر عباسى (١٦٠ ـــ ٢١٣ هـ) راجع ترجمته فى الشعر والشعراء ٨٦٤ وطبقات بن المعتز الورقة ١١٣

والأبيات فى مجموع شعره للدكتور حسين عطوان ص ٤٨ طبع دار المعارف .

(٢) ديوانه ص ٥٦ ـــ ٥٩ طبع المجمع بدمشق ١٩٤٩ .

(٣) ديوانه ص ٨

(٤) الأبيات لأبى الغمر الطمرى كاتب الحسن بن زيد العلوى ، واسمه : هارون بن محمد (معجم الشعراء ٤٦٥ ، واوردها التوحيدى فى البصائر ٢/٢٦٥)

ظَلَّ يحكى بجُوده جُوَد كفَّىْ مَلكٍ سيبُه هنِىٌّ مَرِىٌّ

وكقول البحترى[1]:

سُقيَتْ رُباكِ بكل نوءٍ جَاعلٍ من وَبْلِه حقًّا لها معلُومَا
فلو اننى أُعْطِيتُ فيهنّ المنى لسقيتُهُنَّ بكفّ إبراهيمَا

وكقوله :[2]

قُل لدَاعِى الغَمام: لبّيكَ واحْلُلْ عُقَلَ العِيسِ كىْ تُجيب الدُّعَاء
عارِضٌ من أبِى سَعيدٍ دعَانِى بسنَا برْقِهِ غدَاة تَراءَى

وقول أبى تمام :[3]

إساءةَ الحادِثاتِ استَبْطِنى نفقاً فقد أظَلّكِ إحْسانُ ابنُ حسَّانِ

وكقوله :[4]

يا صَاحِبَىَّ تقَّصيَا نظرَيْكُما ترَيا وُجُوهَ الأرْضِ كيفَ تَصَوَّرُ
تَريَا نَهاراً مُشْرِقاً قد شَابَهُ زَهْرُ الرُّبَا فكأنَّما هُو مُقْمِر
خُلُقٌ أطَلَّ من الرَّبيع كأنَّه خُلُقُ الإمامِ وهُديُهُ المتيسّر[5]

وقوله :[6]

إنَّ الَّذِى خَلَق الخَلائقَ قَاتَها أقْواتَها لِتصَرُّفِ الأحْراسِ
فالأرْضُ معْرُوفُ السَّماءِ قِرىً لهَا وبنُو الرَّجاءِ لَهُمْ بنُو العَبّاسِ
القومُ ظِلُّ اللهِ أسْكَنَ دِينَهُ فِيِهِمْ وهمْ جَبَلُ المُلوكِ الرَّاسِى

وقوله :

يجاهِدُ الشَّوْقَ طَوْراً ثُمَّ يُتْبِعُه مُجَاهدَاتُ القَوافِي فى أبى دُلَفَا

(١) ديوانه من قصيدة يمدح إبراهيم بن الحسن بن سهل ١٩٦٤/٣
(٢) ديوانه ١٤/١ فى مديح أبى سعيد الثغرى
(٣) ديوانه ص ٣٢٤ فى مدح محمد بن حسان الضبى
(٤) ديوانه ص ١٤٧ يمدح المعتصم .
(٥) رواية الديوان « المنتشر »
(٦) ديوانه ص ١٧٣ فى مدح المعتصم .

وكقوله:[1]

إذا العِيسُ وافَتْ بى أبادُلَف فقَدْ   تقَطَّع ما بَيْني وبَينَ النَّوائبِ

وقوله:[2]

تداوَ من شوْقِكِ الأقْصَى بما صنَعتْ   خيلُ ابنِ يُوسُفَ والأبطالُ تطَّرِدُ

ذَاك السُّرورُ الذى آلتْ بَشاشتُهُ   ألاَّ يُجاوِرَها فى مُهْجَةٍ كَمدُ

وقوله:[3]

لم يجتَمِعْ قطُّ فى مصرٍ ولا طرفٍ   مُحَمَّدُ بنُ أبى مَرْوَانَ والنُّوَبُ

وكقوله:

ولقد بلَوْتَ خلائقى فوجدْتَني   سَمْحَ اليَدَيْنِ ببذْل ودٍّ مُضمَرِ

يَعجَبْنَ منِّى أنْ سَمَحْتُ بمُهْجَتِى   وكذاكَ أُعجَبُ من سَماحةِ جعْفرِ

ملكٌ إذا الحاجَاتُ لُذْنَ بِحقْوِهِ   صافحْنَ كفَّ نوالِه المتَيَسِّرِ

(١) ديوانه ص ٤١ وروايته «لاقت بى»

(٢) ديوانه ص ٩٧ فى مدح خالد بن يزيد

(٣) ديوانه ص ٤٧.

و ينبغى للشاعر أن يجتنب الإشاراتِ البعيدةَ والحكاياتِ الغَلِقةَ ، والإيماءَ المشكلَ ، و يتعَّمدُ ما خالفَ ذلك ، و يستعملُ من المجازِ ما يقاربُ الحقِيقَة ، ولا يَبْعُد عنها ، ومن الاستعاراتِ مايَليقُ بالمعانى التى يأتِي بها .

فمن الحكايات الغَلِقة والإشاراتِ البعيدةِ قولُ المثَّقب(١) فى وصف ناقته(٢) :

تقولُ وقدْ درَأتُ لها وَضِينِى ... أهذَا دينُهُ أبداً ودِينِى
أكلَّ الدَّهرِ حلٌّ وارْتِحَالٌ ... أمَا يُبْقِى عَلىَّ ولا يَقِينِي

فهذه الحكايةُ كلُّها عن ناقتِه من المَجاز المبَاعدِ للحقيقةِ ، وإنما أراد الشاعر أن الناقَة لو تكلَّمت لأعربت عن شكواها بِمثْل هذا القولِ .

والذى يقارب الحقيقة قول عنترةَ فى وصف فرَسه :(٣)

فازورَّ عنْ وقْعِ القَنا بَلبَانهِ ... وشَكا إلىَّ بِعَبْرةٍ وتحَمْحُمِ

وقول بشار :(٤)

غَدتْ عانةٌ تشْكُو بأبْصَارِها الصَّدى ... إلى الجأبِ إلاَّ أنَّها لا تُخاطِبُهْ

ومن الإيماء المشكل الذى لا يُفهم ، وقد أفرطَ قائلهُ فى حكايته قول الآخر :

(١) المثقب العبدى شاعر جاهلى عاصر عمرو بن هند ملك الحيرة ، وترجم له الصيرفى فى مقدمة ديوانه ــ طبع معهد المخطوطات ١٩٧٠ .

(٢) من قصيدته النونية فى المفضليات رقم ٧٦ . ودرأت : مددت ، والوضين : الحزام ــ وراجع ديوانه ص ١٩٥

(٣) ديوان عنترة ٢١٧ طبع المكتب الإسلامى بدمشق / بيروت ١٩٧٠

(٤) من قصيدته البائية فى مدح مروان بن محمد « جفا وده... »

أوْمتْ بكَفَّيْها من الهَوْدَج لولاكَ هذا العامَ لم أحْجُج
أنتَ إلى مكَّةَ أخرَجْتَني حُبَيْباً ولولا أنتَ لم أَخْرُج

فهذا الكلام كله ليس مما يدل عليه إيماء ولا تعبر عنه إشارة .

وليست تخلو الأشعار من أن يُقتَصَّ فيها أشياءُ ، هى قائمةٌ فى النُّفوسِ والعُقولِ ، فيُحْسِنُ الشاعر العبارةَ عنها ، وإظْهارَ ما يكْمُن فى الضَّمائرِ مِنْها ، فيبْتَهِجُ السَّامِعُ لما يَرد عليه مما قد عرَفَهُ طبعُه ، وقبِلَهُ فُهمُه ، فيُثارُ بذلك ما كان دفيناً و يبرزُ به ما كانَ مكنُوناً ، فينكَشِفُ للفَهْمِ غِطاؤه ، فيتمكَّنُ من وجْدَانِه بعد العَناءِ فى نُشْدَانِه .

أو تُودَعَ حِكْمةً تألفُها النفوُس ، وترتَاحُ لِصدْقِ القَولِ فيها وما أتَتْ بِهِ التَّجاربُ منها .

أو تتضمَّنُ صِفَات صادِقَةً وتَشْبيهاتٍ مُوَافِقةً ، وأمثالاً مُطابِقةً تُصابُ حقائقُها ، وتَلْطُفُ فى تقريب البعَيدِ منها ، فيُؤْنسُ النافِرَ الوحشيّ ، حتَّى يَعودَ مألوفاً محبوباً ، و يُبعِدُ المألوفَ المأنوسَ بِه حتَّى يصيرَ وحشياً غريباً ، فإن السَّمع إذاوردَ عليه ما قدْ ملَّه مَن المعَانِي المكرَّرةِ والصِّفاتِ المشْهُورَةِ التى قدْ كثُر ورُودُها عليه مجَّهُ وثَقُل عليه وعْيُه ، فإذا لطُف الشاعرُ لشوْب ذلَك بما يُلبسُه عليهِ ، فقرّبَ منهُ بعيداً ، أو بعَّدَ منه قريباً ، أو جَلَّلَ لطِيفاً ، أو لطَّف جليلا أُصْغِيَ إليه ، فوعاهُ واستَحسَنُه السَّامِعُ واجتباه .

وهذا طريق إلى تناوُل المَعانى واستِعارتها ، والتَلطُّف فى استعمالها على اختلافِ جِهَاتها التى تَتَناوَلُ منها ، كما نبهنا عليه قبل .

أو تتضمَّنُ أشياء تُوجبُها أحوالُ الزَّمانِ على اخْتلافِه وحَوادِثه على تَصرُّفِها ، .. فيكونُ فيها غرائبُ مسْتحسَنةٌ وعجائبُ بديعةٌ مستَطْرَفةٌ ، من صفات وحكايات ومُخَاطَبات فى كلّ فنٍّ تُوجِبُه الحَالُ التى يُنْشَأُ قوْلُ الشِّعْر من أجْلها ، فتدفعُ به العَظائمُ وتسلُّ به السَّخائم ، وتُخلبُ به العقول ، وتُسْحَرُ به الألباب(١) لما يشْتمل عليه من دقَيقِ اللّفْظِ ولَطيفِ المعنى .

(١) نقل التوحيدى هذه الفقرة فى البصائر ٢/١١٦ ــ ١١٧ ، طبع دمشق بتحقيق الدكتور إبراهيم الكيلانى من قوله :« فتدفع به العظائم.. إلى قوله : « عليه أوله » مع اختلاف فى بعض العبارات .

وإذ قد قالت الحكماء إنَّ للكلامِ جسداً وروحاً . فجسدهُ النُّطق . ورُوحه معناهُ .

فواجبٌ على صَانِع الشِّعر أن يصنَعَهُ صَنْعةً ، لطيفةً مقبُولة ، حسنةً ، مجتلبةً لمحبَّةِ السَّامِع لهُ ، والنَّاظِر بعقْله إليْه ، مستْدعيةً لعشْقِ المتأمّل فى محَاسِنهِ ، والمتَفرِّسِ فى بدَائعه ، فيُحْسِنهُ جسْماً ويحقِّقُه رُوحاً ، أى يُتْقنُهُ لفظاً ، و يُبْدعُه معْنًى ، ويجتنبُ إخْرَاجَه علىَ ضِدِّ هذهِ الصِّفةِ ، فيكسوه قبحاً و يبرزُه مَسْخاً ، بل يُسوِّى أعْضَاءهَ وَزْناً ، و يعدّل أجزَاءهَ تأليفاً ، و يُحَسِّن صورتَه إصَابةً ، ورونقه اختصاراً ، و يكرم عنصُره صِدْقاً ، و يُهذبُ القَولَ رقّةً ، و يُحصِّنُهُ جزالةً ، و يدنيه سلاسةً ، و ينأى به إعجازاً ، و يْعلمُ أنَّه نتيجةُ عقْلِه ، وثمرةُ لبه ، وصُورةُ عِلمْه ، والحاكِمُ عليه أولَهُ .

مفتتح الشعر (مطلعه)

و ينبغي للشّاعر أن يحترز في أشعاره ، ومفتتح أقواله مما يُتطيَّر به أو يُستجفى من الكلام والمخاطباتِ ، كذكر البُكاء ، ووصف إقفار الدّيار ، وتشتُّتِ الألأَف . ونَعْي الشَّباب ، وذمّ الزَّمانِ . لاسيَّما في القصَائد التي تتضمَّنُ المدائحَ أو التَّهاني . وتُستعمل هذِه المعَاني في المرَاثي ، ووصْف الخُطُوبِ الحَادِثةِ ، فإنَّ الكلامَ إذا كانَ مَؤسساً على هذا المثال تَطَيَّر منهُ سامِعُه ، وإنْ كانَ يعْلَمُ أنَّ الشَّاعِرَ إنما يخاطِبُ نفسه دُونَ المَمْدُوح ، فيجتَنِبُ مثلَ ابتداء قَوْلِ الأَعْشَى :

مـا بُكـاء الكَبـيرَ بالأطْلالِ　　وسُؤالِـي وهَـلْ تَـرُدُّ سُؤالي[١]
دِمْـنَـةٌ قَـفْـرَةٌ تـعَـاوَرَهـا الـصَّيْـفُ بـريـحَـيْـنَ مِنْ صَباً وشَمالِ

ومثل قول ذى الرمة :[٢]

ما بـالُ عـينِكِ منهَا الدّمعُ ينْسَكِبُ　　كـأنَّه مِن كُلَى مفريَّةٍ سَرِبُ

وقد أنكر الفضلُ بنُ يحيى البرْمكيُّ على أبى نُواس قولهُ :[٣]

أربعَ الـبِلَى إن الخُشُوع لبَادِي　　عـليكَ وإنى لم أخُنْكَ وِدَادِي

وتَطيَّر منهُ فلما انتهى إلى قوله :

سـلامٌ على الدُّنيـا إذَا مـا فُقِـدْتُـم　　بـنـى بـرْمَكٍ من رائحِينَ وغَادِي

استحْكَم تَطَيُّرهُ ، فيقالُ إنه لم ينقَض إلا أسْبُوع حتى نزلت به النَّازلة .

وأنشد البحتريُّ أبا سعيد محمد بنَ يوسُف الثَّغرىَّ قصيدتَه التي أولها :

لـكَ الـويـلُ مِنْ لـيلٍ تطَاوَلَ آخِرُهْ　　ووَشْـكِ نَـوى حَـيٍّ تُـزَمُّ أباعِرُهْ

(١) مطلع القصيدة الأولى بالديوان طبع أوربا وروايته «وسؤالى فهل ترد» وص بتحقيق د. محمد محمد حسين طبع بيروت.

(٢) ديوانه القصيدة الأولى والبيت أولها

(٣) ديوانه ص ٧٣ طبع آصاف

فقال له أبو سعيد : الويل لك والحَربُ .

وليجْتَنِب فى التَّشْبيب مَن يُوافق اسمُها [اسم] بعضِ نِساء المَمْدوح من أمةٍ ، أو قَرَابةٍ ، أو غَيْرِها . وكذلك ما يتَّصلُ به سببُه أو يتعلق به وهمُه ، فإنَّ أرطأةَ ابنَ سُهيَّة(١) الشاعر دخلَ على عبد المَلك بن مروان ، فقال له : ما بقى من شِعْرك ؟

فقال : ما أطربُ ، ولا أحْزنُ يا أميرَ المؤمنين ، وإنَّما يُقَالُ الشِّعرُ لأحدِهما . ولكنِّى قد قلتُ :

رأيتُ الدَّهرَ يأكلُ كُلَّ حَىٍّ ... كأكْلِ الأرْضِ ساقِطةَ الحَدِيدِ
وما تَبغى المنيَّةُ حينَ تغْدُو ... سِوَى نفسِ ابنِ آدمَ مِن مَزيدِ
وأحسَبُ أنَّها ستكُرُّ يَوماً ... تُوفِّى نذرَها بأبِى الوَليدِ

فقال له عبد الملك: ما تقُولُ ثكِلَتْكَ أمُّك؟ فقال : أنا أبو الوَليدِ يا أميرَ المؤمنين . وكانَ عبدُ الملكَ يكنَّى أبا الوَليد أيضاً ، فلم يَزلْ يَعرفُ كراهةَ شعرِهِ فى وجهِ عبد الملك إلى أنْ مات .

فليجتنبْ الشَّاعرُ هذَا وما شَا كَلَهُ مما سبيلُه كسبيله وإذا مرَّ له معنًى يُستبشَعُ اللفظ به لطُف فى الكنَاية عنه وأجَلَّ المخاطبَ عن استقباله بما يتكرهه منه ، وعدَلَ باللفظ عن كافِ المخَاطَبةِ إلى ياء الإضافَة إلى نفسه إن لم ينكر الشعر أو احتال فى ذلك بما يُحترزُ به عما ذممناه و يوقف به على أرَب نفسه ، ولُطْف فهمه كقول القائل :

ولا تحسبنَّ الحُزن يبقَى فإنه ... شهابُ حريقٍ واقِدٌ ثم خامِدُ
سآلفُ فُقدانَ الَّذِى قد فقدتُه ... كإلفِكَ وجدانَ الَّذِى أنتَ واجِدُ

(١) هو أرطاه بن زفر بن عبد الله المزنى ، وسهية أمه ، شاعر أموى مشهور شريف جواد .

وإنما أرادَ الشَّاعرُ: سَأَلَفُ فقدانَ الَّذِى قد فقدْتَه كإلفِكَ وجْدانَ الَّذِى قد وجَدْتَه ، أى تتَعزَّى عن مصيَبتك بالسُّلوَ. فانْظرُر إليه كيف لطُف فى إضَافَةِ ذكرْ المفْقُود الذى يُتَطيرَّ منه إلى نَفْسِه ، وما يتفاءل به إليه من الوجدان إلى المخاطب ، فجعل الموجودَ المألوفَ للمُعَزَّى ، والمفقود لنفسه ...

و يُحكى أنَّ أباُدلف استنْشَدَ أبا حَكيمة راشداً الكاتِب بعض مارَثى به أيرْهُ وأعجب بما سمعه من معانى قَوْله فى ذلك الفَن فانْشَدَه :

ألا ذَهَبَ الأ يرُ الَّذِى كنتَ تَعرِفُ

فقال له أبو دلف : أُمُّكَ كانتْ تعرف .

و ينبغى للشاعرِ أن يتأمَّل تأليف شِعْرِه ، وتنسيقَ أبياتِه ، و يقف على حُسْنِ تجاوُرِها أو قُبحه ، فيلائمُ بينَها لتنتظِمَ له معَانيها ، و يتصل كلامُه فيها ، ولا يجعلُ بينَ ماقد ابتدأ وصفَه و بينَ تمامِه فَضْلاً من حشوٍ ليسَ من جنسِ ماهُو فيه ، فينسى السَّامعُ المعنَى الَّذِى يسوقُ القولَ إليه كما أنَّهُ يحترِزُ من ذلكِ فى كلِّ بيتٍ ، فلا يُبَاعِدُ كلمةً عن أخْتِها ، ولا يحْجِزُ بينَها و بين تمامها بحشو يشينها و يتفقَّدُ كلَّ مِصراع ، هل يشاكلُ ما قبله ؟ فرُبَّما اتفق للشَّاعِر بيتَانِ يضعُ مصراع كلِّ واحدٍ منهما فى موضع الآخر ، فلا يتنبَّه على ذلك إلا من دَقَّ نظرُه ولَطُفَ فهمه . وربما وقع الخَللُ فى الشعرِ من جهةِ الرُّواة والنَّاقِلين له فيَسمعُونَهُ على جهةٍ و يؤدّونه على غيرِها سَهْواً ، ولا يتذكرون حقيقة ماسَمِعُوه منه . كقول أمرىء القيس :(١)

كأنِّى لمْ أرْكَبْ جوَاداً للذَّةٍ — ولم أتبطَّن كاعباً ذاتَ خَلخَالِ
ولم أسْبأ الزِّقَّ الرَّوِىَّ ولمْ أقُلْ — لخيلِي كُرِّى كرَّةً بعدَ إجْفَالِ

هكذا الرواية وهُما بيتَان حسنان ، ولو وضع مِصَراعُ كلِّ واحد منهما فى موضع الأخر كان أشكل وأدخل فى استواء النسج فكان يروى :

كأنِي لم أرْكَبْ جوَاداً ولم أقُلْ — لخيلِي كُرِّى كَرَّةً بعدَ إجْفَالِ(٢)
ولمْ أسْبأ الزِّقَّ الرَّوِىَّ للذةٍ — ولم أتبطَّنْ كاعباً ذات خلخالِ

وكقول ابن هرمة :

وإنى وتركى نَدى الأكرَمين — وقَدْحى بكفِّى زناداً شِحاحا

(١) البيتان من قصيدته « ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالى » ديوانه ص ٣٠ طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٤

(٢) راجع العمدة لابن رشيق ٧٢/١

كـتـارِكـةٍ بَـيْـضَـها فى العَراءِ   ومُلْبِسـةٍ بيـضَ أخـرى جَنَـاحَـا

وقال الفرزدق :(١)

وإنَّـكَ إذْ تـهـجـو تميـمـاً وترتشى   سَرابيـلَ قيْـسٍ أو سُحوقَ العَمائِم

كـمُـهْـرِيقِ ماءٍ بالـفَلاةِ وغَرَّهُ   سَرابٌ أذاعـتْـهُ رِيَاحُ السَّـمَائِـم

كان يجب أن يكون بيتٌ لابن هرْمة مع بيتٍ للفرزْدق ، و بيتٌ للفرزدق مع بيتٍ لابنِ هَرمة فيقال :

وإنـى وتـركـى نَدى الأكْرَمِـينَ   وقَدْحِى بكفِّى زِنَاداً شِحَاحَـا

كمُهْرِيقِ ماءٍ بالـفَلاةِ وغَـرَّهُ   سرَابٌ أذاعَتْـهُ رِيـاحُ السَّـمائِـم

و يقال :

وإنَّـكَ إذْ تـهْـجُـو تَمِـيـمـاً وتَرتشى   سرَابِيـلَ قيْـسٍ أو سُحُوقَ العَمائِم

كـتـارِكـةٍ بـيـضَـهَـا بـالـعَراءِ   ومُلْبِسـةٍ بيـضَ أُخْرَى جنَـاحَـا

حتى يـصـحَّ التَّشْبِيهُ للشَّاعِرين جميعاً ، وإلا كانَ تشبيهاً بعيداً غيرَ واقِعٍ موقعَه الذى أريد له .

وإذا تأمَّلت أشعارَ القُدَماءِ لم تعْدَم فيها أبياتاً مختلفة المصاريع .

كقول طرفة :(٢)

ولستُ بِحَلاَّلِ التِّلاعِ مخَافَةً   ولكـنْ متـى يسْتَرفِد القومُ أرْفُدِ

فالمصراع الثانى غير مشاكل للأول و كقولِ الأعشى :

وإنَّ امْـرءاً أهْـواهُ بيـنـى و بيـنَـه   فيَافٍ تَنوُفَاتٌ و بَهْماءُ خَيفَقُ(٣)

(١) ديوانه ٢/٨٥٦ طبعة الصاوى

(٢) من معلقته ـ راجع ديوانه ص ٤٦ طبع القاهرة ١٩٥٨

(٣) تنوفات : التنوفة القفر ، خيفق : الخيفق الصحراء الواسعة يخفق فيها السراب وروايته : « وإن امرءا أسرى إليك ودونه »

لمخفوقة أن تستجيبى لصوته   وأنْ تعْلَمِى أنَّ المعَانَ مُوفَّقُ[١]

فقوله : « وأن تعْلَمِى أنَّ المعَان مُوَفَّق » غير مشاكل لما قبله .

وكقوله :

أغرُّ ابيضُ يُستسْقَى الغمامُ به   لو قارَعَ النَّاسَ عن أحسَابِهم قرَعا[٢]

فالمصراع الثانى غير مُشاكِل للأول ، وإنْ كان كلُّ واحدٍ منهما قائماً بنفسه .

وأحسنُ الشّعرِ ما ينتظمُ القولُ فيه انتظاماً يتّسِقُ به أوَّلُه مع آخِرِه ، على ما يُنسّقُهُ قائلهُ ، فانْ قدّم بيتاً على بيتٍ دخَله الخللُ ، كما يدْخُلُ الرَّسائل والخُطب إذا نُقضَ تأليفُها ، فإنَّ الشعر إذا أُسِّسَ تأسِيسَ فُصولِ الرَّسائل القائمةِ بأنفسها ، وكلماتِ الحِكْمة المَستقلة بذَاتِها ، والأمثالِ السَّائرةِ المؤْسُومَةِ باخْتصارها لم يحْسُنْ نظمُه ، بل يجبُ أن تكونَ القصيدةُ كلُّها ككَلِمةٍ واحدةٍ فى اشتباهِ أوَّلِها بآخِرها ، نسجاً ، وحُسْناً ، وفصَاحةً ، وجزالةَ ألفَاظ ودِقَّة مَعانٍ وصوَابَ تأليف ، و يكونُ خرُوجُ الشَّاعِر من كلِّ معنًى يصَنعُهُ إلى غيرِه من المعاني خُرُوجاً لطيفاً على ما شرَطْناهُ فى أوَّلِ الكِتَاب ، حتى تَخْرُجَ القصيدةُ كأنها مفرَّغةٌ إفْراغاً ، كالاشعارِ التى استشْهدْنَا بها فى الجوْدةِ والحُسْنِ واسْتواءِ النَّظْم ، لا تناقُضَ فى معَانيها ، ولا وَهْى فى مبَانيها ، ولا تكلُّفَ فى نَسْجِها ، تقتَضِى كلُّ كَلمةٍ ما بَعْدها ، و يكونُ ما بَعْدَها متعلقاً بها مُفْتَقراً إليها . فإذا كان الشّعْرُ على هذا المثَال سبق السَّامُع إلى قوافِيه قبل

(١) ديوان الأعشى القصيدة رقم ٢٣ والبيتان ٢٨ ، ٢٩

(٢) ديوان الأعشى القصيدة رقم ١٣ والبيت ٥١ ، وروايته :

اغر أبلج يستسقى الغمام به   لو صارع الناس عن أحلامهم صرعا

أن يَنتهَى إليها رَاوِيه ، وربّما سَبق إلى إتْمامِ مِصْرَاع منه إتماماً يُوجِبهُ تَأسِيسُ الشِّعر. كقول البحترى : (١)

سَلَبُوا البِيضَ قبرها فأقَامُوا لطُباها التَّأويلَ والتَّنْزِيلاَ

فإذا حَاربُوا أذلُّوا عزيزاً

فيقتضى هذا المصراع أن يكون تمامه : « وإذا سَالَمُوا أعزُّوا ذَلِيلاَ »

وكقوله :(٢)

أحلّتْ دَمِى منَ غيرِ جُرمٍ وحرَّمتْ بلا سَببٍ يومَ اللِّقاء كَلاَمِي

فداؤكِ ما أبقيَتِ منِّي فإنَّه حشَاشَةُ صَبٍّ فى نُحولِ عِظامِي

صِلِي مُغْرماً قدْ واتَرَ الشَّوْقُ دمعَه سِجَاما علَى الخَدَّينِ بعَد سِجَامِ

فليسَ الَّذِى حلَّلتِهِ بمحَلَّلٍ

يقتضى أن يكون تمامه : « وليسَ الَّذِى حرَّمتِهِ بحرام »

وأحسنُ الشِّعر ما يُوضع فيه كلُّ كلمةٍ موضِعها حتَّى يطابِقَ المعْنَى الذى أُرِيدتْ لهُ ، ويكونُ شاهِدُها معَها ، لا تَحتَاجُ إلى تفْسِيرٍ من غيرِ ذَاتِها ، كَقولِ جنُوب أختِ عمرو ذى الكلب :(٣)

فأقسمْتُ ياعمرو لو نَبَّهاكَ إذا نبَّهَا منكَ دَاءً عُضَالا(٣)

إذاً نَبَّهَا ليثَ عِرِّيسةٍ مُقِيتاً ، مبيدًا نُفُوساً ومَالا

وخرْقٍ تَجاوزْتَ مجْهُولَةُ بوجْنَاء حَرْفٍ تَشكَّىَ الكَلاَلاَ

فكنتَ النَّهارَ بهِ شمْسَهُ وكنتَ دُجَى اللَّيلِ فيهِ الهِلالا

(١) ديوان البحترى ٣/ ١٧٣٧

(٢) ديوانه ص ٢٠٠

(٣) الأبيات فى البصائر والذخائر لابى التوحيدى مع خلاف الترتيب ج ٢ ص ٢٦٦ ورواية الديوان « واتر الشوق .. »

فتأمَّل تنسيقَ هذَا الكلام وحُسنه . وقولَها مُقيتا مُبيداً ثم فسَّرَتْ ذَلك فقَالتْ نفُوساً ومالا ، ووصَفَتْهُ نهاراً بالشَّمسْ ، وليلاً بالهلال ، فعلَى هذا المثال يجبُ أن يُنسَّقَ الكلامُ ، صِدْقاً لا كَذِب فيه ، وحقيقةً لا مجازَ معها فلسفياً كقول القائل :

وفى أرْبع مِنِّى حَلَتْ منكِ أرْبعُ — فَما أنا دَارٍ أيُّها هَاجَ لِى كَرْبى
أوجهُكَ فى عَيْني أمْ الرِّيقُ فى فمِى — أمْ النُّطقُ فى سمْعِى أم الحُبُّ فى قَلْبِى؟

وسألتَ أسعدَكَ الله عن حُدودِ القَوافى ، وعلى كَمْ وجهٍ تَتصرف ؟ .
وقوافى الشِّعر كلُّها تنقسم على سبعة أقسام :

أمـا أن تَـكُـونَ على فـاعِلْ مثل : كاتب وحاسِبْ وضَارِبْ ، أو على فِعَال مـثـل : كِتَـاب وحِـسَـاب وجَـوَاب ، أو على مَـفْـعـلْ مِثل مكْتَب ، ومَضْرب ومَرْكَب ، أو عَلى فَعِـيـل مـثـل : حَبِيب وكثِيب وطبيب . أو على فَعَلَ مثل ذَهَـبْ ، وحَـسَـبْ ، وطَـرَبْ ، أو عَـلَى فَعْل مِثْل ضَرْب ، وقلْب ، وقَطْب . أو على فُعَيْل مثل كُلَيب ، ونُصَيْب وُعذَيْب . على هذا حتَّى تأتِى على الحُروف الثَمانية والعشرين ، فمِنها ما يُطلَقُ ، ومنها ما يُقَيَّد ثم يُضَافُ كل بناء منها إلى هَائها المذكر أو المؤنث ، فيقول كاتِبُه أو كاتُبها ، أو مَرْكبهُ ، أو مَرْكَبُها ، أو حبيُبها ، أو ذهُبه أو ذهُبها أو ضرْبُه أو ضَرْبها ، أو كُلَيْبَة كُليبُها .

و يتفق هذا فى الرجز .
فـهـذه حـدودُ الـقـوافـي الـتـى لـم يـذْكُرْها أحدٌ ممن تقدَّم ، فأدِرْها على جميع الحُروفِ واخْتَرْ مِن بينها أعذَبها وأشْكَلهَا للمَعنى الَّذى تَرُومُ بِناء الشِّعرِ عليه إن شاء الله .

نفَعَكَ الله بفَهْمِكِ ومتَّعكَ بعلمِك وأسْعَدَكَ فى الدَّارَيْن بِمَنّهِ ورأفته .

* * *

[تم كتاب عيار الشعر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وكان الفراغ من نسـخه يوم السبت رابع شهر صفر الخير من شهور سنة سبع وسبعين وسبعمائة وهـو حسبُنا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ورضى الله عـن أصـحـاب رسول الله أجمعين وعن التابعين وتابعى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم]

مراجع التحقيق

أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ط المنار .

أشعار الهذليين ط دار الكتب سنة ١٣٦٩ هـ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥٠ .

الاصابة لابن حجر ط السعادة سنة ١٣٢٣ هـ .

الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ط بولاق ١٩٨٥ هـ .

أمالى الشريف المرتضى ط السعادة ١٣٢٥ هـ .

أمالى ابن الشجرى ط حيدر آباد ١٣٤٩ هـ .

الأمالى لأبى على القالى ط دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ .

الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى ط لجنة التأليف .

أمثال الميدانى .

البيان والتبيين للجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون .

التاريخ الكبير للبخارى .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ط السعادة ١٣٤٩ هـ .

تاريخ الطبرى .

تهذيب التهذيب لابن حجر ط حيدر آباد ١٣٢٥ هـ .

التشبيهات لابن أبى عون ط كمبردج سنة ١٣٦٩ هـ ، ١٩٥٠ م .

جمرة أشعار العرب للقرشى ط بولاق ١٣٠٨ هـ .

الحيوان للجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون ط الحلبى ١٣٦٤ هـ .

حماسة ابن الشجرى ط حيدر آباد ١٩٤٥ هـ .

خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى ط بولاق ١٢٩٩ هـ .

ديوان امرىء القيس ط الرحمانية ١٩٣٠ م .

ديوان الأعشى ط فينا سنة ١٩٢٧ م .

ديوان الأعشى بتحقيق محمد حسين مصر سنة ١٩٥٠ م .

ديوان جرير ط الصاوى بالقاهرة ١٩٥٣ هـ .

ديوان أمية بن أبى الصلت ط بيروت ١٣٥٢ هـ .

ديوان حميد بن ثور ط دار الكتب المصرية .

ديوان الخنساء .

ديوان السمو أل ط بيروت سنة ١٩٢٠ م .
ديوان القطامى ط ليدن سنة ١٩٠٢ م .
ديوان قيس بن الخطيم ط ليبسك سنة ١٩١٤ م .
ديوان الفرزدق ط الصاوى سنة ١٣٥٤ هـ .
ديوان أبى ذؤيب الهذلى ط دار الكتب المصرية .
ديوان ذى الرمة ط بيروت سنة ١٣٥٣ هـ .
ديوان الشماخ بن ضرار ط السعادة بمصر سنة ١٣٢٧ هـ .
ديوان سحيم ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ م .
ديوان كثير عزة الجزائر سنة ١٩٢٨ م .
ديوان مسلم بن الوليد .
ديوان المتلمس ط ليبسك ١٩٠٣ م .
ديوان النابغة الذبيانى ط بيروت سنة ١٣٤٧ هـ .
ديوان لبيد ط ليدن سنة ١٨٩١ م .
ديوان عروة بن الورد ط الجزائر سنة ١٩٢٦ م .
ديوان عمرو بن قميئة ط كمبردج سنة ١٩١٤ م .
ديوان أبى العتاهية ط بيروت سنة ١٩١٤ م .
ديوان كعب بن زهير ط دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٩ هـ ، سنة ١٩٥٠ .
ديوان عنترة بن شداد ط التجارية سنة ١٩٥٥ م .
ديوان الطرماح بن حكيم ط ليدن سنة ١٩٢٧ م .
ديوان زهير بن أبى سلمى بشرح ثعلب ط دار الكتب سنة ١٣٦٣ هـ .
ديوان زهير بن أبى سلمى شرح الأعلم الشنتمرى ط دار الكتب سنة ١٣٥٣ هـ .
ديوان عبيد الأبرص ط Lyall .
ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ط مصر سنة ١٩٥٢ هـ .
ديوان الصّفيل .
سمط اللآلى للميمنى ط لجنة التأليف سنة ١٣٥٤ هـ .
شعر الأخطل . ط شيخو .
شرح الحماسة للمرزوقى بتحقيق أحمد أمين وهارون ط لجنة التأليف سنة ١٣٧١ هـ ٥٣ .
شرح شواهد المغنى ط البهية ١٣٢٢ هـ .

شرح ديوان امرىء القيس للوزير أبى بكر بن عاصم ط القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ
الشعر والشعراء لابن قتيبة بتحقيق أحمد شاكر ط الحلبى سنة ١٣٧٠ هـ .
شرح ديوان المتنبى للعكبرى .
شعراء النصرانية بعناية لويس شيخو طبع بيروت .
شرح ديوان علقمة للأعلم الشنتمرى ط الجزائرية ١٩٢٥ م .
شعر الحطيئة ط بيروت ١٩٥١ م .
الصناعتين لأبى هلال العسكرى ط بتحقيق البجاوى وأبو الفضل ط الحلبى ١٩٥٢
طبقات فحول الشعراء لابن سلام بوحقيق محمود شاكر ط المعارف سنة ١٩٥٢ م.
طبقات الشعراء لابن المعتز .
العمدة لابن رشيق ط حجازى ١٩٥٣ م .
العقد الثمين فى شعر الشعراء الستة الجاهلين .
الكامل للمبرد ط مصطفى محمد سنة ١٣٥٧ هـ .
لامية الهذلى ط باريس .
لباب الآداب لابن منقذ .
لسان العرب لابن منظور ط بولاق سنة ١٣٠٨ هـ .
مشارق الأقاويز ط Geyer .
معانى الشعر لابن قتيبة ط حيدر آباد سنة ١٩٤٨ م .
محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء للراغب الأصفهانى .
الموشح للمرزبانى ط السلفية سنة ١٣٤٣ هـ .
معجم الشعراء للمرزبانى ط القاهرة سنة ١٩٥٢ هـ .
مجمع الأمثال للميدانى القاهرة سنة ١٩٥٢ .
المؤتلف والمختلف للآمدى ط القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ .
المثل السائر لابن الأثير ط محيى الدين .
المفضليات بشرح ابن الأنبارى ط Lyall .
معاهد التنصيص للبيتى .
معجم البلدان لياقوت الحموى ط السعادة سنة ١٣٢٣ هـ . وطبعة ليبسك سنة ١٨٦٦ .
الخصائص لابن جنى ط دار الكتب المصرية .
نقائض جرير والفرزدق ط ليدن ١٩٠٥ م .

نهاية الأرب ط دار الكتب المصرية للنويرى .
يتيمة الدهر للثعالبى بتحقيق الصاوى ١٩٣٤ م .

فهرس الموضوعات

فهرس القوافى

فهرس الأعلام

رقم الايداع ٥٨٠٧ / ٨٤

الترقيم الدولى ٦ ــ ١٦٨ ــ ١٥٣ ــ ٩٧٧ **ISBN**

مطبعة التقدم

عبد القادر محمد التونى

٢١ شارع سيزوستريس

سجل تجارى : ٨٢١١١

تليفون : ٨٠٦٠٥٤ - ٨٠٦١٣١ اسكندرية

